بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الجزيرة

كلية التربية – حنتوب

قسم اللغة العربيّة

القيمة الأدبيّة والنّقديّة عند الثعالبي من خلال كتابه "يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر": دراسة نقديّة تحليليّة.

يوسف محمّد توتو محمّدعلي

ماجستير الآداب في اللغة العربيّة وآدابها – جامعة الجزيرة ٢٠٠٧م

بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب (اللغة العربيّة)

تخصص (أدب ونقد)

يوليو ، ٢٠١٣م

القيمة الأدبية و النقدية عن الثعالبي من خلال كتابه "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" :

دراسة نقدية تحليلية

إعداد الطالب :

يوسف محمد توتو محمد علي

لجنة الإشراف :

الاسم	الصفة	التوقيع
د. بابكر الأمين الدرديري أحمد	المشرف الأول	
د. سيد أبو إدريس أبوعاقلة	المشرف الثاني	

تاريخ الامتحان : يوليو 2013م

القيمة الأدبية و النقدية عن الثعالبي من خلال كتابه «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» :

دراسة نقدية تحليلية

إعداد الطالب :

يوسف محمد توتو محمد علي

لجنة الامتحان:-

الاسم	الصفة	التوقيع
د. بابكر الأمين الدرديري أحمد	رئيس اللجنة	
د. بركات محمد أحمد حمد النيل	الممتحن الخارجي	
أ . د . عمر السيد الطيب العباس	الممتحن الداخلي	

تاريخ الامتحان : 8 رمضان 1434هـ - الموافق :17 / يوليو / 2013م

الإفتتاحيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :(اقْرَأ باسْمِ رَبِّكَ الذَّي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ(٣) الذَّي عَلّمَ بالْقَلَمِ(٤) عَلّمَ الإنسَان مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)) صدق الله العظيم .

الإهداء

إلى أبي و أُمّي ... إحتراماً وبِرّاً

إلى زوجتي و أبنائي ... تقديراً و شكراً

إلى إخوتي و أبنائي طلبة العلم ... عِزّاً و فخراً

إليكم جميعاً أُهْدي هذا البحث .

الباحث .

الشُكر

بعد شكر الله تعالى بتمام الصحّة ودوام النِّعمة ، والتوفيق بإكمال الدراسة ، أتقدّم بجزيل الشُّكر إلى إدارة جامعة السلام التي أتاحتْ لي فرصة الدراسة ، كما أشكر إدارة جامعة الجزيرة التي ساعدتني ويسّرتْ لي سُبُل الدراسة ، وأخُصُّ بالشكر أستاذيّ الجليلين : الأستاذ الدكتور بابكر الأمين الدرديري ، و الأستاذ الدكتور سيّد أبوإدريس أبوعاقلة ، اللذين أشرفا على الرسالة حتّى خرجت بصورتها المطلوبة ، كما أشكر كل من ساهم معي طوال سنوات الدراسة .

الباحث

مُلخّص الدراسة

القيمة الأدبيّة والنّقديّة عند الثعالبي من خِلال كتابه (يتيمةُ الدّهْر في محاسن أهل العصر) : دراسة نقديّة تحليليّة

يوسف محمّد توتو محمّدعلي

دكتوراه الفلسفة في اللغة العربيّة وآدابها (يوليو،٢٠١٣م)

قسم اللغة العـربيّة

كلية التربية – حنتوب

جـامعة الجزيرة

مُلخّص الدراسة

الثعالبي هو أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، من علماء الأدب واللغة ، له مؤلفات في اللغة والأدب وسائر العلوم ، هدفت الدِّراسة إلى بيان القيمة الأدبيّة و النّقديّة للكتاب من خلال النصوص التي أوردها المؤلِّف ، اتبعت المنهج الإستقرائيالإستنباطي ، وتوصّلتْ إلى نتائج منها : إنّ الكتاب من حيث منهجه وتناوله للموضوعات يختلف عن كتاب (البارع) لهارون بن علي المنجم وذلك لأنّ الثعالبي تناول الشعراء والكُتّاب حسب بيئآتهم وأقاليمهم لذلك فالكتاب ليس ذيلاً للبارع كما زعم البعض ، إنّ أصحاب التراجم (قدماء ومحدثين) لم يهتمّوا بتفاصيل حياة الثعالبي في مراحلها الأولى قدر إهتمامهم بأثآره العلميّة ويرجع ذلك إلى طبيعة نشأته التي لم تتح له الشهرة أوّل عهده ، إنّ النصوص التي أوردها الثعالبي تعبِّر عن جميع الأتجاهات السائدة في تلك الفترة من سياسيّة وإجتماعيّة ودينية ، وإنّه جعل الزمان والمكان شرطاً لإختياراته الأدبيّة وتعليلاته النّقديّة ، يمثِّل النّثر الذي أورده الثعالبي في كتابه أرقى ما وصلت إليه فنون الكتابة (خاصة الرسائل) وذلك نسبةً لتطوّر الأسس التي أدخلها هؤلاء الكُتّاب وطرائقهم في التعبير ومذاهبهم الفنية ، توصي الدراسة بضرورة دراسة التعليلات الأدبيّة والأحكام النّقديّة التي أوردها الثعالبي في كتابه ، كما توصي الدراسة بضرورة تناول خصائص النّثر الذي أورده الثعالبي في كتابه ، وتوصي كذلك بدراسة أثر العادات والتقاليد الفارسيّة على موضوعات ومعاني الشعر من خلال الكتاب .

The critical and Litreray Value According to AL-thaalibi through his Yateemat al- dhar fi Mahasin Al-asr) : Acritical Analytical Study .(Book

Yousif Mohammed TutooMohmmed Ail .

.)July, 2013(Doctor of philosophy in Arabic language and literature

Department of Arabic language and Islamic studies

Faculty of Education – Hantoub .

University of Gezira .

Abstract

AL-thaalibi is abumansourabd-malik bin mohammed bin ismail al- thaalibi who is one of the linguists and men of litters ; he has works in linguists , literature and other science s. The study aimed at exploring the critical and literary valu of the book (yateemat al-dahr fi mohasinalhi al-asr)in terms of texts mentioned by the author . The study adopted the deductive , inductive method . the study has come up with some results the most important of which are that the book is different , in the method it adopted and the topics it discussed , from the book (albari) by haroun bin el munajim because al thaalibstudid the poets and the writers in terms of their environments and their regions and, thus the book is not an imitation of (elbari), the translators did not pay attention to the details of al-thaalib's life in its early stages as they payed attention to his scientific influence and this a attributed to the nature of his up bringing which did not enable him to be famous in his early life ; the texts he mentions include all the tendencies prevalent at the time –political ,social and religious ; he makes time and place the criterion for his literary choices and his critical justifications ; the prose althaalbi mentions represents the refined art of writing particulary the litters due to the developments of the basics which those writers introduced and their styles of expression and their artistic schools. The study recommends the necessity of studing the lite rary justification and the ciritical judgments which althaalibi mentions in his book ; the necessity of tacking the characteristics of the prose which al thaalibi introduces in this book; the study also recommends studying the influence of the Persian customs and traditions on the theems and meanings of poetry through the book.

المقدِّمة

الحمدُلله الذي بدأ نزول وحي كتابه الكريم بأمر القراءة ، و ربط القراءة باسم الخالق جلّ شأْنه تعظيماً لها، إذْ قال في محكم تنزيله :(اقرأ باسم ربِّكَ الذي خَلَق ، خلق الإنسان من عَلَق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم) ، وأن جعل قرآنه عربيّاً تشريفاً للُغة أهْلِ الجَنّة ، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي بُعِث مُعلِّماً وهادياً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبعد :-

جاءتْ هذه الدِّراسة لخطّة مقترحة لنيل درجة الدّكتوراة في اللغة العربية تخصص (الأدب والنّقد) بعنوان :- (القيمة الأدبيّة والنّقديّة عند الثعالبي من خلال كتابه يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر) ، دراسة نقديّة تحليليّة ، وكان الدّافع لإختيار الموضوع الآتي :-

أولاً :- الرغبة في أن يكون موضوع الدّراسة المقترح بحثاً نقدياً يتناول جانباً من تراثنا الأدبيّ والنّقدي على حذْوِ الأطروحة التي قدّمتها بحثاً تكميلياً لنيل درجة الماجستير في الأدب و النّقد حيث كانت بعنوان (أساليب الرسائل الإخوانية عند الكُتّاب في القرنين الثالث والرابع الهجريين).

ثانياً:- أن تتناول الدّراسة مصدراً من مصادر الأدب (شعره أو نثره) ، وعند الإطلاع على (يتيمة الدّهر) للثعالبي وجد الباحث أنّ النصوص التي أوردها تصلح للدّراسة المستهدفة بفضل الملاحظات النّقديّة والتعليلات الأدبيّة التي أودعها المؤلِّف في كتابه ، مما دفعني لإختيار اليتيمة موضوعاً للدراسة .

أمّا الهدف من الدَّراسة فقد قصد الباحث منه تحديد القيمة الأدبيّة والنّقديّة للكتاب بناءً على عنوان الرسالة ، وقد اتّبع الباحث في هذه الرسالة المنهج الإستقرائي الإستنباطي القائم على تتبُّع النصوص وتحليلها .

وهناك صعوبات واجهتْ الباحث تمثّلت في قِلّة المراجع التي تناولت الموضوع بصورة مفصّلة، بجانب عدم دراسة أغلب المراجع التي تناولتْ الثعالبي وكتابه دراسة تفصيليّة (خاصة شخصيته)مما اضطرّ الباحث إلى اللجوء لمؤلّفات الثعالبي نفسه لتفسير بعض جوانب حياته ، بجانب الإعتماد على المصادر القديمة التي عاصر أصحابها الثعالبي أو مَن كان قبله بقليل (خاصة في الدراسة النّقديّة)، هذا فضلاً عن المراجع العلميّة الحديثة التي تطرّق أصابها للموضوع بصورة مجملة واعتمد الباحث في دراسته على ثلاثة أنواع من المصادر هي : كتب التراجم (قديمة وحديثة) ، وكتب الأدب ، وكتب النّقد بجانب كتب التاريخ.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن يمهِّد الباحث للموضوع بتمهيد تأريخي موجز عن طبيعة الحياة السياسيّة ومايدور فيها من أحداث ، والحياة الإحتماعيّة وما شاع فيها من لهوٍ ومجون وإحتفاء بعادات غير العرب ، والحياة الإقتصاديّة واضطرابها وعدم العدالة في تقسيم الثروة ، وأثر كل تلك العوامل على الحياة الأدبيّة ، ثُم قام الباحث بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة أقسام هي : قسمٌ لترجمة المؤلِّف والحديث عن كتابه وقسمٌ للقيمة الأدبيّة للكتاب ، وقسم للقيمة النّقديّة ، وبناءً على هذا التقسيم جاء الدراسة هيكل مكوّناً من ثلاثة فصول بعد المقدمة والتمهيد وهي على النحو التالي :-

الفصل الأوّل :- الثعالبي وكتابه :- وفيه أربعة مباحث على النحو التالي :-

المبحث الأوّل :- شخصيّة الثعالبي : ويشمل :- اسمه وأصله ، كنيته ولقبه ، مولده نشْأته ، شيوخه وتلاميذه ، تعليمه وأدبه ، وفاته .

المبحث الثاني :- وتناول فيه الباحث مؤلفات الثعالبي ، ورأى الباحث أن يقسّمها إلى قسمين مؤلّفات مطبوعة وأُخْرى مخطوطة .

المبحث الثالث :- خصصه الباحث للكتاب وتناول فيه : تحقيق اسم الكتاب ، ونسبته لصاحبه ، بداية تأليفه ، أقسامه ومادته ، والرواية التي اتّبعها المؤلِّف في جمع المادة العلميّة.

أمّا المبحث الرابع فقد أفرده الباحث لآراء العلماء حول الثعالبي وكتابه ، وقد قصد الباحث ذلك نسبة لإرتباط الكتاب بصاحبه .

الفصل الثاني :- القيمة الأدبيّة للكتاب :- وفيه ثلاثة مباحث على النحوِ التالي :-

المبحث الأوّل :- الشِّعر : وتناول فيه الباحث أغراضه واتجاهاته ، والظّواهر التي عبّر عنها وصوّرها بصفة عامّة .

المبحث الثاني :- النّثر :- وتناول فيه الباحث أغراضه وأنواعه ، بجانب ترجمته لأهمّ أعلام النّثر الذين يمثلون الإتجاهات النثريّة وتقاليد الكتابة في القرن الرابع للهجرة.

المبحث الثالث :- وخصصه الباحث للحديث عن أسماء الشعراء و الكُتّاب الذين أوردهم المؤلَّف في كتابه (التراجم) ، وفيه أراد الباحث معرفة الكتاب هل في الأدب أم هو في التراجم كما اختلط ذلك على الباحثين والمحدثين لأنّ كلً صنّفه حسب حاجته منه.

الفصل الثالث :- القيمة النقديّة :- وفيه مهّد الباحث للموضوع بالحديث عن المنهج النّقدي قبل الثعالبي ، وقد شمل هذا الفصل أربعة مباحث هي :-

المبحث الأوّل :- وتناول فيه الباحث المنهج النّقدي الذي اختاره الثعالبي في كتابه ، ذلك المنهج القائم على أثر البيئة (زمانيّة أو مكانيّة) على الشِّعر.

المبحث الثاني :- وتناول فيه الباحث الأُسس النّقديّة عند الثعالبي لإختياره الشِّعر والنّثر .

المبحث الثالث ، فقد تناول فيه الباحث القضايا النّقديّة التي تناولها المؤلّف ، كقضيّة القديم والحديث ، قضيّة السرقات والموازنات ، واللفظ والمعنى ، وغيرها من القضايا التي تناولها الثعالبي في كتابه.

أمّا المبحث الرابع فقد خصّصه الباحث للدراسة النقديّة التي عقدها الثعالبي في كتابه عن المتنبئ ، نظراً لأهميّة هذا الفصل عند النّقاد والباحثين والدّارسين ،بجانب أخذه جزءً كبيراّ من الكتاب من حيث المادة والتحليل ، وأخيراً قام الباحث برصد التنائج التي توصّلتْ إليها الدّراسة مع مقترح التوصيات التي أوصت بها الدّراسة نسأل الله التوفيق والسداد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

التمهيد :-

قبل الحديث عن فصول الدِّراسة حسب الخُطّة المتّبعة للبحث يرى الباحث أن يَكْتُب تمهيداً موجزاً عن الحياة بجوانبها المختلفة من (سياسيّة ، وإجتماعيّة ، وإقتصاديّة ، وأدبيّة) في القرن الرابع وصدر الخامس الهجري ، وأثر تلك الحياة على الأدب (شعره ونثره) .

إنّ القرن الرابع وصدر الخامس الهجري من الحِقب المهِمة في تأريخ الأدب العربي ، وذلك نظراً للأحداث السياسيّة التي كان من أبرزها إنقسام الدولة إلى أقاليم ، وظهور نفوذ غير العرب ومشاركتهم في حكم الدولة الإسلاميّة ، وأثر ذلك على الأدب ، وبجانب الحياة السياسيّة نجد الحياة الإجتماعيّة وما شاع فيها من من تحضُّر وترف وغنى وفقر ولهو ومجون فضلاً عن إنتقال عادات وتقاليد الشعوب الأُخرى إلى العرب ، هذا بالإضافة إلى الحالة الإقتصاديّة والعلميّة وأثر ذلك على الأدب في القرن الرابع وصدر الخامس الهجري .

وقام الباحث بتمهيد للموضوع على النّحو التالي :-

أولاً :- الحياة السياسيّة وأثرها على الأدب :-

يعتبر إنقسام الدولة الإسلاميّة من أبرز مظاهر الحياة السياسيّة في تلك الفترة بعد أن كانت عاصمة الدّولة الإسلاميّة بغداد وحدها ، وكل الأقاليم الأُخرى تخضع لسلطان الخليفة هناك ، حيث أخذت الدّولة تتقسّم إلى دُويلات صغيرة مستقلة عن العاصمة (بغداد) إدارياً وسياسياً و مالياً ، فأصبح لكل إمارة جندها ومالها وقضاؤها وأميرها .والملاحظ أنّ تلك الفترة (إنقسام الدّولة) بدأت قبل القرن الرابع منذُ تسلُّط الأتراك على مقاليد الحكم ، وتحكمهم بمقدرات لدّولة

العبّاسيّة ، خاصّة (عندما نصبوا خمسة من الخُلفاء في مدّة تسعة أعوام بصورة مُزريّة من القتل والإضطهاد)[1] .

فمنذ تلك الفترة ضعفت الخلافة العبّاسيّة ، وقويت شوكة الأتراك ، حيث اعتمد الخليفة المعتصم عليهم في : (بناء جيشه[2] ،وإنتقاله معهم إلى عاصمته الجديدة (سُرّ من رأى))[3].

واستمرّ تسلُّط الأتراك على مقاليد الحكم ، وشؤون الخلافة (حتّى دخول البويهيين بغداد وإستيلاء معز الدولة البويهي على جميع أمور الدولة عام ٣٣٤هـ)[4]، بجانب إستيلاء أخويه على الأقاليم الأخرى ، كما أورد المسعودي .

وفي أواخر القرن الثالث والربع الأوّل من القرن الرابع الهجري اشتدّت قوّة العناصر المناوئة للدولة العبّاسيّة ومن ذلك ظهور الدويلات التي استقلّت عن سلطان الخليفة في بغداد ، وهذا ما أشار إليه أبو الفداء في تأريخه حيث حدّد ذلك ضمن أحداث سنة ٣٢٤ هـ[5].

وهكذا كان حال الدولة العبّاسيّة في القرن الرابع للهجرة ، فقد تقسَّمت إلى دويلات مستقلة لا تخضع لسلطان الخليفة في بغداد ، فأصبح لكل حاكم كامل الصلاحيات في إدارة دولته وهذا ما أشار إليه آدم متز بقوله :- (تغلّب كل رئيس على ناحيته وانفرد بها ، فصارت فارس والري وأصبهان والجبل في أيدي بني بويه ، وكرمان في يد محمّد بن إلياس ، والموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مُضر في أيدي بني حمدان ، وأصبحت مصر والشام في يد محمّد بن طغج الإخشيدي ، والمغرب وإفريقيه في يد الفاطميين ، والأندلُس في يد عبدالرحمن الناصر الأُموِي ، وخُراسان في

1- اليعقوبي :- أحمد بن يعقوب بن جعفر ، تأريخ اليعقوبي ، مطبعة دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٧٩ه – ١٩٦٠م ، ج٢ ص ٤٩٣

1المسعودي : أبوالحسن علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمّد مُحي الدّين عبد الحميد ، مطبعة السعادة – مصر ١٣٨٧ه ، ١٩٦٧م ج٣ ص٤٦٥

[3]المرجع السابق ج٤ ص٥٤

[4]- المرجع السابق ج٤ ، ص٣٨٥ .

٥- أبوالفداء : عماد الدين أبو الفداء بن إسماعيل بن علي ، المختصر في أخبار البشر ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧ه – ١٩٩٧م ، ج١ من ص٤١٥-٤١٦ .

يد نصر بن أحمد الساماني ، والأهواز وأواسط البصرة في يد البريديين ، وجُرجان في يد الديلم ، ولم يبق في يد الخليفة إلاّ بغداد وأعمالها)[1] .

وأدّى هذا التقسيم إلى تنافس الأُمراء لجذب العلماء والكُتّاب والشعراء إلى مراكزهم الجديدة والإهتمام بهم والإفادة منهم في بناء حياتهم السياسيّة والإجتماعيّة مما كان لذلك الأثر في ازدهار الحياة الأدبيّة في هذا القرن .

ومن هؤلاء الكُتّاب المشاهير ابن العميد ، والصّاحب بن عبّاد والمهلّبي الوزير ، ومن الشعراء المتنبئ وأبوفراس الحمداني وأضرابهم ، وهؤلاء كانوا إمّا قادة في سُوح المعارك أو من أهل الحنكة في السياسة يصرِّفون شؤون تلك الإمارات سياسياً وماليّاً وإدارياً بجانب مهامهم الأدبيّة مما أثرى الأدب كثيراً ، وذلك ما ذكره أحمد أمين بقوله :- (أرى أنّ العلم والأدب رقيا عمّا كانا عليه قبل ، وأنّه لم يؤثِّر فيهما كثيراً ضعف خلفاء بغداد ، ذلك أنّ حركة الترجمة التي نقلت ذخائر الأُمم المختلفة وخصوصاً الأُمّة اليونانيّة ، وضعت أمام أعيُن المسلمين ثروة علميّة هائلة باللسان العربي ، فكانت الخُطوة الثانية أن تتوجّه إليها الأفكار العربيّة تفهمها وتشرحها وتهضمها وتبتكر فيها وتزيد عليها)[2]، هكذا كانت الحياة السياسيّة وأثرها على الأدب .

ثانياً :- الحياة الإجتماعيّة والإقتصاديّة:-

تتكون الدولة الإسلاميّة من مجموعة عناصر هي العرب والفرس والأتراك بجانب عناصر أخرى .

أولاً :- العرب : وهم من أهمّ العناصر المكوِّنة للدولة العبّاسيّة ، وكان أغلبهم في الشام والجزيرة العربيّة ، ولكنّهم لم يكونوا أقوياء كما كانوا في العهد الأُموي ، فقال عنهم أحمد أمين :- (...

---

١ آدم متز : الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع ، نقله إلى العربيّة محمد عبد الهادي أبوريدة ، نشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، مكتبة الخانجي القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٧٨ ه – ١٩٦٧م ، ج١ ص١٩ .

[2] أحمد أمين :- ظهر الإسلام ، مجلدان ، المكتبة العصريّة – لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م ،ج١ ص٧٩ .

وكان هناك النفوذ العربي وأظهر ما كان ذلك في الشام والجزيرة ، فالعرب الذين هاجروا من جزيرة العرب إلى الشام والعِراق كانوا – دائماً– قوة تحسب الخلفاء حسابها . نعم إنّهم كانوا كل شيئ في العهد الأُموي وضعِف سلطانهم في العهد العبّاسي ولكنّهم في كل الأحوال قوّة لا يُسْتهان بها)[1] .

ثانياً :– الفُرْس :–

وهم أساس الدّولة في العهد العبّاسي ، حيث كان يعتمد عليهم الخليفة في تدبير شؤون الدّولة ، قال عنهم أحمد أمين :– (نجح الفرس إلى حد كبير في إقتطاع أجزاء من الدولة والإستيلاء عليها ، واستبدادهم بها ، ... فقد استولوا على فارس ثُمّ العِراق ، وأخضعوا الخليفة لأمرهم ، ، وأزالوا ولاية الترك عليه ، وأقاموا سلطانهم فكان شأن الخليفة منهم شأنه مع الترك قبلهم ، مظهر ولا عمل ، ولقب ولا أمر ولا نهي)[2] .

ثالثاً :– الأتراك :–

وهم قوّة إجتماعيّة كبيرة بجانب دورهم السياسي حيث اعتمد عليهم المعتصم في بناء جيشه لأنّ أُمّه أصلها يرجع للأتراك ، فانتشروا في بغداد وضايقوا أهلها في عهد المعتصم ، حيث أورد المسعودي عنهم قائلاً :– (كانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريانها بالخيول في الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك ، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمِه لامرأة أوشيخ ،أو صبي أو ضرير ، فعزم المعتصم على النقلة معهم ...فانتهى إلى موضع سامرّاء ، فاحضر الفعلة والصُنّاع وأهل المهن من سائر الأمصار ، ونقل إليها من سائر البِقاع أنواع الغروس والأشجار ، فجعل للترك مواضع متميِّزة ...)[3] .

---

[1] أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج١ ،ص٥٢ .
[2] المرجع السابق نفسه ، ص٤٢ .
[3] المسعودي : مروج الذّهب ، ج٢ ، ص٢٧٢ .

وبجانب تلك الأجناس هناك الروم وبعض السود ، كل هؤلاءِ جميعاً كانوا يمثلون مجتمع القرن الرابع وصدر الخامس الهجري .

هذا عن المكونات الإجتماعيّة ،أمّا الحياة الإقتصاديّة فقد كانت متدهورة نتيجة للإضطراب السياسي والتركيب الإجتماعي للسكان ، وذلك لأنّ عدم الإستقرار السياسي أدّى إلى إختلال النِّظام الإقتصادي ، وترتّب على ذلك خلل في توزيع الثروات ، وهذا ما ذكره أحمد أمين بقوله :- (حينما نظرنا إلى كل أقطار العالم الإسلامي في ذلك العصر ، رأينا الثروة غير موزعة توزيعاً عادلاً ولامتقارباً ، ورأينا الحدود بين الطبقات واضحة كل الوضوح ، فجنّةٌ ونار ، ونعيم مفرط وبؤسٌ مفرط ، وإمعانٌ في الترف يقابله فقدان القوت ، وهذا الترف والنّعيم حظ عدد قليل من الخُلفاء والأُمراء ومن يلوذ بهم من الأُدباء والعلماء ، وبعض التجار ، ثُمّ البُؤس والشقاء والفقر لأكثر النّاس . وحتّى غنِي الأغنياء في كثير من الأحيان ليس مُحصّناً بالأمان ، فهو عرضة لغضب الأقران أو غضب ذي السلطان الأعلى ، فيصادرون في أموالهم ، ويصبح حالهم أشدُّ بُؤساً من فقيرٍ نشا في الفقر)[1] .

فهناك صورٌ شتّى للترف المفرط والفقر المدقع ذكرها مؤرخو القرن الرابع ممّا يفسّر ما دار في الحياة الإقتصاديّة وأثر ذلك على سلوك النّاس من أجل كسب العيش ، فنتج عن ذلك اضطراب الحياة وعدم الطمأنينة وإحترام ملكيّة الآخرين .

ونتيجة لذلك الإنصهار الإجتماعي الذي تمّ والحياة الإقتصاديّة المضطربة تكوّن من تلك البيئة تراث عظيم ، حيث أثمر الإختلاط عن تسرُّب عادات وتقاليد وموروثات تلك الأُمم إلى العرب وإنصهرت في التراث العربي ، مما كان لذلك الإختلاط أثر مباشر وخطير ، ذلك الأثر الذي عبّر عنه الشعراء والكُتّاب ، هذا فضلاً عن أثر الإقتصاد في نفوس العامّة والخاصّة ، مما أدّى إلى نشؤ عادات إجتماعيّة ، منها :-

[1] - أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج١ ، ص٨١-٨٢ .

أ– ظاهرة الإحتفاء بالأعياد والمناسبات الفارسيّة :–

لقد تأثّر الشعر في القرن الرابع وصدر الخامس الهجري بهذه المظاهر الإجتماعيّة ، كالإحتفال بالأعياد الفارسيّة القديمة ، التي شاعت في تلك الفترة وانعكس صداها على الأدب (شعره ونثره) كماسنرى ذلك من خلال النصوص التي أوردها الثعالبي إن شاء الله .

ب– ظاهرة المجون والتغزُّل بالغلمان :–

وهي من أبرز الظواهر الإجتماعيّة التي انتشرت في المجتمع الإسلامي ، وخاصّة في القرن الرابع الهجري الذي شاعت فيه شيوعاً عظيماً بين الخاصّة والعامّة من النّاس ومردُّ ذلك إلى الحالة الإقتصاديّة السيئة وسوء تقسيم الثروة ، لقد صوّر لنا الثعالبي هذه الظاهرة الإجتماعيّة الخطيرة في كتابه (اليتيمة) عند حديثه عن ابن الحجّاج وابن سُكّرة الهاشمي وغيرهما من شعراء المجون ، وممن تغزّلوا بالغلمان ، ومن صور المجون كذلك المجاهرة بشُربِ الخمر ووصف مجالسها وأحوال أهلها وغير ذلك مما نقله لنا الثعالبي في كتابه .

ج– ظاهرة الكُدْية[1] والإحتيال والتسوُّل :–

وهي من الظواهر السيئة كذلك التي انتشرت في القرن الرابع للهجرة وشاعت فيما بعد في المجتمع الإسلامي ، فانتشر المكديين وانتظموا في شريحة إجتماعيّة كبيرة واتخذوا التسوّل والأدب مهنة لكسب العيش ، ومن أولئك الأحنف العُكُبري ، وأبودُلف الخزرجي ، وبديع الزّمان الهمذاني صاحب المقامات المشهورة وغيرهم ممن ذكرهم الثعالبي في اليتيمة ، وإبتداعهم لألفاظ ومصطلحات أهل الكُدْية ، مما أضاف للأدب ألفاظ ومصطلحات لم تكن معروفة من قبل .

[1] - الكدية هي ظاهرة تسوّل اتخذها بعض الناس لكسب العيش في القرن الرابع للهجرة

د- ظاهرة السطوِ والتعدِّي على أموال النّاس :-

انتشرت هذه الظّاهرة في أقاليم المشرِق الإسلامي ، في القرن الرابع وصدر الخامس الهجري ، فانتشرت السّرِقة وقطع الطرق والتعدِّي على أموال الناس ، فكان الناس يعانون من طبقة العيّارين واللصوص والشطّار وقُطّاع الطرق ، وهذا ما أشار إليه الرحّالة المقدسي حين قال :- (... وقد كان لهذه الظاهرة الخطيرة آثارها الفادحة على الحياة الإجتماعيّة والإقتصاديّة في هذا القرن)[1] .

ثالثاً :- الحياة الأدبيّة :-

وإذا تركنا الحياة السياسيّة وما يدور فيها من اضطراب سياسي وتقسيم جغرافي للأقاليم ، والحياة الإقتصاديّة والإجتماعيّة وما يتعلّق بهما من فقر وبؤس ولهوٍ ومجون ، ونظرنا إلى الحياة الأدبيّة وجدناها مزدهِرة لم تتأثّر بتلك الأحداث السياسيّة والتحولات الإجتماعيّة ، وهناك عوامل أدّت إلى إزدهار الحياة الأدبيّة وهي :-

أولاً:- إهتمام أُمراء الإمارات الإسلاميّة بالعلم ورعاية العلماء وإكرامهم ، وذلك لأنّ تلك الإمارات تتنافس فيما بينها لجذبهم وتشد الرِّحال إليهم لجلبهم ، هذا بجانب تشجيعهم والإتصال بهم والتودُّد إليهم ، ومن ذلك ما ذكره الرحّالة المقدسي عن ملوك السامانيين وحرصهم على كسب العلماء إذْ قال :- (... وهم أحسن الملوك سيرةً ونظراً ، وإجلالاً للعلم وأهلِه ، ...)[2] .

وبجانب السامانيين هناك أُمراء بني حمدان في حلب الذين اهتمّوا بالعلم غاية الإهتمام ، وأكرموا أهله من الفلاسفة والعلماء والشعراء والكُتّاب ، ومن أولئك سيف الدّولة الذي أشاد به الثعالبي كثيراً في كتابه (اليتيمة) إذْ قال عن مجلسه :- (مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقِبلة

١- المقدسي : شمس الدّين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة ليدن ، مطبعة بريل ١٩٠٥م ، نشر دار الفكر العربي – بيروت ، ج٢ ٤٤٨ -٤٥١ .

[2] - المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ج٢ ، ص٣٣٨-٣٣٩ .

الآمال ، ومحطّ الرِّحال ، ... ويُقال إنّه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك – بعد الخلفاء– ما اجتمع ببابه من شيوخ الشِّعر ونجوم الدَّهر)[1] .

ومثلهم كذلك أُمراء بني بويه ، والغزنويين خاصة السلطان محمّد الغزنوي ، وابنه السلطان مسعود ، وكذلك أُمراء إمارات الزياديّة في (طبرستان) وإمارة خوارزم ، وغير ذلك من الإمارات التي كانت ترعى العلم وتشجِّعه .

ثانياً :– كثرة المنتديات والمجالس :–

تلك المنتديات والمجالس التي كانت تُعقد في بغداد وغيرها من حواضر الإمارات المستقلّة كان لها أثرها في نهضة العلم والأدب وإزدهار الحياة الأدبيّة والثقافيّة بصورة عامّة ، وكانت هذه المجالس والمناظرات تُعقد في الأسواق والمساجد ، وأحياناً لها أماكن مخصّصة وهي مجالس عامّة ، وهناك مجالس خاصّة في حضْرة الخُلفاء والأُمراء والرؤساء والوزراء وتكون في قصورهم أو منتجعاتهم الخاصّة ، وقد حَفِلتْ هذه المجالس والمنتديات بمناقشة القضايا اللُّغويّة والفقهيّة والفلسفيّة وغيرها .

وفي القرن الرابع الهجري انتشرت تلك المجالس إنتشاراً واسعاً خاصّة وزراء بني بويه[2] ، وكذلك الخليفة الراضي والمستكفي في بغداد[3]، وهما أشهر من عُرِف بتلك المجالس ، وغير ذلك من المجالس التي تحفل بالمناقشات والمحاورات والمناظرات التي تُعقد في مختلف العلوم والموضوعات ، تلك المنتديات التي كانت تمثِّل خلاصة تجارب العُلماء وعميق معارفهم .

---

١ - الثعالبي :- يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر ، أربعة أجزاء ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العامة ١٩٥٦م ،ج١ ، ص٣٧-٣٨ .

[2] - المسعودي : مروج الذّهب ، ج٤ ص٨٦ .

[3] - المرجع السابق نفسه ، ج٤ ص٣٢٨ ، ٣٦٢ ، ٣٥٨ .

ثالثاً :- إنتشار المكتبات ودُور العلم :-

وهي من الأمور المهمّة التي أثرت الحركة العلميّة والأدبيّة في القرن الرابع الهجري ، فهُناك المكتبات العامّة والخاصة ، ومن تلك المكتبات خزانة دار الحكمة في بغداد التي أنشأها المأمون سنة ١٩٣هـ وتطورت بعد ذلك في القرن الرابع .

وقد ذكر القلقشندي أنّ أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاثُ خزائن :- (أحدها خزائن العبّاسيين في بغداد ، والثانية : خزانة الخلفاء الفاطميين في مصر ، والثالثة : خزانة خلفاء بني أُميّة في الأندلُس)[1] .

فامتد نشاط المكتبات في القرن الرابع الهجري ، وانتشرت كثيراً وأسهمت كذلك في نشاط وإثراء الحركة العلميّة والأدبيّة ، فنجد البويهيين والبرامكة الذين اهتمّوا كثيراً بالمكتبات ، وكذلك آل مكيال الذين ذكرهم الثعالبي وأثنى عليهم كثيراً في كتابه (اليتيمة) وغير ذلك من المكتبات ، التي أسهمت في نشر العلم وتقديمه لمن يطلبه ، فضلاً عن كونها تحوِي خزائن الكتب النّفيسة ، كل ذلك أدّى إلى نّضُج الحياة الأدبيّة والعقليّة في القرن الرابع وصدر الخامس الهجري .

كل تلك التطورات السياسيّة والإقتصاديّة والإجتماعيّة والأدبيّة نقلها لنا الثعالبي في كتابه اليتيمة كما سنرى ذلك إن شاء الله من خلال فصول الدِّراسة .

[1] - القلقشندي :- صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ، ج١ ، ص٤٦٦ .

الفصل الأوّل

القيمة الأدبيّة وفية أربعة مباحث :-

المبحث الأوّل :- شخصيّة الثعالبي

المبحث الثاني :- مؤلفاته

المبحث الثالث :- كتابه

المبحث الرابع :- آراء العلماء والباحثين حول الثعالبي وكتابه

المبحث الأول

شخصيّة الثعالبي

الثعالبي في تراجم القدماء والمحدثين

نجد أن معظم التراجم لم تهتم بتفاصيل حياة الثعالبي قدر اهتمامها بمؤلفاته ، إذ لم يتعرض أحد لترجمة مفصّلة له .

وأهم المصادر القديمة التي تعرضت لحياة الثعالبي بصورة يمكن الاستفادة منها – على الرغم من إجمالها و إيجازها، مصدرين هما : (دمية القصر وعصرة أهل العصر) للباخرزي تلميذ الثعالبي ، و (زهر الآداب) للحصري القيرواني معاصر الثعالبي ، حيث تناول هؤلاء بعضاً من جوانب شخصية الرجل وخاصة الحصري القيرواني الذي تعرّض لأدبه بصورة مجملة دون تفصيل وحذا حذوه الباخرزي الذي تحدّث عن علاقة الثعالبي بوالده وأثر تلك العلاقة عليه (أي الباخرزي).

وعلى الرغم من أنّ هذه الترجمة لم تكن كافية لتفسير معظم معالم شخصية الرجل وشرح جوانب من حياته إلا أنها صارت مادة لأصحاب التراجم من بعدهما ، حيث نقلها بعضهم و اقتبس منها بعضهم الآخر .

هذا عن المصادر القديمة ، أما المحدثين فلم يضيفوا شيئاً كذلك لاعتمادهم على ما جادت به كتب القدماء ، وذلك لأنّ اللاحق يقتفي أثر السابق ، فنقلوا نصوصاً من المصادر القديمة واجتهدوا في تحليل بعض النصوص .

وبالإضافة إلى كتب القدماء والمحدثين في دراسة شخصية الثعالبي نجد أن كتب الثعالبي نفسه مصادرَ يمكن الرجوع إليها والإستعانة بها والإستفادة منها لدراسة شخصيته وعلاقاته مع الآخرين وذلك بفضل النصوص الواردة فيها ، هذا بالإضافة إلى جهود المحققين الذين عمِلوا على تحقيق كتبه المختلفة .

* **اسمه وأصله : .**

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري[١] ، لم يخالف في ذلك أحدٌ ولم يزد عليه .

هذا عن اسمه أما أصله فقد وقع الخلاف فيه ، إذ لم تذكر تراجم القدماء أصله ، أما المحدثين فلهم في أصله مذاهب شتى ، فمنهم من رده إلى أصلٍ فارسي بدليل مولده في نيسابور المدينة الفارسية دون أن يعطوا دليلاً غير ذلك ومن أولئك الحوفي [٢].

أما محمد كُرد علي فقال : ((والغالب أنه عربي))[٣] ولم يعلل لكلامه أيضاً .

ومن الباحثين مَنْ قال أن الثعالبي عربياً كالدكتور الجادر الذي قال : ((ولو أننا استقصينا الحقيقة في مظانها لوجدنا ما يكاد يقطع بأن الرجل عربي الأصل))[٤] وعللّ الجادر كلامه معتمداً على تحليل بعض النصوص التي أوردها الثعالبي نفسه في كتابه " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " في حديثه . أي الثعالبي . عن إسماعيل بن أحمد الشجري : ((... ومن مُلحِة ...، وهو منقول عن بيتين بالفارسيّة للأعاجم))[٥] . وكذلك حديث الثعالبي عن أبي الحسن الأغاجي : " هو أشهر في شعراء الفارسية وفرسانهم من المجرة "[٦].

فعلّق الجادر قائلاً : ((إنّ إشارته إلى الأعاجم وشُعراء الفارسية وفرسانهم بضمير الغائب لتدعوا إلى التشكيك في الرأي القائل بأنه من أصلٍ فارسي ، فلو كان الرجل فارسياً لاستغنى عن بعض كلامه، وبقي المعنى مستقيماً فهو يستطيع أن يقول : هو منقول عن الفارسية في النص الأول ، وهو أشهر في الشعراء والفرسان من المجرة في النص الثاني))[٧] .

---

[١] ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ثماني مجلدات ، مطبعة النهضة مصر ١٩٤٨م ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج٢ص٣٥٢

[٢] الحوفي : الدكتور أحمد محمد الحوفي : تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، مطبعة نهضة مصر ١٩٦٨م ، ط١ص٢١٩

[٣] محمد كرد علي : كنوز الأجداد ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٥٠م ، ص٢٣٣ .

[٤] الجادر : الدكتور محمود عبدالله الجادر ، الثعالبي ناقداً وأديباً ، رسالة دكتوراه – جامعة بغداد، ١٩٧٨م ، ص١٨ .

[٥] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص١٥٥ .

[٦] المرجع السابق ، ج٢ ، ص١١٤ .

[٧] الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً ، ٢٠ .

وقال الجادر أيضاً : ((وثمّة دليل أخر أوضح من سابقيه وأكثر إظهاراً للحقيقة هو قوله . أي الثعالبي . في أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : ((من أعاجيب الدنيا وذلك أنه من الفاراب إحدى بلاد التُرك وهو إمام في علم لغة العرب))[1] وعلّق الجادر بقوله : ((ألا ترى أن الثعالبي لو لم يكن عربياً ما تعجب من كون الجوهري الأعجمي إماماً في لغة العرب ، وهو نفسه إمام فيها))[2] .

★ كنيته ولقبه : .

يكنى عبد الملك بن محمد ((بأبي منصور)) ويلقب (بالثعالبي) ، حتى أشتهر عند أغلب أصحاب التراجم قديمها وحديثها (بأبي منصور الثعالبي) فيستغنى بذلك عن ذكر اسمه كاملاً وقد ذكر الثعالبي كنيته في شعره إذ قال (من الوافر): .

أبا منصورٍ المغرورِ أقصِر وأبصِر طُرْق أصحاب الرشادِ

ألست ترى نجوم الشيب لاحت وشيبُ المرءِ عنوان الفسادِ [3]

ولم تشر المصادر إلى سبب كنيته بأبي منصور .

أما لقبه " الثعالبي " فقد اختلف العلماء حوله فمنهم من قال إنه كان فرّاء يُخِيط جلود الثعالب ويعمل الفِراء منها وإلى هذه الصناعة نُسِب كالسمعاني [4] . وممن قال بذلك من المحدثين المحدثين الدكتور محمد مندور حيث قال : ((الثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فرّاء))[5] .

---

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص٤٠٦ .

[2] الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً ، ص ٢١.

[3] الثعالبي : أحسن ما سمعت : تحقيق : محمد أفندي صادق ، مطبعة الجمهور القاهرة ١٣٢٤هـ ص١٣٠

[4] السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني : الأنساب ، خمس مجلدات ، دار الفكر العربي بيروت ١٩٩٨م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : عبد الله عمر البازودي ج١ ص٥٠٥

[5] محمد مندور : النقد المنهجي عبد العرب ، نهضة مصر للطباعة والنشر ٢٠٠٥م ص٣٠٨

ومنهم من قال إنّ هذه المهنة (خياطة جلود الثعالب التي نسب إليها الثعالبي فيما بعد واقترن اسمه بها) هي مهنة أبيه ومن أولئك الدكتور محمد زغلول سلام حيث قال : ((إذ كان أبوه يعمل بتجارة فِراء الثعالب وإليها نُسِب))[1].

ومن المحققين من قال بذلك الأستاذ:إبراهيم محمد صقر حيث أورد :(... ، كان فرّاء يُخِيط جلود الثعالب ، فنُسِب إلى صناعته (الثعالبي) وغلبت عليه هذه التسمية أبو منصور الثعالبي)[2].

وعلى العموم اشتهر عبد الملك بن محمد بكنيته ولقبه أكثر من شهرته باسمه فيُقال :(أبو منصور الثعالبي) وعلى ذلك أغلب أهل التراجم والأدب والمحققين لمؤلفاته ، وأحياناً يذكر لقبه فقط فيُقال :(الثعالبي). وعند الاستغناء عن ذكر اسمه كاملاً والإكتفاء بذكر كنيته ولقبه (أبو منصور الثعالبي) ذلك تمييزاً له عن أعلام آخرين يشاركونه هذه النسبة " الثعالبي " منهم أبو بكر محمد بن بكر بن الفضل بن موسى الثعالبي [3] ، الفقيه من أهل مصر ، ومنهم أيضاً : الشيخ : أحمد بن علي بن الحسين الثعالبي [4] ، ومنهم كذلك : عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري الثعالبي [5] المتوفى سنة خمس□ وسبعين وثمانمائة .

*** مولده ونشأته: .**

وُلد أبو منصور الثعالبي سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة في نيسابور [6] ، ولم يخالف في ذلك أحد .

أمّا نشأته فقد نشأ في أسرة رقيقة الحال ، فقد كان أبوه يشتغل بخياطة جلود الثعالب وعمل الفراء منها ، وقد أورد الثعالبي نصاً يدل على رقة حال أسرته حيث قال : ((فإن كنت

---

[1] محمد زغلول سلام : الأدب في عصر العباسين من بداية القرن الرابع إلى نهاية ، الجزء الثاني مطبعة المعارف الإسكندرية ١٩٩٩م الطبعة الأولى ص٢٠١

[2] الثعالبي : يتيمة الدهر – مقدمة المحقق ص٥ .

[3] الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً . مرجع سابق ص١٨

[4] المرجع السابق نفسه ص١٨

[5] الحنفي : مصطفى بن عبد الله القسطنطيني . الحنفي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، ستة أجزاء دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢م ، ج٣ص١١٧

[6] ابن خلكان : وفيات الأعيان . مرجع سابق ج٢ص٣٥٢

من الأكابر فلي في عدنان الهروي أُسوة ، وإن كُنت من الأصاغر فلي في بابن الثعالبي النيسابوري قدوة))[1] .

دفعت به أسرته إلى الكُتّاب حيث تلقى أول معارفه ، وتخرج في الكُتّاب وعمل مؤدباً للصبيان [2] ثم دخل مجال التأليف ساعده على ذلك آل مكيال الذين تحدث عنهم بإجلال يدل على ما لهم عليه من أياد□ ، وأعانه الأمير أبو الفضل المكيالي بالسماح له بالاطلاع على مكتبته الضخمة التي ظل الثعالبي ينهل منها طوال تأليفه ، ونجد الثعالبي نفسه يعترف بهذا الفضل إذ يقول في أحد نصوصه :((... أخرجته مما أخرجه الأمير أبو الفضل عبد الله بن أحمد المكيالي من غرره وفقره ، وكفاني شغلا شاغلاً ، وقلدني منّه وشكره ، وليست تُنكر أياديه عندي))[3].

هكذا نشأ الثعالبي تلميذاً متأدباً على العلماء ، ثم مؤدباً للغلمان ، ثم عالماً جليلاً اطلع على ثقافات عصره المتنوعة ودخل مجال التأليف وألّف في ذلك كله ، ويُعد من أغزر العلماء تأليفاً خاصة في ميدان اللغة والأدب الذي خلّد فيه اسمه ، وكفاه فخراً ما قاله فيه وفي مؤلفاته العلماء والأدباء والباحثين ، وما تركه من ثروة معرفيّة شمِلت جميع ثقافات عصره .

*** شيوخه وتلاميذه : .**

شيوخه : .

إن لكل عالم شيخ أو شيوخ تتلمذ عليهم ، وغرف من بحارهم ونهل من معينهم حتى صار عالماً .

والثعالبي واحداً من أولئك العلماء لا شك أنه كان تلميذ يوم ما ، وطالما أن تراجم القدماء والمحدثين ضنّت بأخباره فيبق معرفة شيوخه أمراً صعباً ، ولكن مؤلفاته تدل على أنه كان يسمع كثيراً وإن لم يؤكِد هو نفسه بتلمذته على من سمع منهم ، خاصة أن للرجل مؤلفاً يسمى (أحسن ما سمعت) ، هذا بجانب تنوع مؤلفاته في الفنون المختلفة دلالة أخرى على أنه لا يختص بعالم دون الآخر ، وإنما تدل على أنه يأخذ من كل فن سمعه .

---

[1] الثعالبي : نثر النظم ، دار صعب بيروت ١٩٧١م ص١٦

[2] طبقات النحاة واللغويين ج٢ص٣٥٤

[3] الثعالبي يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . مرجع سابق ج٣ص١٧

وذكر ابن الأنباري أن الثعالبي أخذ عن أبي بكر الخوارزمي قال :- (... وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي)[1] ، وقال بذلك أيضاً محمد كرد علي [2]، وذكر الذهبي أن الثعالبي أخذ عن أبي غالب المأموني [3].

والمتتبع لمؤلفات الثعالبي يلاحظ تأثيره ببعض الأعلام وذكر مكانتهم عنده وروايته عنهم في عدد من كتبه ، من هؤلاء : أبو الفتح البُستي [4] ، وأبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي [5] ، وعون بن الحسين الهمداني [6]، والشيخ أبو بكر على بن الحسن القهستاني[7].

ولكن رواياته عن الخوارزمي فاقت روايات هؤلاء جميعاً في كثرتها ، هذا بجانب احتلال الخوارزمي مكانة خاصة عنده ، ومن ذلك تلقيبه له ببعض الألقاب التي تدل على إحترام الثعالبي له في جميع رواياته عنه ، أو المواضع التي ذكره فيها من مؤلفاته .

هذا بجانب ما أورده الثعالبي نفسه أنه أفاد من علماء وفدوا إلى نيسابور (كأبي الفضل محمد بن عبد الواحد التميمي ، وأبي يعلي محمد بن الحسن البصري ، وأبي نصر سهل بن المرزبان)[8].

وقد أورد الثعالبي في اليتيمة نصوص تفيد بسماعه من بعض الشيوخ المذكورين ، من ذلك قوله عن أبي نصر سهل بن المرزبان في معرض حديثه عن أبياتٍ من شعر السري إذْ قال:- (وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي النّاس ، وإنّما في مجلّده بخط السري

---

[1] ابن الأنباري : نزهة الأنباء في طبقات الأدباء ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي . مكتبة المنار – الأردن ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص٢٦٦ .

[2] محمد كرد علي : كنوز الأجداد . مرجع سابق ص٢٣٣

[3] الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي : تاريخ الإسلام، ٥٢ مجلداً ، تحقيق : د. عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧ ، ج٢٧ ص٦٥ .

[4] روى عنه في يتيمة الدهر ، لطائف المعارف ، من غاب عنه المطرب ، اللطائف والظرائف وغيرها

[5] روى عنه في اليتيمة ، لطائف المعارف ، تحسين القبيح وتقبيح الحسن

[6] روى عنه في تتمة اليتيمة في عدة مواضع ج٢ص١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦.

[7] روى عنه في تتمة اليتيمة

[8] ترجم لهم في اليتيمة ج١ ص٦٣، ٨٩

استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد وهي الآن عنده ، وكل خبر من عندنا من عنده)[١]

وكرر مثل ذلك في حديثه عن شعر ابن نُباتة السعدي حيث قال :- (وأوّل ما وقع شعره إلى خراسان إنّما وقع على يد أبي نصر سهل بن المرزبان ، فإنّه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله بها ، من ظرائف الدفاتر ولطائفها ، وذخائرها وأخايرها واتحفني به وهو بغبار السفر)[٢].

وقد أورد الثعالبي نفسه نصاً صريحاً يفيد بأنه سمع من أبي الفتح البُستي حين قال : (... أسأل الله بقاءه حتى أُرزق لقاءه . وأتمنى قربه كما تُتمنى الجنّة وإن لم يتقدم لها الرؤية ، حتى وافقت المنية حكم القدر ، وطلع على نيسابور طُلوع القمر ، فزاد العين على الأثر ، والإختبار على الخبر ، ورأيته يغرف في الأدب من البحر ، وكأنّما يُوحَى إليه في النّظم والنّثر ،... ، فما زلتُ في قدماته الثلاث بنيسابور بين سرور وأنيس مُقيم ، ومن حُسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرته ، في جنّة نعيم أجتني ثمر الغرائب من فوائده ، وأنظِم العقود من فرائده . ولم تكن تغنيني كتبه في غيبته ، ولا أكاد أخلو من آثار وده وكرم عهده)[٣].

هذا بجانب ملاحظة الباحث أنّ العلماء الذين يُعدّون من شيوخ الثعالبي إنه في رواياته عنهم في كتابه اليتيمة تحديداً (يروي عنهم أخبار من ذكرهم من الشعراء والكُتّاب) ويستخدم في روايته عنهم لفظتي (حكى وسمعت) ، خلافاً للرواة الآخرين الذين يروي عنهم الأشعار في الكتاب نفسه ويستخدِم لفظة(أنشدني) ، ومن نماذج روايته عن أولئك الذين يعدون شيوخه كما سبق : ما حكاه الثعالبي نفسه عن (ميمون بن سهل الواسطي) قائلاً: (وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي قائلاً: أنّ ابن سكّرة الهاشمي .... ،وفي موضع آخر سمعت ميمون بن سهل الواسطي يقول ... الخ)[٤].

وفعل مثل ذلك مع عون بن الحسين الهمداني ، وأبي بكر علي بن الحسن القهستاني ، وكذلك أبي الفتح البستي الذي أورد الباحث عنه نصاً يفيد بسماع الثعالبي منه ، وأمّا الخوارزمي

---

[١] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج٢ ، ص١١٥ .

[٢] الثعالبي : يتيمة الدهر ،ج٢ ، ص٣٦٠ .

[٣] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ص٢٢٢ .

[٤] المرجع السابق نفسه ، ج٣ ، ص٥ ، ٣٩ .

فنجد نصاً من المؤلّف نفسه يفيد أنّه قرأ عليه حيث قال (أي الثعالبي) : (أقرأني أبو بكر الخوارزمي كتاباً لأبي محمد الخازن ...)[1].

هكذا كانت حياة الثعالبي مع الشيوخ والعلماء فإنهم ضالته متى وجد عالماً أخذ عنة .

*** تلاميذه : .**

ومثلما ضنّت المصادر عن ذكر شيوخ الثعالبي ، كذلك لم تجُد بذكر تلاميذه ، وطالما أنه أحد العلماء فلابد أن يكون له تلاميذ نهلوا من معينه ، وهذا ما أشار إليه ابن بسام في حديثه عن الثعالبي حيث قال : (... سار ذكره سير المثل ، وضُربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه في المشارق والغرب طلوع النجم في الغياهب ، وتواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر راو لها وجامع من أن يستوفيها عد أو وصف ...) [2].

ففي حديث ابن بسام ((ضُربت إليه آباط الإبل))، و((أكثر راو لها وجامع)) إشارة إلى أن هناك تلاميذ يفدون إليه ، ويروون مؤلفاته ، والرواية دائماً ترتبط بالملازمة والتلمذة مما يدل على أن للثعالبي تلاميذ يسمعون منه ويروون عنه .

وقد أورد الباخرزي نصاً يشير بتلمذته على الثعالبي حين قال :- (... ، وكنت أنا أزغب في الإستضاءة بنوره أرغب ، ... ، فكم حملتُ كتباً تدور بينهما في الإخوانيات ، وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات ، ...) [3] وكذلك صرّح البيهقي بأنه سمِع من الثعالبي حين كان بنسابور [4] ، بجانب ما أشار إليه الثعالبي نفسه أن بعض تلامذته قرأ اليتيمة عليه [5] ، وذكر كذلك (أي الثعالبي) أن أبا المحاسن سعد بن محمد بن منصور رئيس جرجان قرأ كتاب اليتيمة عليه [6] .

---

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٣ ، ص٢٣٦ .

[2] ابن بسام الشنتريني : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ثماني مجلدات ، دار الثقافة بيروت ١٤١٧هـ ١٩٩٧م تحقيق إحسان عباس ج٨ص٥٦٠ -٥٦١

[3] الباخرزي : دمية القصر وعصرة أهل العصر ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧١م ، ج٢ص٢٦٢

[4] البيهقي :أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ترجمة يحي الخشاب ، مطبعة الأنجلو المصري ١٩٥٦م ص٧٣٥

[5] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . مرجع سابق ج٤ ص٤٥٠

[6] الثعالبي : تتمة اليتيمة ج١، ص١٧٣.

تعليمه وأدبه : .

قبل الحديث عن تعليم الثعالبي لا بد من إلمامه سريعة بالحياة السياسية والاجتماعية والأدبية عن العصر الذي نشأ فيه الثعالبي وأثّرت فيه ، وهو منتصف القرن الرابع الهجري .

إنّ القرن الرابع الهجري تقسّمت فيه الدولة العباسية ، وهذا الإنقسام من أهم مظاهر الحياة السياسية في ذلك العصر ، وهذا ما ذكره أحمد أمين بقوله : ((وأهم مظهر يأخذ بالأبصار في ذلك العصر ما حصل للدولة الإسلامية من الإنقسام ، ....، وأخذت الأقطار الإسلاميّة تستقل عن بغداد شيئاً فشيئاً ،...، فصارت المملكة الإسلامية عبارة عن دول متعددة مستقلة .....)) [1].

هذا الإنقسام السياسي تبعه تكوين إمارات مختلفة ومجتمعات متباينة لكل إمارة ولاتها وخلفائها ، وإتسمت هذه الحياة الاجتماعية بمظهرين هما : الترف في بيوت الخلفاء والأمراء والفقر في عامة الشعب والعلماء والأدباء وهذا ما ذهب إليه أحمد أمين حين قال : ((نشأ عن هذه الحالة الإجتماعية مظاهر متعددة ، ترف لا حد له في بيوت الخلفاء والأمراء وذوي المناصب ، وفقر لا حد له في عامة الشعب ، والعلماء الذين لم يتصلوا بالأغنياء ، ثم المظاهر التي تنتج عن الترف ، والمظاهر التي تنشأ عن الفقر ، وعلى العموم فالحياة مضطربة أشد الاضطراب .....الخ)) [2].

هذا فيما يخص الحياة السياسية والإجتماعية أما الحياة العلمية والأدبية فلم تتأثر بل ازدهرت لأنّ الخلفاء والولاة في الولايات المختلفة عمِلوا على تشجيع الحياة الأدبية والعلمية مما ساعد على ظهور نهضة أدبية واسعة وذلك ما أورده الدكتور الزهيري بقوله : ((وتبع هذا الانقسام . يعني انقسام الدولة الإسلامية . ظهور الآداب الإقليمية ، ونلاحظ أن لكل أدب خصائصه المميزة له))[3] .

---

[1] أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج١ ص٧٧.

[2] المرجع السابق ، ج١ ص ٩٩.

[3] الزهيري : محمود غناوي الزهيري : الأدب في ظل بني بوية ، مطبعة الأمانة مصر ١٩٤٩ص٢٩١

ومن تلك الدويلات الإمارات الفارسية ((كإمارة السامانيين الذين امتد نفوذهم في خراسان ، وإمارة البويهيين الذين بسطوا نفوذهم على الولايات الجنوبية من إيران))[١] .

وتحدث الدكتور شوقي ضيف عن أثر هذه الإمارات على الحياة الأدبية فقال : ((... فقد هيأت هذه الإمارات والدول لنهضة أدبية وعقلية واسعة ، بحيث يُعد هذا الانقسام على الرغم مما كان فيه من انقسام الدولة العباسية على هذا النحو أحفل العصور الأدبية بالنشاط العلمي والأدبي والفلسفي))[٢] .

هذه الثقافات المتنوعة التي أنتجتها تلك الدول والإمارات كالثقافة الفارسية ، والثقافة الهندية بجانب الثقافة الأم " العربية والإسلامية " كلها انصهرت مع بعضها متأثرة بالثقافة العربية والإسلامية ، وهذا ما ذكره الدكتور صالح آدم بيلو بقوله : ((أن هناك ثقافات أجنبية ألمت بالمسلمين كثقافة الفرس وفلسفة اليونان وحكمة الهند وثقافات أخرى كالسريانية واليهودية والنصرانية ، ...، والتي اتصلت بالعرب والمسلمين عن طريق الاتصال المباشر الذي يتم عن طريق المخالطة والمعايشة اليومية ، وكذلك ما كان يجري من محادثات ومحاورات بين العرب والمسلمين عن طريق الاتصال المباشر الذي يتم عن طريق المخالطة والمعايشة اليومية وكذلك ما كان يجري من مجادلات ومحاورات بين العرب والمسلمين وأصحاب الديانات الأخرى والملل والنحل المختلفة ، وكذلك عن طريق الترجمة والنقل))[٣].

هذا هو العصر الذي وُلد ونشأ فيه الثعالبي وعاش أحداثه المختلفة من سياسية واجتماعية وثقافية .

وبالرجوع إلى مصادر الأدب والتراجم التي تعرّض أصحابها لذكر الثعالبي نجدهم تحدثوا بإعجاب عن ثقافته وأدبه واطلاعه وعلمه ومن ذلك ما أورده الباخرزي بقوله : ((أنه أسد

---

[١] ضيف : شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف مصر ١٩٦٠ الطبعة الخامسة ص٢٠١.

[٢] المرجع السابق نفسه، ص٢٠٢

[٣] صالح آدم بيلو : الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ١٩٨٨ م ص ٢١.٢٠.

الصناعة في غابة ثعالب ، وتصنيفاته للأنس جوال جوالب وأسلاته في النطق قواض قواضب))[1].

ومن ذلك أيضاً ما أورده الصفدي بقوله : ((... الأديب الشاعر صاحب التصانيف الأدبية ،... وكان يلقُب بجاحظ زمانه))[2] .

وكذلك قول ابن بسام : ((كان أبو منصور وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، أسوة المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنفين بحكم أقرانه ، سار ذكره سير المثل ...الخ))[3]

وكذلك أيضاً ما ساقه أحمد أمين بقوله : ((كان أدبياً على أسلوب أهل زمانه ، وكان واسع العلم باللغة والأدب والأُدباء وتأريخهم وألّف في ذلك كله ...))[4] .

هذه الأقوال وغيرها تدل على مدى الإعجاب الذي أثاره أبو منصور الثعالبي في نفوس من ترجموا له أو اطلعوا على مؤلفاته فأدركوا غزارة علمه وسعة ثقافته وكثرة اطلاعه.

وبجانب أقوال العلماء فيه نجد أن مؤلفاته أيضاً تدل على أنه اغترف من كل روافد المعرفة في عصره ، ولم يقتصر على علم بعينه فجاءت مؤلفاته شاملة لثقافات متعددة حواها عصره ، فهي تكاد تكون موسوعة لثقافة القرن الرابع ، فنجده ألّف في اللغة على سبيل المثال لا الحصر : فقه اللغة ، وسر العربية ، وسحر البلاغة وسحر البراعة ، وألّف في الأدب والتراجم يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، بجانب ملاحظاته النقدية التي أوردها في ثنايا كتبه وألّف كتاباً سماه السياسة ، وكتاب الثلج والمطر ، وكتاب الاقتباس يعني الاقتباس من القرآن الكريم ، وغير ذلك من المؤلفات التي تعبر عن ثقافة عصره .

---

[1] الباخرزي : دمية القصر وعصرة أهل العصر . مرجع سابق ج١ ص١١٢.

[2] الصفدي : صلاح الدين بن أبيك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٩ مجلداً دار إحياء التراث بيروت ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م تحقيق أحمد الأرناؤوط تركي مصطفى ج١٩ص١٣٠

[3] ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . مرجع سابق ج٨ص٥٦١

[4] أحمد أمين : ظهر الإسلام . مرجع سابق ج١ص٢١٠

*** مصادر معارفه: .**

يرى الباحث من خلال اطلاعه على بعض مؤلفات الثعالبي أنه استمد معارفه من المصادر التالية : .

- القرآن الكريم : الذي يكثر من الاستشهاد بآياته والحديث عنه ويكفي أنه ألف كتاباً في الاقتباس من القرآن الكريم سماه (الإقتباس)، بجانب التراث الإسلامي .
- الثقافة الفارسية : تلك التي نشأ فيها وتشربها .
- التراث العربي : ومن ذلك اللغة العربية التي صار إماماً فيها ، بالإضافة إلى اقتداءه بشيوخها واهتمامه بالشعراء العرب كالمتنبي وغيره ، واهتمامه كذلك بالحكام العرب الذين لديهم الغيرة على تراثهم كسيف الدولة وغيرة .

كل ذلك يدل على اتساع علمه وإلمامه بثقافة عصره التي ترجمها وعبّر عنها في مؤلفاته المختلفة .

*** أدبه : .**

الأدب مرآة حياة الأديب ، وصدى لما يدور حوله من مؤثرات ، ويُقصد بأدب الثعالبي آثاره الشعرية والنثرية ، بالإضافة إلى مؤلفاته التي خلفها في حياته .

وتفيد المصادر التي تحدثت عن الرجل أنه ينظم الشعر بجانب مؤلفاته الغزيرة حتى اقترن اسمه عند أغلب أهل التراجم والأدب (بالأديب الشاعر) ، وأحياناً (شيخ الأدب) إلى غير ذلك من الصفات والألقاب التي تدل على أدبه ومؤلفاته ، ويقصد الباحث بأدبه هنا (إنتاجه الأدبي) من الشعر والنثر والذي يتمثّل في :-

أولاً: شعره : .

ذكرت المصادر أن الثعالبي شاعراً حتى اقترن اسمه عند أصحاب التراجم بذلك كالذهبي الذي قال ترجمته (أي ترجمة الثعالبي) : ((أبو منصور الثعالبي النيسابوري الأديب الشاعر ...الخ))[1]، وكذلك الصفدي .[2] وغيرهما .

---

[1] الذهبي : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ج٢٩ص٢٩٢).

[2] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣٠

وقد أورد الحصري القيرواني للثعالبي شعراً حيث قال :- (كتب أبومنصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي إلى الأمير أبي الفضل عبيدالله بن أحمد المكيال وقد زاره الأمير في داره (من الكامل) :-

مازال مجْدُك للسّماك رسيلاً وعُلُو جَدِّك بالخلود كفيلا
ياغُرّة الزمن البهيم إذا غدا أهلُ العُلا لزمانهم تَحْجيلا
يازائراً مُدّت سحائبُ طَوْله ظِلاً عليّ مِنَ الجَمالِ ظليلا
وأتتْ بصوب جواهرٍ مِن لفظِه حتّى انتظمنْ لِمَفْرقي إكليلا
بأبي وغير أبي هلالٌ نورُه يسْتعْجلُ التسبيحَ والتهليلا
نقَشَتْ حَوَافِرُ طِرْفِه في عِرْصتي نقْشاً محوْتُ رُسُومهُ تقيبلا
ولو استطعتُ فَرَشْتُ مسْقِط خطوه بعيُونِ عينٍ لا ترى التكحيلا
ونثرتُ رُوحي بعدما ملكت يدي وخررتُ بين يَدَي هواه قتيلا[1]

وأورد الذهبي شعراً للثعالبي في أبي الفضل المكيالي قوله (من السريع): .

لك في المفاخر معجزات جمة أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شأنه شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو كالوشي في برد□عليه موسع
وإذا تفتق نور شعرك ناظراً فالحسن بين مرصع ومصرَّع [2]

ومن شعره كذلك في أبي الفضل المكيالي ما ذكره الصفدي : .

من رأى غرة الأمير أبي الفضل أزدرى المشتري ببرج القوس
من يطالع آدابه وعلاوة يطالع في انموذج الفردوس [3]

ومنه أيضاً ما أورده ابن خلكان في وصف فرسٍ أهداه إليه ممدوحة (من الكامل): .

يا واهب الطرف الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الأربع

---

[1] الحصري القيرواني : أبوإسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، زهر الآداب ، أربعة أجزاء ، تحقيق : د. صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصريّة – بيروت ٢٠٠٥م ، ج٢ ،ص٣١ .

[2] الذهبي : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ج٢٩ص٢٩٢ .

[3] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣٢

لا شيئ أسرع منه إلاّ خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أنني انصفت في إكرامة لجلال مهدية الكريم الألمعي
أضفته حب الفؤاد محبةً وجعلتُ مربطه سواد المدمع [1]

وأورد العبّاسي للثعالبي أبياتاً في الشكوى إذْ يقول (من الوافر):-

ثلاثٌ قد رُميتُ بهن أضحت لنار القلبِ مِنّي كالأثافي
ديونٌ أنقضت ظهري وجِوري من الأيّام شاب له غدافِي
وفقدانُ الكفاف وأيُّ عيشٍ لمن يُمنى بفقدانِ الكفاف [2]

وذكر الجادر : ((أن شعر الثعالبي يدور حول أغراض المدح ،الوصف ، الغزل ، الإخونيات ، الخمريات ، الشكوى ، الحكمة ، والرثاء)) [3] .

وذكر الدكتور محمد زغلول سلام أن شعر الثعالبي جُمِع في ديوانٍ حمل اسمه [4] .

ثانياً : نثره :.

يمثل نثر الثعالبي جانباً من تراثنا الأدبي ، ويتمثّل نثره في التراث الضخم من مؤلفاته التي خلّفها بالإضافة إلى مراسلاته .

والطابع العام لنثر الثعالبي كما تشهد به مؤلفاته هو ميله إلى التأنُق في الأسلوب وإستخدام السجع والمحسنات البديعية ، فهو يخضع في أسلوبه لطابع عصره ، و قد كتب الثعالبي نماذج نثرية متنوعة ضمّنها كتبه المختلفة بجانب أسلوبه في مقدمات كتبه .

والمعروف أن عصر الثعالبي تطورت فيه فنون الكتابه خاصة على يد ابن العميد ، والصحاب بن عباد ، والخوارزمي وغيرهم من كُتّاب النثر ممن هم كانوا في الذروة ، هذا بجانب ترف الألفاظ ورقّتها الذي تميّزت به أساليب الكُتّاب الفرس الذين تأثر الثعالبي بألفاظهم وأساليبهم .

وقد أورد الحصري القيرواني للثعالبي قطعة نثريّة يصف فيها شمس المعالي في كتاب الّفه له إذْ كتب الثعالبي قائلاً :- (أمّا على أثر حمد الله الذي هو أوّل كتابه ، وآخِر دعوى ساكني دار

---

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . مرجع سابق ج٣ ص١٧٩

[2] العبّاسي : عبدالرحيم بن أحمد العبّاسي ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، أربعة أجزاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة – مصر ، ١٩٤٧م ، ص٢١٧ .

[3] الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً . مرجع سابق ص٤٥٩

[4] د. محمد زغلول سلام : الأدب في عصر العباسيين . مرجع سابق ج٢ ص٢٠٦

ثوابه ، والصلاة على خِيرته من بريّته ، وعلى الصفوة من ذُرّيته ، فإنّ خيرُ الكلام ما شغل بخدمة من جمع الله له عِزّة المُلْك إلى بسطة العِلم ، ونور الحكمة إلى نُفوذ الحُكم ، وجعله مميّزاً على ملوك العصر ، ومدبّري الأرض وولاه الأمر ، بخصائص من العدل ، وجلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحْض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يُدْرك أقلّها بالعِبارات ، ومحاسن(سِيَرَ) الأنام ، تحْرُسها أسِنّة الأقلام ، وتدرسها ألسِنة الليالي والأيّام ، وهذه صفة تغني عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إيّاها ، واستئساره على جميع الملوك بها ، ولِعلم سامعها ببديهة السماع أنّها للأمير ، شمس المعالي خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نافرة ...)[1]

وقد تناول الدكتور زكي مبارك نثر الثعالبي حيث قال :- (وأمّا نثره فجيّد ، يغلُب عليه السجع ، ولكنّه برئ من التكلُّف ومن الغُموض ، وانظُر قوله في وصف عبيدالله المكيالي : ومن أراد أن يسمع سر النّظم ، وسحر النّثر ، ورقية الدّهر ، ويرى صوب العقل ، وذوب الظرف ، ونتيجة الفضل ، فليستنشد ما أسفر عنه طبع مجده ، وأقرّه عالي فكره ، من مُلَح تمتزج بأجزاء النفوس لنفاستها ، وتشرب القلوب لسلاستها ... وايم الله ما من يومٍ أسعفني فيه الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدني بالاقتباس من نوره ، والإغتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسؤْدد تنتشر من شمائله ، ورأيتُ فضائل أفراد الدّهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الكرم والفضل من ألحاظه ، وانتهبت فرائد الفوائد من ألفاظه ، إلاّ تذكرت ما أنشدنيه أدام الله تأييده لابن الرومي:

لولا عجائبُ صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحمٍ ولا عصب

وما أنس لا أنس أيّامي عنده بفيروزآبادي ، إحدى قراه برستاق جوين ، سقاها الله ما يحكي أخلاق صاحبها من سبل القطر، فإنّها كانت بطلعته البدريّة ، وعشرته العطريّة ، وآدابه العلويّة ، وألفاظه اللؤلؤيّة ، مع جلائل أنعامه المذكورة ، ودقائق إكرامه المشهورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن أقواله وأفعاله التي يعيا بها الواصفون ، أنموذجات من الجنّة التي وُعِد المتقون ، فإذا تذكّرتها في تلك المرابع التي هي مراتع النواظر ، والمصانع التي هي مطالع العيش الناضر ، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت طرائف مطارفها . طُوِي لها الديباج الخسرواني ، ونُفِي معها

[1] الحصري القيرواني : زهر الآداب ، ج٢ ، ص٨٧-٨٨ .

الوشي الصنعاني ، فلم تُشبّه إلاّ بشِيمه ، وآثار قلمه ، وأزهار كلِمه ، تذكرتُ سحراً وسيماً ، وخيراً عميماً ، وارتياحاً مقيماً ، وروحاً وريحاناً ونعيماً)[1] .

وبالرجوع إلى مؤلفات الثعالبي نلاحظ إختلاف أسلوبه طولاً وقِصَراً نظراً لأهمية من يقصده بالحديث ، فإن كان ما يقصده أديباً ماهراً أو أميراً أو وزيراً غلب على أسلوبه السجع ، من ذلك كحديثه عن سيف الدولة : ((كان بنو حمدان أوجههم للصباحة ، وأيديهم للسماحة وعقولهم للرّجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلاتهم ، وكان – رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه . غرة الزمان وعماد الإسلام ، ومن به سداد الثغور وسداد الأمور وكانت وقائعه في عُصاة العرب تكف بأسها ، وتنزع لباسها ، وتغل أنيابها وتذل صعابها ...الخ))[2].

وقد يتخلى عن السجع ويلتزم صوراً بلاغيه أُخرى فيُكثِر من التشبيه والاستعارة ومن ذلك حديثه عن المتنبئ : ((نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعه ودفع من قدره ، ونفق سعر شعره وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام تحفظه))[3].

ويميل أحياناً إلى الإستشهاد بجيد الشعر في مواضع كثيرة من أحاديثه عن الشعراء والكُتّاب ، ونراه يستخدم الألقاب ويلتزم ألفاظاً معينة حتى تكاد تتكرر الألفاظ نفسها في ذكرى أكثر من شخص ونلاحظ في حديثة عن ابن العميد[4] والصاحب بن عباد [5] وقابوس بن وشمكير [6] .

ويلاحظ الباحث أيضاً أن الثعالبي كتب مقدمات مختلفة في صدور كتبه ، وكذلك تباين أسلوب هذه المقدمات طولاً وقصراً تبعاً لمكانة من يريد أن يهديه كتابه ، وهو يتأنّق في تلك

---

[1] زكي مبارك : الدكتور محمّد زكي عبدالسلام مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ،جزءان ، دار الجيل – بيروت ، ط١ ،١٩٣٤م ، ج٢ ،ص٢١٨-٢١٩ .

[2] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . مرجع سابق ج١ص٢٧

[3] المرجع السابق نفسه ،ج١ ، ص١٢٦.

[4] الثعالبي : اليتيمة ، ج٣ص١٥٨

[5] المرجع السابق نفسه ص١٩٢

[6] المرجع السابق نفسه ج٤ ص٥٩

المقدمات ولكن الملاحظ أن الثعالبي في تلك المقدمات يهتم بافتتاح مؤلفاته بالتحميد ، ثم يدخل إلى مدح الذي يريد إهدائه الكتاب ، فجاءت مقدماته كسائر نثره من حيث خصائصه في الطول والقِصَر والسجع والتشبيه إلى غير ذلك بالإضافة إلى استخدام الألقاب مُتّبعاً الأسلوب السائد في عصره وهذا ما قرره أحمد أمين بقوله : ((كان أدبياً بليغاً على أسلوب أهل زمانه في السجع والاستعارة والتشبيه))[1] .

هكذا كان أبومنصور الثعالبي شاعراً يقرض الشعر كما كان كاتباً برع في فنون الكتابة ملتزماً بتقاليدها التي كانت سائدة في عصره .

[1] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج١ ، ص٢١٠

- **وفاته : .**

لم تغفل التراجم (قديمة وحديثة) تأريخ وفاة الثعالبي ، ولكنها أوردت خلافاً في تاريخ تلك الوفاة ما بين ثلاثين وأربعمائة أو تسع وعشرين .

وذكر ابن خلكان أنّ الثعالبي توفى سنة تسع وعشرين وأربعمائة حيث قال: ((توفى سنة تسعٍ وعشرين وأربعمائة رحمه الله)) [١]، وقال بذلك أيضاً ابن كثير [٢] والعباسي [٣] وأغلب أصحاب التراجم وكل محققو كتب الثعالبي والباحثين.

غير أن اليافعي أشار إلى أن وفاته كانت سنة ثلاثين واربعمائة للهجرة فقال : ((توفى سنة ثلاثين وأربعمائة))[٤] ، وكذلك الحنبلي [٥]الذي أورد نفس التأريخ .

ومن أصحاب التراجم من وقف بين الرأيين كالصفدي الذي قال : ((توفى سنة ثلاثين وأربعمائة وقيل تسع وعشرين))[٦] .

وبعد الرجوع للتراجم التي تعرضت لحياة الثعالبي وجد الباحث أن أغلب التراجم ذكرت أنه توفى سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، هذا بجانب إجماع من حققوا كتبه وكذلك الباحثين ، وإن كان الخلاف في تأريخ الوفاة عاماً واحداً . رحمه الله .

---

[١] ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . مرجع سابق ج ٣ص١٨٠

[٢] ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة مصر ، دون تاريخ طبعة ج١٢ ص٤٤

[٣] العباسي : عبد الرحيم العباسي : معاهد التنصيص ، تحقيق إبراهيم الدسوقي ، دار مصر للطباعة ١٣٧٤هـ ص٤٧٣ .

[٤] اليافعي : أبو عبد الله أسعد بن علي بن سليمان اليافعي : مرآة الجنان ، أربع مجلدات دار الكتاب الإسلامي القاهرة ١٩٩٣ج٣ ص٥٣

[٥] الحنبلي : عبد الحي بن محمد بن أحمد الحنبلي : شذرات الذهب ، عشر مجلدات ، دار ابن كثير دمشق ١٤٠٦هـ ط١ ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، محمد الأرناؤوط ج٣ص٢٤٦ .

[٦] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ ص١٣٠

المبحث الثاني

مؤلفاته : .

شغلت مؤلفات الثعالبي كل من تعرض لترجمته من القدماء والمحدثين والمحققين ، وذلك لكثرتها وتنوع مادتها العلمية التي شملت أغلب ثقافات عصره .

أمّا عدّها فقد تفاوت أصحاب التراجم فيه (قدماء ومحدثين)، فمنهم من ذكر المشهور منها ومنهم من ذكر ما رآه ، بجانب ذِكْر الثعالبي نفسه بعض مؤلفاته في مُتون كتبه الأُخرى ، هذا بالإضافة إلى ما ذكره المحققين لمؤلفاته .

وبالرجوع إلى تراجم القدماء نجدهم قد أوردوا قوائم متفاوتة لمؤلفات الثعالبي ومن أشهر تلك القوائم ما قدّمه الصفدي حيث أورد قائمة بأكثر من ثمانين كتاباً هذا بجانب ما عدّه صاحب كشف الظنون ، وقدّم الكلاعي قائمة تضُم واحداً وعشرين كتاباً، وما عدا أولئك من القدماء فلا يتعدى ذكرهم لخمسة أو عَشرِ كُتبٍ .

وأما المحدثون فقد اهتموا كذلك بمؤلفات الثعالبي وتفاوت عدّهم لها أيضاً ومن أشهر أولئك جرجي زيدان حيث ذكر ستة وثلاثين كتاباً ووضّح ما هو مطبوع منها وما هو مخطوط مع إشارته إلى مكان المخطوط ، وكذلك الزركلي الذي ذكر ثلاثة وثلاثين كتاباً بين مطبوع ومخطوط ،وعمر رضا كحالة الذي أورد قائمة باثنين وعشرين كتاباً وغيرهم من المحدثين ممن تطرقوا لمؤلفات الثعالبي .

وبالإضافة لجهود القدماء والمحدثين نجد كذلك المحققين الذين عمِلوا على تحقيق كتب الثعالبي فذكروا كتبه منهم عبد الفتّاح محمد الحلو(محقق كتاب التمثيل والمحاضرة) الذي أسهب في ذكر مؤلفات الثعالبي فأورد قائمة بأربعة وثمانين كتاباً مابين مطبوعٍ ومخطوط تنوعت بين اللغة والسيرة و الأخبار والبلاغة والأدب (شعره ونثره) مع الإشارة لبيان المطبوع ومكان المخطوط ، وكذلك الدكتور مفيد محمد قميحة (أحد محققي اليتيمة)الذي ذكر تسعة وعشرين كتاباً ، وغيرهما من المحققين.

كل تلك الجهود من القدماء والمحدثين والمحققين أسهمت كثيراً في معرفة مؤلفات الثعالبي من حيث عددها وموضوعاتها وصحة أسمائها ونسبتها إلى صاحبها .

ويرى الباحث أن يقسّم مؤلفات الثعالبي إلى قسمين مطبوعة ومخطوطة على النحو التالي :-

أولاً : مؤلفاته المطبوعة

١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : .

ذكره الثعالبي بهذا الاسم [١] ، وابن خلكان [٢] الصفدي [٣] و صاحب كشف الظنون [٤] وغيرهم .

.

وذكره من المحدثين الدكتور عمر فروخ [٥]، وغيره من المحدثين ، بالإضافة إلى محققي الكتاب نفسه نفسه . والمادة الغالبة في الكتاب شعر ونثر بالإضافة إلى ذكر لُمع من أخبار الذين أورد المؤلف أشعارهم . وقد طُبِعَ الكتاب عدة مرات مع تحقيقاته أهمها ما قدّمه الأستاذ : محمد محي الدين عبد الحميد ومُفيد محمد قميحة ، والأستاذ: إبراهيم محمد صقر .

ونبسط القول عن الكتاب في المبحث الخاص بالكتاب نفسه إن شاء الله .

٢) التمثيل والمحاضرة : .

ذكره الثعالبي بهذا الاسم [٦] ، وكذلك الصفدي [١] وصاحب كشف الظنون [٢] ورياض زاده [٣] [٣] والذهبي [٤] وقد طُبع الكتاب بمصر سنة ١٩٦١م بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو . وقد صرّح صرّح المؤلف بإهدائه إلى قابوس بن وشكمير .

---

[١] الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . مرجع سابق ص٧٤

[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . ج٣ص١٨٠

[٣] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣٠

[٤] الحنفي : كشف الظنون . مرجع سابق ج٢ ص٢٠٤

[٥] عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ، ستة أجزاء ، دار العلم للملايين – – بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٩٧م ،ج٣ ص١٠٤ .

[٦] الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب . مرجع سابق ص٣٣،ص١١٩

٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : .

ذكره الثعالبي بهذا الاسم في مقدمة الكتاب نفسه ، وذكره الصفدي [٥] أيضاً وذكره أيضاً الكِلاعي [٦] ، والحنفي [٧] .

وقد طُبِعَ الكتاب بعدة تحقيقات ، وقد صرح المؤلف في مقدمته بإهدائه إلى الأمير أبي الفضل المكيالي ، وأشار المؤلف كذلك إلى أنه هو الذي أمره بتأليفه .

ومنهج الكتاب قائم على ذكر أشياء مضافة أو منسوبة إلى المعنى الذي يُعقد الباب عليه .

٤) فقه اللغة وسر العربية : .

ذكر الثعالبي في المقدمة أنه ألف هذا الكتاب لأبي الفضل المكيالي واختار اسم (فقه اللغة) وشفعة ب(سر العربية) وذكره بهذا الاسم كل من ابن خلكان [٨] الصفدي [٩] ، والكلاعي [١٠] ،.

وقد طُبِعَ الكتاب عُدة طبعات بمصر وغيرها ، وقد أُعجِب به القدماء ، ونقل منه السيوطي في المزهر بعض مادته .

---

[١] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ ص١٣٠

[٢] الحنفي : كشف الظنون . مرجع سابق ج١ ص٢٨٣

[٣] عبد اللطيف بن محمد رياض زاده ، أسماء الكتب،دار الفكر دمشق ١٩٨٣م ،ط٣ تحقيق التو نجي ج١ ص١٠٥

[٤] الذهبي : تاريخ الإسلام مرجع سابق ج٢٩ ص٢٩٢

[٥] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣٠

[٦] الكلاعي : أبوالقاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي الإشبيلي :إحكام صنعة الكلام تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، عالم الكتب – بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م ،ص٢٣٢

[٧] الحنفي : مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي : كشف الظنون . مرجع سابق ج١ ص ٥٢٣

[٨] ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . مرجع سابق ج٢ ص ٣٥٢

[٩] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ص ١٣٠

[١٠] الكلاعي : أحكام صنعة الكلام . مرجع سابق ص ٢٣٢

٥) سحر البلاغة : .

ذكره الثعالبي [١] بهذا الاسم وتابعه الآخرون كالصفدي [٢] وغيره على هذه التسمية ، غير أن الكلاعي سماه " السحر والبلاغة "[٣] .

وذكره المحدثون باسم (سحر البلاغة) . وقد صرح مؤلفه في مقدمته بإهداء النسخة الأولى إلى أبي سهل الحمدوني ، والنسخة الثانية إلى أبي عمران موسى بن هرون الكردي والنسخة الثالثة إلى أبي الفضل المكيالي [٤] .

٦) أحسن ما سمعت : .

ذكره الثعالبي بهذا الاسم في اليتيمة في معرض حديث جرى له مع أبي الفتح البُستي فقال الثعالبي : (سألني أن أولف كتاباً في الأحاسن و أورد فيه أحسن ما سمعته في كل فن فأجبته إلى ذلك ..... الخ) [٥].

وذكره الصفدي[٦] والكلاعي[٧] وغيرهما من القدماء بهذا الاسم ، وذكره الحنفي باسم اللآلي والدُرر وقال " ويعرف بأحسن ما سمعت "[٨].

وسماه جرجي زيدان " أحسن ماسُمع "[٩] وذكر أماكن وجود مخطوطاته . وذكره المحدثين كذلك باسم (أحسن ماسمعت) .

---

[١] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . مرجع سابق ج٢ ص ٢٢٥

[٢] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق . ج١٩ ص١٣٠

[٣] الكلاعي : إحكام صنعة الكلام . مرجع سابق ص٢٣٣

[٤] الثعالبي : سحر البلاغة . مقدمة المؤلف ص٣

[٥] الثعالبي : يتيمة الدهر . مرجع سابق ج ٣ص٢٦٩

[٦] الصفدي :الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣٠

[٧] الكلاعي :إحكام صنعة الكلام . مرجع سابق ص٢٣٢

[٨] الحنفي : كشف الظنون . مرجع سابق ج٢ ص١٥٣٥

٩ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . مرجع سابق ج٢ ص٥٩٧

٧) المبهج : .

ذكره الثعالبي بهذا الاسم في مجموعة من كتبه [١] . وذكره بهذا الاسم كذلك الصفدي[٢] والحنفي[٣] والحنفي[٣] وذكر أنه(أي الثعالبي) ألّفه للأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير وذكره كذلك ابن خير الإشبيلي [٤] ونسبه للثعالبي ، وغيرهم وقد طُبع الكتاب عدة مرات .

٨) المنتحل : .

ذكره ابن خلكان ونسبه إلى الثعالبي مرة[٥] ، وإلى المكيالي مرة أخرى [٦] ونسبه الصفدي [٧]إلى [٧]إلى الثعالبي ، ونسبه ياقوت [٨] إلى المكيالي .

ونسبه أكثر الباحثين المحدثين إلى الثعالبي . ونجد أن جرجي زيدان سماه " المنتخل "[٩] ونسبه إلى الثعالبي ثم قال : ((وبعضهم نسب (المنتخل) لأبي الفضل المكيالي معاصر الثعالبي)) .

٩) أجناس التجنيس : .

ذكره الصفدي [١٠] ونسبه إلى الثعالبي ، وكذا سماه الكلاعي [١١] وكذلك ابن خير الإشبيلي [١] وذكره كذلك جرجي زيدان [٢] الذي نسبه للثعالبي أيضاً .

---

١ الثعالبي : التمثيل والمحاضرة ص٤، اللطائف والظرائف ص٥

٢ الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣٠

٣ الحنفي : كشف الظنون . مرجع ج٢ص١٥٨٢

٤ ابن خير الاشبيلي : أبو بكر محمد بن خير عمر بن خليفة الأموي ، فهرسة ابن خير الأشبيلي ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ تحقيق محمد منصور ج ١ ص٣٢٨

٥ ابن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان . مرجع سابق ج٢ص١٠٥

٦ المرجع السابق نفسه ج٤ ص١٩٤

٧ الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣١

٨ ياقوت الحموي : معجم الأدباء . مرجع ج٤ص ١١٤

٩ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . مرجع سابق ج٢ ص٥٩٨

١٠ الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ ص١٣٠

١١ الكلاعي :إحكام صنعة الكلام . مرجع سابق ص٢٣٢

١٠) من غاب عنه المطرب : .

ذكره ابن خلكان [٣] بهذا الاسم ونسبه للثعالبي وتبعه عليه الآخرون ، وذكره الصفدي [٤] كذلك وسماه (من أعوزه المطرب) ، وذكره جرجي زيدان[٥] باسم (من غاب عنه المطرب ونسبه للثعالبي كذلك .

١١) لطائف المعارف : .

ذكره القلقشندي [٦] بهذا الاسم ونقل نصوصاً منه ، وذكره كذلك الحنفي [٧] الذي أشار إلى أنّ لطائف المعارف ثلاثة كتب أقدمها كتاب الثعالبي ، وذكره كذلك ادورد فنديك [٨] ونسبه للثعالبي .

١٢) خاص الخاص : .

ذكره كذلك الصفدي [٩] بهذا الاسم ، ولم يخالف في تسميته أحد من القدماء والمحدثين ، وذكره ابن قاضي شهبه [١٠] باسم (خاص الخواص) وقد طُبع الكتاب عدة مرات بمصر وتونس ويقع في سبع أبواب متضمنة الأقوال البليغة من الآيات و الأحاديث والأمثال والأسفار .

---

١ ابن خير الإشبيلي : فهرسة ابن خير الإشبيلي . مرجع سابق ج١ص٣٢٨

٢ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . ج٢ص٥٩٨

٣ ابن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان . مرجع سابق ج٢ص٣٥٢

٤ الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٩ص١٣٠

٥ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . ج٢ص٥٩٧

٦ القلقشندي : صبح الأعشى . مرجع سابق ج١ص٤١٢،ص٤٣٣ ، ص٤٤٢

٧ الحنفي : كشف الظنون . مرجع سابق ج٢ص١٥٥٤

٨ إدورد فنديك : اكتفاء القنوع . مرجع سابق ج١ ص٢٧٢

٩ الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣٠

١٠ ابن قاضي شهبة : طبقات النحاة واللغويين ج٢ ص٣٨٨

١٣) الإيجاز والإعجاز : .

ذكره الصفدي [١] بهذا الاسم وكذلك ادورد فنديك [٢]، وسماه الحنفي [٣] ((إعجاز الإعجاز)) وتابعه على ذلك البغدادي [٤] .وقد طبع الكتاب عدة مرات ، ويقع الكتاب في عشرة أبواب معقودة على الآيات القرآنية والحكم والأمثال والشعر .

١٤) اليواقيت في بعض المواقيت : .

سماه الثعالبي [٥] بهذا الاسم ،وكذلك ابن قاضي شهبة [٦] ، قد أشار المؤلف في مقدمته إلى أنه أفتتح الكتاب بنيسابور وأتمّه بغزنة ، وأهداه إلى (الأمير الأجلّ) ولم يسم هذا الأمير ومنهج الكتاب قائم على مدح أشياء وذمها بأعيانها .

١٥) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : .

لم يشير إليه أحد من القدماء ، ذكره جرجي زيدان [٧] ونسبه للثعالبي ثم نسبه إلى أبي منصور الحسين بن محمد المر عشي في مكان آخر [٨] ، ونسبه أحمد أمين [٩] إلى الثعالبي .

ورجّح الجادر أن يكون الكتاب للثعالبي فقال : ((والذي يغلب على ظني أن يكون الكتاب من تأليف عبد الملك الثعالبي))[١٠].

---

١ الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ ص١٣٠

٢ ادورد فنديك : إكتفاء القنوع ج١ص٣٤١

٣ الحنفي : كشف الظنون ص١٢٠

٤ الخطيب البغدادي : هداية العارفين ج١ص٦٢٥

٥ الثعالبي : اللطائف والظرائف مقدمة المؤلف ص٤

٦ ابن قاضي شهبة : طبقات النحاة واللغويين ج٢ ص٣٨٨

٧ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . مرجع سابق ج٢ص٥٩٦

٨ المصدر السابق نفسه ص ٦٢٧

٩ أحمد أمين : ظهر الإسلام . مرجع سابق ج١ص٢٧٤

١٠ الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً ص١١٦

١٦) برد الأكباد في الأعداد :.

سماه الثعالبي بهذا الاسم في مقدمته [١]وتبعه على ذلك كل من ذكر الكتاب عدا الصفدي الصفدي الذي سماه ((الأعداد))[٢] وتبعه على ذلك ابن قاضي شهبة [٣] . ويقع الكتاب في خمسة خمسة أبواب سلك في كل باب منها اختيارات أدبية من الشعر والنثر قائمة على التقسيم العددي .

خصّ الباب الأوّل بالإختيارات القائمة عل شيئين ، والثاني للثلاثة والثالث للأربعة ، والرابع للخمسة ، والخامس للستة حتى العشرة .

١٧) مرآءة المروءات : .

ذكره الثعالبي بهذا الاسم في مقدمته [٤] وكذلك الصفدي [٥]وبقية القدماء والمحدثون ، عدا الكلاعي الذي ذكره باسم ((مرآة المروءة))[٦].

ويقع الكتاب في خمسة عشر باباً مفصلة يبدأ كل باب بلفظه ((مروءة)) مضافة إلى طبقات الناس ومظاهر العيش .

أما مادة الكتاب فهي اختيارات من آيات وأحاديث وأمثال وأشعار .

١٨) الظّرائف واللطائف :

---

١ الثعالبي : برد الأكباد . مقدمة المؤلف

٢ الصفدي : الوافي بالوفيات مرجع سابق ج١٩ ص١٣٠

٣ ابن قاضي شهبة : طبقات النحاة واللغويين ج٢ ص٣٨٧

٤ الثعالبي : مرآءة المروءات . مقدمة المؤلف ص ٩٣

٥ الصفدي : الوافي بالوفيات . ج١٩ص ١٣٠

٦ الكلاعي : إحكام صنعة الكلام ص٢٣٢

ذكره الصفدي [1] بهذا الاسم ، وكذلك بقية القدماء عدا الكلاعي الذي سماه ((الطرائف واللطائف))[2] . وقد طُبع الكتاب بمصر وبغداد .

أما مادة الكتاب فهي مختارات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والنثر والأمثال . ويؤخذ من مقدمة الكتاب أن الثعالبي ألفه لخوارزم شاه .

١٩) نثر النظم وحل العقد : .

ذكره الثعالبي نفسه باسم " النظم والنثر وحل عقد السحر "[3]، وذكره في مقدمة الكتاب نفسه باسم " نثر النظم وحل العقد " [4]، وسماه الكلاعي "حل العقد "[5] ، وكذلك الصفدي[6].

وطُبع الكتاب بسوريا ومصر ، وصرّح الثعالبي بأنه ألفه بأمر الملك خوارزم شاه .

٢٠) تتمة اليتيمة : .

ذكره ياقوت بهذا الاسم [7] . وكذلك الصفدي [8] والسبكي [1]فمنهجه قائم على ما قام عليه منهج اليتيمة في التقسيم البيني للشعراء ، وتميز عن اليتيمة بقلة أخباره ، وقد طُبع الكتاب مع اليتيمة بتحقيق الأستاذ إبراهيم محمد صغر .

---

١ الصفدي : الوافي بالوفيات مرجع سابق ج١٩ ص١٣٠

٢ الكلاعي : إحكام صنعة الكلام ص٢٣٣

٣ الثعالبي : اللطائف والظرائف ص٤

٤ الثعالبي : نثر النظم وحل العقد : مقدمة المؤلف

٥ الكلاعي : إحكام صنعة الكلام ص٢٣٢

٦ الصفدي : الوافي بالوفيات . ج١٩ص ١٣٠

٧ الحموي : ياقوت الحموي معجم الأدباء . مرجع سابق ج٣ص٢٠٩،ج٥ص١٧٥،ج٦ص٤١١

٨ الصفدي : الوافي بالوفيات . ج١٩ص ١٣٠

٢١) الكناية والتعريض : .

ذكره الصفدي بهذا الاسم [٢] ، وذكره الكلاعي باسم (النهاية في الكناية)[٣] ، وتبعه على هذا الاسم جرجي زيدان[٤] وذكره من المحققين عبد الفتّاح الحلو [٥] باسم (الكناية والتعريض) وغيرهم من القدماء والمحدثين ولم يشك أحد في نسبته للثعالبي

ثانياً : . مؤلفاته المخطوطة : .

١) الاقتباس : .

ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر [٦]، "والكناية والتعريض "[٧] وكذلك الصفدي [٨] ويتناول الكتاب فناً بلاغياً هو الاقتباس من القرآن الكريم ، ويقع في خمسة وعشرين باباً مفصلة ومنهجه قائم على الاقتباس من القرآن الكريم لفظاً أو معنى أو عملاً .

٢) الغلمان : .

أشار إليه الثعالبي في تتمة اليتيمة ، وسماه ابن بسام " ألف غلام " [٩] وكذا الكلاعي [١٠] ، وسماه ابن خلكان " الغلمان" [١١] وتبعه على ذلك الصفدي [١٢]وجرجي زيدان [١] الذي أشار إلى أماكن وجود مخطوطاته .

---

١ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٤ص٢٨٥

٢ الصفدي : الوافي بالوفيات – ج١٩ ص١٣٠

٣ الكلاعي : إحكام صنعة الكلام ص٢٣٣

٤ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج١ص٢٨٩

٥ الثعالبي : التمثيل والمحاضرة : دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٦١م ،مطبعة الحلبي ، مقدمة المحقق

٦ الثعالبي :يتيمة الدهر . ج٢ ص٢٤٣

٧ الثعالبي : الكتابة والتعريض ص١٩

٨ الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٩ ص١٣٠

٩ ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . مرجع سابق القسم الربع ج١ص٧٦

١٠ الكلاعي : إحكام صنعة الكلام ص٢٣٣

١١ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج١ص٣٥

١٢ الصفدي : الوافي بالوفيات . ج١٩ص ١٣٠

٣) التحسين والتقبيح : .

ذكره الصفدي بهذا الاسم [٢] وكذلك ابن قاضي شهبه [٣] ، وأشار الجادر إلى وجود نسخة نسخة مخطوطة من في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية بعنوان "تحسين القبيح وتقبيح الحسن "[٤] .

٤) أحاسن المحاسن : .

ذكره الكلاعي [٥] ، والصفدي [٦] ، وابن قاضي شهبة [٧] ، وكذلك جرجي زيدان [٨] الذي أشار إلى وجود نسختين مخطوطتين من في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية.

٥) سجع المنثور : .

ذكره الكلاعي [٩] ، والصفدي [١٠] ، وابن قاضي شهبة [١١] ، وأشار الجادر[١٢] إلى وجود نسخة مخطوطة من في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية .

(٦) **المقصور والممدود** :-

نسبه الزركلي إلى الثعالبي وأشار إلى أنّه مخطوط[١٣] ،وذكره من المحدثين جرجي زيدان [١٤] وذكر وجود نسخة منه مخطوطة بدار الكتب ، وقال بذلك أيضاً محقق التمثيل والمحاضرة[١] .

---

١ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ص٥٩٧

٢ الصفدي : الوافي بالوفيات . ج١٩ص ١٣٠

٣ ابن قاضي طبقات النحاة واللغويين ج٢ص٣٨٧

٤ الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباًص١١٩

٥ الكلاعي : إحكام صنعة الكلام ص٢٣٢

٦ الصفدي : الوافي بالوفيات . ج١٩ص ١٣٠

٧ ابن قاضي طبقات النحاة واللغويين ج٢ص٣٨٧

٨ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ص٥٩٧

٩ الكلاعي : إحكام صنعة الكلام ص٢٣٣

١٠ الصفدي : الوافي بالوفيات . ج١٩ص ١٣٠

١١ ابن قاضي شهبة : طبقات النحاة واللغويين ج٢ص٣٨٨

١٢ الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباًص١٤٧

١٣ الزركلي : الأعلام ، ج٤ ص٣١١

١٤ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ن ج٢ ص٥٩٨

وأشار الجادر[٢] إلى أنّ هذا الكتاب نُسِب للثعالبي عن طريق الخطأ أو الوهم ، معللاً لذلك أنّه رجع إلى مخطوطة الثعالبي لم يجد مخطوطة بهذا الاسم منسوبة للثعالبي .

(٧) تحفة الوزراء :-

ذكره جرجي زيدان [٣] ، ولم يشر إلى أنه مخطوط أو مطبوع ، بل أشار إلى وجود نسخة منه في مكتبة غوطا ، وذكره من المحققين عبد الفتّاح الحلو [٤] الذي أشار بوجود مخطوطة منه بدار الكتب ، وذكره من الباحثين الدكتور الجادر[٥] ، والذي ذكر وجود نسختان مخطوطتان مصورتان منه في معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية .

(٨) الشكوى والعتاب :-

لم يذكره القدماء ، أمّا المحدثين فذكره جرجي زيدان [٦] ، وأشار إلى وجود نسخة منه مخطوطة بدار الكتب ، ذكره من المحققين عبد الفتّاح الحلو[٧]الذي ذكر نسخة منه مخطوطة بدار الكتب ، وذكره كذلك الدكتور مفيد محمد قميحة [٨] ولم يشر إلى إنه مطبوع أو مخطوط ، ونفى الجادر[٩] نسبة الكتاب إلى الثعالبي .

---

١ التمثيل والمحاضرة : مقدمة المحقق

٢ الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً ص١٥٧

٣ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج٢ص٥٩٨

٤ التمثيل والمحاضرة : مقدمة المحقق

٥الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً ص١٠٣

٦ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص٥٩٨

٧ التمثيل والمحاضرة : مقدمة المحقق ، ص٥

٨ يتيمة الدهر : مقدمة المحقق ، ص٦

٩ الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً ص١٦١

(٩) المتُشابه لفظاً وخطّاً :-

ذكره جرجي زيدان[١] ، وأشار إلى إنّه مخطوط بدار الكتب وتابعه على ذلك محقق التمثيل والمحاضرة[٢].

(١٠) كنز الكتاب:-

ذكره جرجي زيدان[٣] أيضاً وأشار إلى وجود نسخة مخطوطة منه في المكتبة الخديوية ، وفي فينا ،وقال بذلك عبد الفتّاح الحلو[٤] .

وللثعالبي مؤلفات أخرى كثيرة متنوعة المادة ذكرها الصفدي ، وابن قاضي شهبة ، وياقوت الحموي ، والكلاعي ، وزكي مبارك ،وجرجي زيدان ، ومحققو كتبه ، وغيرهم ممن تعرض لترجمته ، ومن تلك الكتب :- (الأحاسن في بدائع البلغاء ، أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والإسلام ، الأدب مما للنّاس فيه أرب ، الأصول في الفصول ، الأعداد ، أنس المسافر ، الأنيس في غزل التجنيس ، الأنوار البهية في تعريف مقامات فصحاء البرية ، بهجة المشتاق ، تحفة الأرواح وموائد السرور والأفراح ، التفاحة ، تفضُّل المقتدرين وتنصُّل المعتذرين ، التوفيق للتلفيق ، الثلج والمطر ، جوامع الكلم ، حُجّة العقل ، خصائص الفضائل ، الخوارزميات ، سِرّ الأدب في مجاري كلام العرب ، سرّالوزارة ، السياسة ، سيرة الملوك ، الشمس ، صنعة الشعر والنّثر ، الظُرف من شعر البستي ، الطيب ، عيون المعارف ، عيون النوادر ، غُرر المضاحك ، الفصول الفارسيّة ، لُباب الأحاسن ،لطائف الظُرفاء ، اللُمَع الغضّة ، ما جرى بين المتنبئ وسيف الدولة ، المديح ، مدح الشيئ وزمّه ، المشوق ، مفتاح الفصاحة ، مكارم الأخلاق ، اللمع

---

١ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص٥٩٨

٢ التمثيل والمحاضرة – مقدمة المحقق ، ص٥

٣ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ص٥٩٨

٤ التمثيل والمحاضرة – مقدمة المحقق ، ص٥ .

والطرف ، الملوكي ، منادمة الملوك ، مونس الوحيد ونزهة المستقيد ، من غاب عنه المونس ، نسيم السحر ، النوادر والبوادر ، والورد) .

وخلاصة القول أنّ الثعالبي تناول في مؤلفاته معارف شتى كانت سائدة في عصره وقبل عصره ، لذلك نجده ألّف في السياسة ، والطبيعة ، والعادات والتقاليد ، بجانب إهتمامه باللغة والأدب (نثره وشعره) ، مع ملاحظة أنّ أغلب مؤلّفاته كانت في ميدان الأدب نسبة لكثرة مؤلفاته فيه .

ويلاحظ الباحث أنّ أغلب كتب الثعالبي يميل فيها إلى جمع المادة العلمية وتصنيفها ، وهذا الغالب في كتبه الخاصة بالأدب ، مع تعليقاته النّقدية في بعضها ، لكن ما يميز تلك المؤلفات أنّ صاحبها يتأنّق في إختيار أسمائها ، مع تكرارأسلوبه في أغلبها .

وعلى كل حال أصبحت مؤلفات الثعالبي مشهورة في حياتة وحتى بعد وفاته ، فاشتهر بكثرة مؤلّفاته ، حتى أنّ أغلب أصحاب التراجم عرفوه بتلك المؤلفات ، لأنّه لو لا تلك المؤلفات لم يكن معروفاً ، والدليل على ذلك أنّ كل التراجم التي تناولته لم تذكر عنه إلاّ تأريخ مولده ووفاته مع الإشارة لكثرة مؤلفاته دون التعرّض لتفاصيل حياته .

وعلى العموم اهتمّ العلماء بتلك المؤلّفات فانتسخ منها بعضهم ، وحفظها البعض الآخر ، وسار على طريقته في التأليف علماء نسجوا على منواله مما جُعِلتْ كتبهم ذيولاً لبعض مؤلفاته ، فظلّت كتبه معينا للعُلماء والباحثين ، والدارسين حتى عدّ بعض المؤلفين أنّ الثعالبي رأس المؤلفين في زمانه كابن بسام ، ووضعه بعض المحدثين من أشهر مؤلّفي العربية كالدكتور مصطفى الشكعة الذي قال :- (أنّ الثعالبي واحداً من الثلاثة الكبار الذين أهدوا إلى المكتبة العربية أكبر قدر من الكتب الأدبية الخالصة ، وعدّ معه الصولي والمرزباني)[1] .

وقد أخذ بعض العلماء مآخذ على مؤلّفات الثعالبي ، ومن أولئك الكلاعي الذي قال :- (وكان أبومنصور حَسُن التأليف ، مطبوع التصنيف ، وتآليفه حسان المصادر والموارد ، ولكن لم

[1] الشكعة : مناهج التاليف عند القدماء العرب (قسم الأدب) ، دار العلم – بيروت ،الطبعة الاولى ١٩٧١م ، ص٢٧٥.

يسلك فيها مسلك أبي العلاء ، إلاّ في واحدٍ أجْرى ذكره أبو الحسن بن بسّام في كتابه الذخيرة ، وذكر له فيه من حُرِّ النّظام وبديع الكلام ما يُنْطِق البكم ويُسْمِع الصُّم)[1].

والكلاعي يقصد بمسلك أبي العلاء إعتماد المؤلّف على فكره ، فجاء تقييم الكلاعي إلى أنّ أغلب مؤلفات الثعالبي جمع وتصنيف وليس تأليف .

وهناك علماء أيضاً لهم ملاحظات على مؤلفات الثعالبي منهم ياقوت الحموي الذي أشار إلى أنّ مؤلّفات الثعالبي لم تكن مفيدة إفادة علمية ، جاء حديثه عندما تكلّم عن مؤلفات سعد بن المهذب بقوله :- (تصانيفه كثيرة يقصد بها قصد التأدُّب ، وفي معرض وقائع تجري ويعرضها على الأكابر لم تكن مفيدة إفادة علميّة ، إنّما كانت شبيهه بكتب الثعالبي وأضرابه)[2].

ولكن الملاحظ أنّ ياقوت نقل عن بعض مؤلفات الثعالبي وخاصة (اليتيمة) التي سبق الإشارة إليها ، وذهب هذا المذهب بعض المحدثين مثل نيكلسون والدكتور محمد مندور الذي قال إنّ الثعالبي فرّاء حتى في تأليفة (كان يسرق آراء غيره ويُخِيطها كما يُخِيط الفِراء)[3].

وعلى الرغم من كل ما تقدّم من ثناء ومآخِذ لمؤلفات الثعالبي ، فهي جُزءٌ من تراثنا العربي ، وأنّها جهدٌ بشري لا يخلو من نقص كما لا يصل حد الكمال ، وعلى كل حال تبق تلك المؤلّفات معيناً لكل من يريد البحث عن المعرفة في شتى ضروب العلم التي قصدها بالتأليف .

---

[1] الكلاعي : أبو القاسم محمدبن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي ، إحكام صنعة الكلام ، تحقيق : د. محمد رضوان الدّاية ، عالم الكتب – بيروت ، ١٩٨٥ م ،الطبعة الثانية ص٢٢٤-٢٢٥ .

[2] ياقوت الحموي : معجم الأُدباء – مرجع سابق ـ ج٢ ، ص٢٥١.

[3] د. محمد مندور : النّقد المنهجي عند العرب – مرجع سابق ص٣٠٣ .

المبحث الثالث :

كتابه (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر))

- **تحقيق اسم الكتاب ونسبته : .**

ورد الكتاب باسم " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " في مؤلفات الثعالبي نفسه في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب [١] ، وسحر البلاغة [٢] . وذكره كذلك العلماء كابن خلكان حينما تحدث عن الثعالبي فقال : ((وله من التواليف يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها)) [٣]و قال بذلك أيضاً اليافعي[٤] ، والحنفي [٥]، والصفدي [٦] وغيرهم ممن تعرضوا لحياة الثعالبي مما يقطع بصحة اسم الكتاب ونسبته لصاحبه بالإضافة لجهود المحققين في الكتاب نفسه .

- **بداية تأليفه وطبعاته : .**

بدأ الثعالبي بتأليف النسخة الأولى من كتابه سنة أربع وثمانين و ثلاثمائة ، وأعاد تأليفه ثانية ويؤخذ ذلك من مقدمة الثعالبي في الكتاب نفسه : ((... وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، والعمر في إقباله ، والشباب بمائة ، فافتتحته باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتعرف به أهل الأدب ، ...، ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بآخره إليّ ، وزيادات جمّة عليه حصلت من أفواه الرواة لديّ ،...، فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع

---

[١] الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ص٧٤

[٢] الثعالبي : سحر البلاغة ، مقدمته ص٣

[٣] ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . مرجع ساق ج٣ص١٨٠

[٤] اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن سليمان اليافعي ، مرآة الجنان . مرجع سابق ج٣ ص٥٣

[٥] الحنفي : مصطفى عبد الله ا الرومي لحنفي ،كشف الظنون ، مرجع سابق ج٢ ص٢٠٤

[٦] الصفدي : صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج١٩ص١٣٠

أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ،...، ما لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى)) [1] .

أما طبعاته فقد طُبع الكتاب عدة طبعات مع التحقيق ومن تلك : .

١) طبعة دار الكتب العامة ، بيروت ١٩٥٦م بأربعة أجزاء بتحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .

٢) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م أربعة مجلدات بتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة .

٣) طبعة ونشر مكتبة مصر ، بدون تاريخ طبعة ، أربعة مجلدات بتحقيق الأستاذ إبراهيم محمد صقر .

وهناك دُور أُخرى قامت بطباعة الكتاب بأسماء نفس المحققين .

- **منهج الكتاب و مادته: .**

المتتبع لكتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر يجده مؤلفاً في الإنتاج الأدبي " شعره ونثره" لشعراء وكُتّاب وأُمراء و وزراء القرن الرابع و أوائل القرن الخامس الهجري مع إيراد لُمع من أخبار من أورد أشعارهم ، وإن كان يميل للإيجاز في ذكر أغلب أخبارهم وأحياناً يكتفي بذكر الاسم فقط مما يدل على عنايته بالقول أكثر من حال القائل.

والكتاب يضم أربعة أقسام رئيسية ، ويضم كل قسم عشرة أبواب حسب تقسيم المؤلف على جمع المادة العلمية بتقسيم الشعراء ومن أورد أشعارهم حسب البيئات الجغرافية ، فجاء منهجه في تأليف الكتاب على النحو التالي : .

- **القسم الأول** : . في فضل شعراء الشام وما يجاورها من مصر والمغرب والموصل على شعراء سائر البلدان ولُمع من أخبارهم . ويضم هذا القسم عشرة أبواب ، ولم يلتزم فيه بالتساوي من حيث عدد الشعراء في الباب الواحد فنجده يفرد باباً لشاعر واحد كما فعل في هذا القسم مع سيف الدولة ، وأبي فراس الحمداني والمتنبئ وأبي الفرج الببغاء حيث أفرد لكل منهم باباً ، ويجمع أكثر

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ، مرجع سابق مقدمة المؤلف .

من شاعر في باب واحد كما فعل في بقية الأبواب من هذا القسم وكل الأقسام التي ابتدعها في كتابه .

فجاءت أبواب القسم الأول كالآتي : .

الباب الأول : . في فضل شعراء الشام على سائر البلدان وذكر السبب في ذلك . فنجده خصص هذا الباب للحديث عن شعراء الشام عامة ولم يذكر فيه أحد.

الباب الثاني : . في ذكر سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان وسياق قطعة من أخباره ومُلح أشعاره ، فأطال في ذلك حيث قسم هذا الباب إلى فصول .

الباب الثالث : . في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان ، وأخباره وغُرر أشعاره.أورد فيه أشعاره في الأغراض المختلفة كالأخوانيات والشكوى والعتاب ، الغزل والنسيب ، الأوصاف ، الحكمة و الموعظة الروميات ...الخ .

الباب الرابع : في مُلح أشعار آل حمدان وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكُتّابها ، تناول أحد عشر ما بين شاعراً وكاتباً وقاضياً وإيراد لُمع من أخبارهم .

الباب الخامس : في ذكر أبي الطيب المتنبئ ، فأطال في ذلك ورتب موضوعاته حتى طُبع هذا الفصل بمفرده منفصلاً عن كتاب اليتيمة باسم (أبو الطيب المتنبئ ما له وما عليه). وقال عنه بعض العلماء إنه يحمل مقومات الكتاب المستقل .

الباب السادس : خصصه لذكر ثلاثة من الشعراء هم النامي والناشيئ والزاهي وإيراد لُمع من أخبارهم .

الباب السابع : في ذكر أبي الفرج الببغاء فقط وغرر نثره ونظمه .

الباب الثامن : خصصه لثلاثة هم الخليع الشامي ، والوأوأ الدمشقي وأبي طالب الرقي .

الباب التاسع : في ذكر مُلح أهل الشام ومصر والمغرب وظُرف من أشعارهم ونوادرهم وذكر فيه أكثر من مائة شاعر .

الباب العاشر : في شعراء الموصل وغرر أشعارهم .

- **القسم الثاني : .**

وهو في محاسن أشعار أهل العراق وإنشاء الدولة الديلميّة من طبقات الأفاضل وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم وفصول من المترسلين منهم . وفيه عشرة أبواب كذلك على النحو التالي :

.

الباب الأول : في ذكرهم وما أُخرج من ملحهم وأشعارهم وذكر فيه أربعة .

الباب الثاني : خصصه لذكر المهلبي الوزير ومُلح أخباره وفصوص فصوله وأشعاره.

الباب الثالث : خصصه لذكر أبي إسحاق الصابئ ، ومحاسن كلامه .

الباب الرابع : في ذكر ثلاثة من كُتّاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء .

الباب الخامس : في شعراء البصرة ومحاسن كلامهم وذكر فيه تسعة

الباب السادس : في نفر من شعراء العراق من سوى بغداد وذكر فيه سبعة .

الباب السابع : في ذكر قوم من شعراء بغداد .

الباب الثامن : في مُلح المقلّين من أهل بغداد .

الباب التاسع : قصائد لبعض الشعراء .

الباب العاشر : خصصه لذكر الشريف الرضي .

- **القسم الثالث : .**

في أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان وكُتّابها وقُضاتها وشعرائها وسائر فُضلائها . وفيه عشرة أبواب أيضاً على النحو التالي .

الباب الأول : خصصه لذكر ابن العميد و أيراد لُمع من أخباره وأوصافه .

الباب الثاني : في ذكر ابن العميد أبي الفتح ذي الكفايتين والأخذ بطرف من أخباره ومُلح بنات أفكاره

الباب الثالث : في ذكر الصاحب بن أبي القاسم بن إسماعيل بن عباد ، في بيان منزلته ولُمع من أخباره ونوادر توقيعاته .

الباب الرابع : في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم العتبي .

الباب الخامس : في ذكر محاسن أهل العصر . أصبعان ، وذكر فيه خمسة .

الباب السادس : في ذكر الشعراء الطارئين على الصاحب من الآفاق وذكر فيه ثمانية شعراء .

الباب السابع : في ذكر سائر شعراء الجيل .

الباب الثامن : في شعراء فارس والأهواز سوى من تقدمهم في ساكني العراق .

الباب التاسع : في ذكر القاضي أبو الحسن على بن عبد العزيز ومعه آخرين .

الباب العاشر : في ذكر الأمير السيد شمس المعالي قابوس بن وشمكير .

- **القسم الرابع : .**

في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والطارئين على الحضرة ببخاري من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالها وما يُستظرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وفيه عشرة أبواب كذلك على النحو التالي : .

الباب الأول : جمع فيه عشرين شاعراً .

الباب الثاني : جمع فيه خمسة وعشرين شاعراً .

الباب الثالث : في ذكر المأموني والواثقي ومحاسن أخبارهما وأشعارهما وأضاف إليها ثلاثة .

الباب الرابع : في غرر فُضلاء خوارزم .

الباب الخامس : في ذكر أبي الفضل الهمذاني

الباب السادس : في ذكر أبي الفتح البُستي .

الباب السابع : جمع فيه ثلاثة عشر شاعراً .

الباب الثامن : في ذكر الأمير أبي الفضل المكيالي .

الباب التاسع : في ذكر الطارئين على نيسابور أورد فيه ستة عشر شاعراً .

الباب العاشر : في ذكر رئيس نيسابور أبو أحمد محمد عبد اله بن إسماعيل المكيالي وذكر معه ستة وعشرين شاعراً .

ذلك هو المنهج الذي اتبعه المؤلف في جمع المادة العلمية لكتبه ، الذي تضمنته الأقسام المتقدمة وأبوابها .

ويرى الباحث أن المؤلف يميل إلى المادة العلمية أكثر من ميله إلى الحديث عن الشاعر وأخباره مما يدل على أنّ الكتاب مؤلّفاً في الأدب وليس في التراجم بالمعنى الدقيق للترجمة . وهذا ما ذهب إليه الدكتور عمر الدقاق حيث قال:(إن كتاب اليتيمة يختلف في منهجه عن التراجم وذكر له ميزات هي [١] : .

١. إنه حدد موضوعه بفئة محدودة من شعراء عصره وخاصة شعراء القرن الرابع و أوائل الخامس الهجري .

٢. إنه تناول الكُتاب والناثرين بالإضافة إلى الشعراء .

٣. إنه كتاب أدبي في المختارات الشعرية وتصوير الحياة في القرن الرابع الهجري .

وهناك مؤلفات تم تأليفها بعد اليتيمة عدّها بعض العلماء ذيولاً لها حيث إنها نسجت على منوال اليتيمة في جمع مادتها العلمية ومن تلك : .

١) دمية القصر وعصرة أهل العصر . للباخرزي تلميذ الثعالبي ، حيث اعتبرها الحنبلي ذيلاً على كتاب اليتيمة فقال : ((... وصنّف دمية القصر وعصرة أهل العصر وهو ذيل على يتيمة الدهر للثعالبي)) [٢]. وقال بذلك أيضاً اليافعي [٣] والذهبي [٤] .

٢) خريدة القصر وجريدة أهل العصر للعماد الأصبهاني . قال بذلك صاحب كشف الظنون حيث قال : ((... وعماد الدين بن محمد الكاتب الأصبهاني ذيلها أيضاً في عشر مجلدات وسماه خريدة القصر وجريدة أهل العصر))[٥].

٣) زينة الدهر في لطائف شعراء العصر : للحظيرى القيرواني . قال بذلك الدكتور عمر الدقاق [٦]

---

[١] عمر الدقاق : مصادر التراث . مرجع سابق ص٢٤٩.

[٢] الحنبلي : شذرات الذهب . مرجع سابق ج٢ ص٣٢٨ .

[٣] اليافعي : مرآة الجنان . مرجع سابق ج٣ص٩٥

[٤] الذهبي : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ج ٤٢ص٣١٩

[٥] الحنفي : مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي ، كشف الظنون . مرجع سابق ج٢ ص٢٠٤

[٦] عمر الدقاق : مصادر التراث العربي . مرجع سابق ص٢٤٩.

٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لابن بسام . ذكر الدكتور عمر الدقاق كذلك إنه ذيلاً على اليتيمة [١] وهو من أبرز الكتب التي تعد ذيولاً لليتيمة . مع ملاحظة أن تلك المؤلفات اتبعت نفس منهج اليتيمة .

وذكر ابن خلكان أن كتاب الحديقة لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز نُسج على أسلوب اليتيمة ، حيث قال والحديث عن أبي الصلت : ((... وصنّف كتابه الذي سماه الحديقة على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبي))[٢]. وقال بذلك أيضاً اليافعي [٣] ، وغيرهما .

وقد عَدّ بعض العلماء اليتيمة ذيلاً على كتاب ((البارع في أخبار الشعراء)) لهارون بن علي المنجم ومن أولئك : اليافعي [٤] ، والصفدي [٥] الذي عدّ ذيول اليتيمة ذيولاً للبارع أيضاً وكذلك وكذلك الحنفي [٦] والذهبي [٧] ، وغيرهم ومؤلّف الكتاب نفسه لم يشير إلى ما ذهب إليه هؤلاء ، ، وما حكاه في كتابه أنّه راى أن يحصر محاسن أهل عصره.

ويلاحظ الباحث أن المؤلفات التي عدها العلماء ذيولاً للّيتيمة نسجت على منوالها خاصة كتاب الذخيرة من حيث تقسيمه وترتيبه وتناوله للشعراء . بجانب تصريح أصحاب الكتب أنفسهم أنهم نسجوا على منوال اليتيمة كالباخرزي الذي صرح بذلك .

وأما من قال بأنها ذيلاً على كتاب البارع فقد وجد الباحث بأنها اهتمت بالشعراء المحدثين كالبارع ولكنها خالفته في منهجها الذي يقوم على التقسيم الجغرافي للشعراء ، فالكتاب بذلك يختلف عن البارع من حيث تناوله ومنهجه القائم على تناول الشعراء حسب الاقاليم.

---

[١] عمر الدقّاق : مصادر التراث العربي ، ص٢٤٩

[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيان . مرجع سابق ج١ص٢٤٣

[٣] اليافعي : مرآة الجنان . مرجع سابق ج٣ص٢٥٣

[٤] المرجع السابق نفسه ج

[٥] الصفدي : الوافي بالوفيات . مرجع سابق ج ٢٧ص١١٧

[٦] الحنفي : مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي ، كشف الظنون . مرجع سابق ج٢ ص٢٠٤

[٧] الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ج٤٢ ص٣١٩

هذا عن منهج الكتاب أما مادته فإنّ كتاب اليتيمة يهتم كثيراً بالشعر وهو يمثل المصدر المهم للكتاب بجانب النثر ولُمع من أخبار من أورد أشعارهم .

إنّ المادة الغالبة في الكتاب تتكون من الآتي : .

أولاً : الشعر : حيث اقتصر المؤلف على الشعر المحدث دون غيره " في القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الهجري " ، وأورد شعراً لملوك وأمراء كُتّاب وشعراء انفرد بذكرهم الثعالبي فقط دون غيره . بجانب تعرضه لأغراض الشعر المستخدمة كشعر اللهو والمجون ... الخ .

ثانياً : أخبار الشعراء الذين أورد غرر أشعارهم : .

ذِكر هؤلاء الشعراء في اليتيمة عدّه بعض العلماء ترجمة لهم فعابوا على المؤلّف إغفال الوفيات ، بجانب إيجاز تراجمها ، ولكنّ كما أسلفنا فإنّ اليتيمة كتاباً في الأدب أكثر من كونه كتاباً في التراجم كما يُفهم من عنوانه " في محاسن أهل العصر " وبعد الاطلاع على الكتاب وجد الباحث أنّ عبارة (محاسن أهل العصر) قصد بها المؤلِّف الشعر لأنه يقول عند ذكره شاعراً أورد من محاسن أشعاره كذا فيذكر شعره (أي الشاعر) ،بجانب إيراد بعض الرسائل والمقامات .

ووجد الباحث كذلك أنّ ما أوره الثعالبي من أخبار الشعراء الذين ذكرهم في اليتيمة لم يتعرّض لحياتهم من حيث المولد والنسب والموطن والنشأة والوفاة إلاّ نادراً بل يتعرّض لأخبارهم الأدبية وتأثُّرهم بغيرهم من الشعراء أو الكُتّاب بجانب موازنته بين من ذكره وشاعر آخر من بيئة مشابهة أو مختلفة .

ثالثاً : النثر:

يتضمن الكتاب كذلك في جزء من مادته نثراً متمثل في الرسائل التي أوردها للصاحب وابن العميد وأبوالفتح البستي وغيرهم وكذلك ما تضمنه الكتاب من مقامات كمقامات بديع الزمان الهمذاني و مقامات الحريري.

- **الرواية التي اتبعها المؤلف في جمع مادة الكتاب : .**
- تعتبر الرواية التي يتبعها المؤلف في جمع المادة العلمية مصدراً مهماً من مصادر قيمة الكتاب ومكانته ، وذلك لأنّ أمهات المصادر والمراجع قامت على الرواية في جمع مادتها العلمية .

وكتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر واحداً من أهم مصادر دراسة الأدب شعره ونثره وتراجمه(إن عُدّ كتاباً في التراجم) ، لذلك لابد من الوقوف على الرواية المتبعة في جمع مادة هذا الكتاب .

وبالرجوع إلى المصادر القديمة والحديثة التي تناولت الكتاب سواء أكانت بالدراسة أم التحقيق لم تحدد مصادر بعينها اعتمد عليها الثعالبي في جمع مادة الكتاب أو نقل مادتها نصّاً، بل تُشير إلى أن الرجل اعتمد في تأليفه لليتيمة على الرواية التي قامت على مشافهة من أورد أشعاره وأخباره وهذه المشافهة أحياناً شخصيّة وأخرى مشافهة الرواة ومن ذلك قوله في مقدِّمة الكتاب نفسه عندما تحدّث عن النسخة الثانية من الكتاب إذْ قال :- (... وزيادات جمّة عليه حُصِلت من أفواه الرواة لدي ...)[1]، أو مشافهه شخصاً عاصر من ذكره وهذا ما أكّده الثعالبي نفسه في حديثه عن أبي القاسم الزاهي : (...، ولم يقع إليّ شعره مجموعاً ، وإنّما تطرّفته من أفواه الرواة وأستفدته من التعليقات)[2] مُلح أهل الشام ومصر والمغرب حين قال : (هذا باب كسرته على غُرر تلقفتها من أفواه الرواة)[3].

فعبارة تلقفتها من أفواه الرواة تدل على المشافهة لهم ، هذا بجانب استخدامه عبارات (حكى وسمعت وقال وحدّثني) إلى غير ذلك من ألفاظ المقابلة.

لذلك كانت مادة الكتاب موضع ثقة الكُتّاب والمؤرخين . وذلك ما ذكره الجادر بقوله : ((ولعل سبب ثقة المؤرخين بتراجم اليتيمة أن المؤلف اعتمد في كثير من تراجمه على مشافهة من يترجم لهم ، فإن تعذر ذلك اعتمد على رواة شافهوا الشعراء وسمعوا منهم ، فإن تعذر هذا أيضاً. وذلك نادر جداً. لجأ إلى دواوين الشعر ينتقي منها وينتخب)) [4].

وبالرجوع إلى كتاب يتيمة الدهر بشأن الرواية المتبعة في الكتاب وجد الباحث نصوصاً من الكتاب تؤيد ما ذهب إليه الجادر في حديثه بشأن الرواية المتبعة في تأليف الكتاب ،فالمؤلف يقول عند تدوين النص : قال " من أورد له " كذا ، وقوله كذا ، وأنشدني فلان كذا ...، وهذه

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، مقدمة المؤلِّف

[2] المرجع السابق نفسه ، ج١ ،ص٢٢٠

[3] المرجع السابق ص٢٦٦

[4] الجادر :الثعالبي ناقداً وأديباً ، ص٩٢

عبارات تدل على المشافهة ، بجانب إشارات منه تدل على رجوعه إلى مصادر تؤكد صحة ما يشك فيه من شعر أو خبر فهو يرجع إلى المصادر لتحقيق صحة ما يدونه. ومن ذلك نماذج أوردها في اليتيمة نذكر منها فقط على سبيل الاستشهاد لا الحصر ما يلي : .

- قوله (أي الثعالبي) في ذكر أبي الحسين الناشئ الأصغر : ((أنشدني أبو بكر الخوارزمي قال أنشدني أبو الحسين الناشئ بحلب لنفسه))[1] (من الطويل) : .

إذا أنا عاتبت الملوك فإنما أخط بأقلامي على الماء أحرفا

- وقوله أنشدني لنفسه [2] (من الكامل): .

ليس الحجاب من آلة الأشراف إن الحجاب مجانب الإنصاف

ولقل من يأتي فيحجب مرة فيعود ثانية بقلب صاف

- نموذج آخر : قوله " الثعالبي" في ذكر الخليع الشامي : ((فمما أنشدنيه لنفسه)) [3] قوله (من الكامل):.

جيراننا جار الزمان عليهم إذا جار حكمهم على الجيران

ما الشأن ويحك في فراق فريقهم الشأن ويحك في جنون جناني

وقوله أيضاً : . ((وأنشدني غيره للخليع ، وأنا أشك فيه)) (من المنسرح) : .

لو لم تحل ما سميت حالاً وكل ما حال فقد زالا

انظر إلى الظل إذا ما انتهى يأخذ في النقص إذا طالا.

وقوله كذلك في ذكر أبي الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأوأ : ((ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له ، ووجدته في ديوان شعره)) [4]من الوافر :

أتاني زائراً من كان يُبدي لي الهجر الطويل ولا يزور

فقال الناس لما أبصروه ليهنك إزارك البدر المنير

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ج١ ، ص٢١٩

[2] المرجع السابق ص٢١٩

[3] الثعالبي : اليتيمة ج١ ، ص٢٥٤

[4] الثعالبي : اليتيمة ج١ ، ص٢٥٥

وقوله أيضاً في معرض حديثه عن عضد الدولة : ((ومما يُنسب إليه ، وأنا أشك فيه ، أبيات يتداولها القوّالون)) [1].

- وقوله كذلك في حديثه عن تاج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة : - ((ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبي الحسين بخط أبي الحسن على بن أحمد بن عبدان ، فاخترت من قوله .... الخ)) [2].
- وفي حديثه كذلك عن أبي القاسم علي بن جلبات : .

((أحد أفراد الدهر في الشعر ، وكُنت أنشدت له لُمعاً أوردتها في النسخة الأولى ثم وجدتها منسوبة إلى غيره كقوله : من الكامل : .

برزت لنا تحت القناع الأزرق ليلاً فعاد لنا الصباح المشرِقُ

الوجه بدرٌ ، والقناع سماؤه والشعر بينهما كليلٍ مُطبِقُ

ثم وقع إلي من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله والوزير أبي النصر سابور بن أردشير فأخرجت غررها)) [3].

هذه النماذج وغيرها تدل دلالة قاطعة على أن الثعالبي عند تأليفه للكتاب كان يعتمد على المشافهة المباشرة مع من ينقل عنه أو مشافهة من عاصر من أورد له ، ويرجع كذلك إلى المصادر للتأكد من صحة النص الذي دوّنه وتحقيق نسبته إلى قائله ، مما جعل اليتيمة موضع ثقة عند العلماء قدماء ومحدثين .

---

[1] المرجع السابق ج٢ ص٢١١

[2] المرجع السابق نفسه ج٢ص٢١٣

[3] المرجع السابق ، ج٣ص٩٧

المبحث الرابع

آراء العلماء حول الثعالبي وكتابه : .

لما كان هذا الفصل معقوداً على الثعالبي وكتابه يرى الباحث أن يُفرِد مبحثاً لآراء العُلماء عنه وعن كتابه ، وذلك لارتباط ذِكر الكتاب بمؤلفه في أغلب كتب الأدب والتراجم حتى عُرِف عند أكثر من تعرّض لشخصيته (بصاحب اليتيمة) ، ويقول البعض قال الثعالبي في كتابه (يعني اليتيمة) ، ويقول بعضهم أيضاً قال الثعالبي في كتابه اليتيمة ، وذلك لأنّها أشهر مُؤلفاته وأكبرها وأهمها ، كأن لم يكن له كتاب غيرها.

الثعالبي:

دار أغلب حديث المصادر (قديمها وحديثها) من الأدب والتراجم عن الثعالبي في مكانته الأدبية وثقافته وكثرة إطلاعه ومؤلفاته وشعره ، ولم تتعرض لغير ذلك من صفاته الأخرى ، وبجانب حديث المصادر نجد القصائد الإخوانية التي قالها فيه أصدقاؤه ، هذا بالإضافة إلى ما أورده عنه محققو كتبه .

وممن قال في الثعالبي الحصري القيرواني حيث أورد قائلاً : (وهو فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج وحده ، وله مصنّفات في العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب)[1]

وممن قال في الثعالبي كذلك تلميذه الباخرزي الذي قال فيه : ((أنه أسد الصناعة في غابة ثعالب ، وتصنيفاته للأنس جوال جوالب ، وأسلاته في النطق والكتابة قواض قواضب))[2]. ووصفه في مكان آخر بأنه ((جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور)) [3].

ونجد من القدماء من قرن قوله عن الثعالبي بمؤلفاته وشاعريته كالذهبي حيث قال : ((أبو منصور الأديب الشاعر صاحب التصانيف الأدبية ،...، وكان يلقب بجاحظ زمانه))[4] .

---

[1] الحصري القيرواني : زهر الآداب ، ج١ ، ص١٦٣ .

[2] الباخرزي : دمية القصر وعصرة أهل العصر . مرجع سابقج١ ص١١٢

[3] المرجع السابق نفسه ج٢ ص٢٢٦

[4] الذهبي : تاريخ الإسلام . مرجع سابق ج ٢٩ص٢٩٢

وقال بذلك أيضاً الصفدي [1] وآخرون ، ومنهم من قرن وصفه مع فصاحته وبلاغته كابن الأنباري : ((وأما أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي فأنه كان إماماً فاضلاً فصيحاً بليغاً))[2] .

ومنهم من قال بإمامته في اللغة والأخبار كابن كثير حيث أورد قائلاً : ((كان إماماً في اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له التصانيف الكثيرة في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة))[3] .

وجاء حديث ابن بسام شاملاً لشخصيته الأدبية (نظمها ونثرها) مع الإشارة إلى تلامذته حيث قال : ((كان أبو منصور وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم أسوة المؤلفين في زمانه وإمام المصنفين بحكمِ قرانه ، سار ذكره سير المثل ، وضُرِبت إليه آباط الإبل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب ، وتواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع ، وأكثر راوٍ لها وجامع من أن يستوفيها عد أو وصف أو يوفيها حقوقها نظم أو رصف))[4].

وممن وصفه من القدماء الزركلي الذي أشار إلى إمامته في اللغة وإمتهانه للأدب حيث أورد قائلاً :- (الثعالبي من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور ، كان فرّاء يخيط جلود الثعالب فنُسِب إلى صناعته . واشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ ، وصنّف الكتب الكثيرة الممتعة)[5] .

وبجانب القدماء نجد من المحديثن كذلك من اهتم بالحديث عن الثعالبي كالدكتور زكي مبارك الذي قال : ((كان عبد الملك بن محمد من أظهر الشخصيات في عصره ، والواقع أن الثعالبي فوق كل مدح ، وفضله على العربية أكبر من أن يُقدّر ، وما ظنّك برجل لو ضاعت مؤلفاته لفقدت العربية جزءاً عظيماً جداً من ثروتها))[6] .

---

[1]- الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص١٣٠

[2]- ابن الأنباري : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص٢٦٥ .

[3]- ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ ج ١٢ص٤٩

[4] ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيره . مرجع ج ٨ ص٥٦٠-٥٦١

[5]- الزركلي : خير الدين الزركلي ، الأعلام ،ثمانية أجزاء ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة السابعة عشرة ٢٠٠٧م ،ج٣ ، ص١٦٣ .

[6]- زكي مبارك : الدكتور زكي عبد السلام مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ، جزءان ج٢ ص٢١٧.

وممن قال بحق الثعالبي كذلك بطرس البستاني الذي أورد : ((ولا يخفى أنّ الثعالبي من أشهر أئمة العربية بارعاً في سائر الفنون ، كثير الاطلاع ، غزير المادة ، شاعراً ناثراً ، أديباً ، رقيق العبارة دقيق المعاني ، كثير النادرة ، وافر الفاكهة))[1] .

وممن قال عن الثعالبي من المحدثين جرجي زيدان إذْ أورد قائلاً : (وهو خاتمة مترسلي هذا العصر- يعني عصر الثعالبي- ، وأهمّ أدبائه . ونعم الخاتمة لأنّه أكثرهم آثاراً وأوسعهم مادة وهو الذي ترجم لهم وذكر أخبارهم وأقوالهم . فكان في العصر المشار إليه راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النّثر والنّظم ورأس المؤلفين ، و إمام المصنّفين ، وهو مع ذلك شاعر مطبوع)[2]

وبالإضافة إلى أحاديث القدماء والمحدثين تطالنا أقوال المحققين الذين عملوا على تحقيق كتبه المختلفة كالدكتور أبو الفضل إبراهيم الذي قال : ((كان شاعراً صافي الديباجة ، لطيف التخيل ، خفيف الروح ، شائق اللفظ ، رشيق المعنى ، بعيداً عن التكليف والتعقيد ، كما كان كاتباً متخير اللفظ ، سهل الأسلوب ، مليح التصرف ، رائق الفكر ، صادق الوجدان))[3].

وكذلك ما ساقة عبد الفتاح الحلو : ((يقول الشعر على طريقة المتأدبين والكُتّاب المترسلين فهو يعتبره فنّاً له أشكاله وقوانينه أكثر منه فنّاً يعتمد على الإلهام وإنتفاضه الشعور ، ومن هنا جاء شعره أقرب إلى الصنعة وألصق بالمحسنات اللفظية))[4].

هذا ما قاله أصحاب الأدب والتراجم أما الشعر ، فقد أورد الحصري القيرواني بيتي شعر لأبي الفتح البستي إذْ يقول (من البسيط):

قلبي رهينٌ بنيسابورعِنْدَ أخٍ ما مثله حين تُسْتقرى البلادُ أخُ

له صحائفُ أخلاقٍ مُهذّبة من الحِجَا والعُلا والظّرْفِ تُنْتَسخُ[5]

وأورد الجادر أبياتاً من الشعر في الثعالبي لأبي حفص عمرو بن المطوعي : .

كلام أبي منصور فيه عذوبة ينوب عن الماء الذلال لمن يظمأ

فنروي متى نروى من بدائع نظمه ونظماً إذا لم نرو يوماً له نظما[1].

---

[1] بطرس البستاني : دائرة معارف البستاني ، ج٦ ص٣١٦

[2] جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة ، ج٢ ، ص٢٧٨ .

٣ ثمار القلوب : تحقيق د . أبو الفضل إبراهيم . مقدمة المحققص٦ .

٤ التمثيل والمحاضرة : تحقيق عبد الفتاح الحلو . مقدمه المحقق ص١٧ .

[5] الحصري القيرواني : زهر الآداب ،ج١ ص١٦٤ .

وكذلك قول الشيخ أبي الحسن مسافر بن الحسن : .

أفدي الأمام الأوحد الفرد الذي من شاء فرد زمانه فليسمه
لا زال منصوراً كما يُكفى به ولتفتخر روح غدت في جسمه
فغذاء أرواح الورى من كتبه والظرف فيهم من لطائف رسمه
وبنظمه عُطل الفضائل ألبست حُلي العرائس مذ غدت في قسمه [٢] .

وغير ذلك من الأشعار .

ويلاحظ الباحث أن الحديث حول الثعالبي دار في أدبه ومنزلته الأدبية ومؤلفاته دون التعرض لصفاته الأخرى كأن لم تكن له شخصية غير ذلك .

و هذا ما علله الجادر بقوله : ((ولعل السبب في ذلك . يعني عدم التعرض للجوانب الأخرى من شخصه . هو أن الرجل لم يكن مؤسراً يفيض من سعته على أصدقائه ، ولم يكن ذا منصب ينفع به خلاّنه بل كان أدبياً كل بضاعته هذا الأدب الذي كرم أصدقاءه ورفع من أقدارهم به ، فلا أقل من أن يردوا جميله بمثله))[٣].

ويرى الباحث أن حديث الجادر قد يصدق على القدماء الذين عاصروا الثعالبي وراسلوه وأهداهم بعض مؤلفاته ، ولا ينطبق ذلك على الذين لم يعاصروه من القدماء والمحدثين الذين اطلعوا على مؤلفاته فقط ، بل لعل السبب في ذلك اهتمام المصادر التي تناقلت أخباره بأدبه ومؤلفاته دون الاهتمام بالجوانب الأخرى من شخصه ، ويرى الباحث كذلك أنّ سبب إغفال المصادر القديمة بعضاً من جوانب حياة الثعالبي يرجع إلى نشأته لأنّ منشأه في أسرة لم تكن مشهورة (لأنه ابن فرّاء أو هونفسه كما قالت بذلك المصادر) في زمنٍ أهتمت فيه التراجم بالمشاهير، لذلك لم تتح له ظروف الحياة أن يكون معروفاً في بداية حياته لأصحاب التراجم ، وربما إنشغاله كذلك بالتأليف ومجالسة العلماء والأدباء بالإضافة إلى شُهرته الأدبيّة غطّى كل ذلك على الجوانب الأُخرى من معالم شخصيته فلم يبق منها إلاّ الجانب الأدبي الذي برع فيه

---

١ الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً . مرجع سابق ص٣٦٩

٢ الحصري القيرواني : زهر الآداب ، ج٢ ، ص٣٢ .

٣ المرجع السابق ، ص٣٦٨

وإشتهر وعُرِف به إلى يومنا هذا ، وما يؤكِد ذلك تباين آراء العلماء حول أصله وسبب تلقيبه بالثعالبي وعدم تحديد شيوخه وتلامذته بصورة دقيقة ، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بشخصه.

هكذا كان الثعالبي عند القدماء والمحدثين من الأدباء وأصحاب التراجم والباحثن والمحققين كأن لم تكن له شخصية غير أدبه ومؤلفاته .

كتابه:-

يُعتبر كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر من المصادر المهمة لدى أصحاب التراجم والأدباء والباحثين ، ونسبة لأهمية ومكانة الكتاب قام العلماء بدراسته وأثاروا حوله ملاحظاتهم وأرائهم سواءً أكان المؤلف كاملاً أم جزءً من أقسامه ، أو حتّى شخصيّة من الشخصيات التي تناولها المؤلِّف .

وقد تحدث عن الكتاب القدماء والمحدثين والشعراء والمحققين .

أولاً: أقوال القدماء :-

قبل الحديث عن أقوال القدماء نجد أنّ الثعالبي نفسه يحدثنا عن قيمة مؤلفه في تتمة اليتيمة حين قال : ((...فإنّي لما رأيت كتابي المعنون بيتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، يسحر العقول ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، يحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكُتّاب ، ويسير في الآفات مسير الأمثال ويسري في البلاد مسرى الخيال ، ولقيت من أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء ...الخ)) [1].

تلك شهادة المؤلف نفسه يصِف مارأه و أحسّه من مكانة أدبية تُبين قيمة الكتاب وشهرته بين الخاصة من أهل الأدب والعامة من الناس مما دفعه إلى إعادة تأليفه ثانية ، وإلحاقة بتتمته المعروفة (بتتمة اليتيمة) التي تُعدُّ من أشهر ذيول اليتيمة .

[1] الثعالبي : تتمة اليتيمة ، مقدمة المؤلف ، ص٣

وهناك ملاحظات وآراء أخرى من علماء (قدماء) لا تقل قيمة عما ذكره الثعالبي عن كتابه ومكانته ، من ذلك: ما أورده الحنفي في معرض حديثه عن اليتيمة حين قال : ((... وهي من أحسن الكتب الأدبية وأكملها بلاغة ونظماً)) [١]

ومن ذلك أيضاً ما أورده الصفدي حيث يقول : ((... وتصانيفه كثيرة إلى الغاية منها يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وتتمة اليتيمة وهي من أحسن تصانيفه وقد اشتهرت كثيراً)) [٢].

وبجانب القيمة الأدبية والعلمية للكتاب نجد أن ياقوت الحموي تحدث عن القيمة المادية له ، وما هي إلاّ تقييماً أدبيّاً للكتاب ومن ذلك ما أشار إليه بقوله : ((... ولقد رأيت نسخة من كتاب يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي في خمسِ مجلدات بخطة المليح بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية وكانت تُساوي أكثر من ذلك)) .[٣]

وتحدث عن قيمة الكتاب أيضاً ابن خلكان فقال : ((... وله من التواليف يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها)) [٤].

ثانيا : المحدثين:-

وبجانب القدماء نجد من المحدثين من تحث عن قيمة الكتاب كالدكتور زكي مبارك فقال ((من الذي يستطيع أن يحدد خسارة الأدب لو ضاعت اليتيمة أو ثمار القلوب))[٥].

وتحدث الدكتور عمر الدقّاق عن كتاب اليتيمة بإسهاب ، وعدّ له ميزات لم تكن موجودة في كتب التراجم الأخرى ، كجِدّة منهجه وتقسيمه البيئي بجانب غزارة مادته الأدبية من شعر ونثر ، وكذلك اقتصاره على المحدثين دون غيرهم وهذا ما عدّه الدقّاق خروجاً عن الطوق الذي

---

[١] الحنفي : مصطفى عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ، كشف الظنون . مرجع سابق ج٢ ص٢٠٤

[٢] الصفدي : صلاح الدين خليل بن آبيك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، مرجع سابق ج١٩ص ١٣٠

[٣] ياقوت الحموي : معجم الأدباء . مرجع سابق ج ٥ ص٢٢٩

٤ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . مرجع سابق ج٣ ص١٨٠

٥ زكي مبارك : النثر الفني في اقرن الرابع . مرجع سابق ج٢ ص١٧٩

أطال المؤلفون المكث في داخله والدوران حوله وهو يعني بذلك العناية بالقدماء فقال : ((... وأما كتابه . و الحديث عن الثعالبي . يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، فيتمتع بمنزلة خاصة بين كتب الأدب والتراجم ، وأول ما يمتاز به الثعالبي في اليتيمة إنه ابتدع منهجاً جديداً لم يسبقه إليه أحد من قبل ، فقد رأى أن يتناول الشعراء على حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم ، وهذا التناول أقرب إلى روح الأدب نفسه من تصنيف الشعراء ، لأن صاحب اليتيمة استطاع أن يربط بين الأديب وبيئته ، وهذا ما يجنح إليه كثير من المؤلفين والنقاد في عصرنا هذا ، ... وهو من أوائل الكتب التي قصرت مادتها على الشعراء المحدثين دون القدماء ، ولهذه العناية بالشعر المحدث دلالتها من حيث الخروج على الطوق الذي أطال المؤلفون المكث في داخله وهو اقتصارهم على الشعر القديم وحده)) [1]. مع ملاحظة أن الدّقاق عدّ اليتيمة من التراجم.

ومن المحدثين كذلك الدكتور مصطفى الشكعة الذي قال عن اليتيمة : (واليتيمة تعتبر أولى طبقات الشعراء ذات الصفة الموسوعية ، ... ، على أنّ الكتاب قد قارب حد الشمول في ترجمته لشعراء القرن الرابع ، جاعلاً لكل مصر من الأمصار الاسلامية قسماً من كتابه ، ... ، هذا ولا تزال اليتيمة بأقسامها الأربعة الثمينة ، العمدة لكل من يرغب في تثقيف نفسه في أدبنا في القرن الرابع الهجري ،وقد أعجب بها الأدباء والباحثون والشعراء قديماً وحديثاً)[2].

ومن الباحثين من عقد دراسته على الفصل الخاص بالمتنبئ دون غيره من الكتاب ومن أولئك الدكتور محمد مندورالذي نظر للكتاب نظرة نقديّة حيث قال إن هذا الفصل يمثل الرأي الوسط في شعر المتنبئ بجانب تعليقاته على بعض المسائل التي أوردها الثعالبي عن الشاعر وشعره مع ملاحظته لاستخدام الألفاظ في أغراضه التي يعبر عنها ومن ذلك قول الدكتور محمد مندور : ((وهذا الفصل هو الذي يهمنا الآن لأنه يمثل الرأي الوسط في شعر المتنبئ وينقل لنا مختصراً لما صار حوله من انتقادات ،...، وأول ما نلفت النظر إليه هو ملاحظة صاحب اليتيمة من أن استخدام لغة الحب في المدح والحرب مذهب انفرد به المتنبئ ، وهذا حق لأننا لم نعهد ذلك من شعراء العرب جاهلين كانوا أو إسلاميين ، واذن فتفسيره لا يمكن أن نجده إلا في حياة الشاعر

---

[1] الدكتور عمر الدقاق : مصادر التراث العربي ، ص٢٤٦ – ٢٤٧ .

[2] الشكعة : د. مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب) ،دار العلم بيروت ،ط١٩، ٢٠٠٩م ص٣٧٦.

وطبيعته النفسية كما قلنا ،وهذه الملاحظات تحل بعد كثير من المشاكل التي نثرها حول الشاعر ، هذه بعض النتائج التي نستطيع أن نستخلصها من ملاحظات الثعالبي القيمة)) [1].

و ممن تحدث عن الفصل الخاص بالمتنبئ الدكتور حسين الواد حيث أشار إلى أن هذا الفصل ظل يحمل مقومات الكتاب المستقل بموضوعاته من حيث التقسيم والمادة والموضوع والنقد الذي أورده عن الشاعر بجانب إشارته إلى من نَقل هذا الفصل أو استنسخ معظم مادته فقال : ((عقد الثعالبي في هذا الكتاب . يعني اليتيمة . فصلاً مطوّلاً لأبي الطيب المتنبئ تحدث فيه عن حياته وشعره ، وظَلّ هذا الفصل يحمل مقوّمات الكتاب المستقل بموضوعه سواءً من حيث الأقسام التي تكون منها أم من حيث انتظامها في البناء ، وكان هذا الفصل المطوّل على حظ وافر من الأهمية سواء من حيث المادة التي توفر عليها ، أم من حيث النقد الذي أخذ به فيه ، ومكّنه من الوقوف على كثيرٍ من الخصائص البارزة التي يتميز بها شعر المتنبئ عن أشعار سائر الذين عاصروه ، وقد لقِي هذا الفصل نظراً لأهميته عناية كبيرة من القدماء فأطالوا الرجوع إليه واستنسخوا معظم مادته)) [2].

ويرى الباحث أنّ الفصل الخاص بالمتنبئ من كاتب اليتيمة يحمل مقومات الكتاب المستقل بفضل جهود المؤلّف من جمعٍ للمادة العلمية عن الشاعر، وكذلك من حيث أخباره وشعره واتجاهاته والمؤثرات في شعره بجانب ملاحظاته النقدية التي سجلها عن شعره مما صارت مادة للنّقاد فيما بعد وهذا ما أقرّه الثعالبي نفسه من أنّ هذا الفصل يحمل مقومات الكتاب المستقل حين قال : (وقد جمع بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصييره كتاباً برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ، وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، به غُنية ، فإن أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت الفوائد لديه ، وانثالت القلائد عليه ، بمشيئه الله)[3].

---

[1] محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، طبعة ٢٠٠٥م ص ٣٠٨.٣١٩

[2] حسين الواد : المتنبئ التجربة الجمالية عند العرب ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٤م ، دار صادر بيروت ص٥٣-٥٤

[3] الثعالبي : اليتيمة ، ج١ ص٢١١ .

وقد قامت دار الطلائع للنشر و التوزيع بطباعة هذا الفصل منفرداً بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م .

وبالإضافة لأقوال القدماء والمحدثين نجد كذلك ما أورده المحققين الذين عمِلوا على تحقيق الكتاب كالأستاذ محمد محي الذين عبد الحميد الذي قال:(... والكتاب –بعد هذا– يُعَدُّ من أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الحالة الإجتماعية والسياسية من طريق النتاج الأدبي ، في القرن الرابع وصدرٍ من الخامس الهجري)[١].

ومن المحققين للكتاب الدكتور مفيد محمد قميحة الذي أورد قائلاً : (إنّ اليتيمة كتاب هام لا غنى عنه لكل من يتعالى الأدب و يسلك دروبه لانّه يعرّفنا بالنقلة التي وصل إليها الشعر في عصره ، سواء من حيث النوعيّة أم الكميّة فضلاً عن تقديمه ترجمة وافية لكثير من شعراء العربية الذين لولا الجهد المشكور الذي بذله أبومنصور ، لظلّ أكثرهم في عالم المجهول و النسيان)[٢].

وكذلك قال الأستاذ : إبراهيم محمد صقر: (إنّ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، سجلٍ وافٍ للأحداث الأدبية والسياسية كما رصدها الأديب المؤرخ النابه)[٣]

وبجانب اعجاب العلماء والباحثين باليتيمة نجد كذلك من الشعراء من أُعجب بها ونظم فيها شعراً ومن ذلك ما أورده الحصري القيرواني من شعرٍ ومن ذلك أيضاً ما أورده الصفدي [٤] من شعر ابن قلاقس في اليتيمة (من مجزوء الكامل): .

حَفِظ اليتيمةُ كل من في شرقها والمغربِ
فشدوت من عجبٍ بها كم لليتيمةِ من أبِ

وقوله كذلك : .

كُتب القريضُ لآلئ نُظمت على جيدِ الوُجودِ
فضلُ اليتيمةِ فيهمُ فضلُ اليتيمةِ في العُقودِ

وقوله أيضاً : .

---

[١] اليتيمة – مقدمة المحقق ، ص٦

[٢] اليتيمة : مقدمة المحقق ، ص٨ .

[٣] اليتيمة : مقدمة المحقق ، ص٧

[٤] الصفدي : الوافي بالوفيات ج١٩ ص١٣٠- ١٣١

أبياتُ أشعارٍ اليتيمة أبكارُ أفكارٍ قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم فلذلك سميت اليتيمة

هذا يسيٌر مِن كثير من أقوال مَن تعرضوا للكتاب كُلّه أو جزء منه .

هذا عن محاسن الكتاب ومكانته الأدبية ، وأما ما أُخذ عليه ، فنجد أن القدماء لم يتطرقوا للكتاب بالنقد ، و أما المحدثين فاختلفت ملاحظاتهم باختلاف فهمهم للكتاب من حيث أنه كتاباً في الأدب وتاريخه أو كتاباً في التراجم .

ويرى الباحث أنّ المآخذ التي أُخِذت على الكتاب ليست حول المادة التي جمعها المؤلف كالشعر وغيره(من نثر وأخبار للشعراء الذين ذكرهم) أو الرواية التي اتبعها أو إقتصار المؤلف على أدب عصره وإنما قصوره عن إكمال بعض الجوانب حتى يستقيم الكتاب من وجهة نظرهم بجانب انتقادات شخصية للمؤلف نفسه .

وممن أخذوا على اليتيمة محمد محي الدين عبد الحميد أحد محققي الكتاب نفسه ، حيث يرى من عيوب اليتيمة عصبية مؤلفها المتمثلة في ناحيتين هما : .

أولاً : . تفضيله وتحيّزه لشعراء الشام عن شعراء سائر البلدان ، ويجعل المفضول هم شعراء العراق وينسى سائر البلدان الذين عقد الباب عليهم في الفصل الأول من القسم الأول من كتابه. ثانياً : . الإهتمام بالشعراء من الملوك والرؤساء وإيراد الضعيف من أشعارهم مما يتعارض مع شرط الكتاب الذي وضعه صاحبه .

فقال محمد محي الدين : ((على أن في هذا الكتاب عيباً لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ،...، وهذا العيب هو العصبية وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه . أما إحدى هاتين الناحيتين : ففي حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد باباً موضوعة (فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان) وذكر السبب في ذلك ويستدل بقرب خططهم من العرب وبعدهم عن الأعاجم ،.. ثم هو حين يريد أن يبين السبب في ذلك يجعل المفضول هم شعراء العراق وما جاورها وينسى سائر البلدان التي عقد الفصل عليها ،... وأما الثانية ففي حديثه عن الشعراء من

الملوك والرؤساء فهو يُفرد لملوك كل ناحية باباً ،... وهو يستبيح أن يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه اشترط ألاّ يروي إلا لُب اللّب))[1] .

وكذلك ممن أخذ على اليتيمة الدكتور زكي مبارك فقال : ((من أقتل عيوب اليتيمة إغفال الوفيات ، فقد يندر أن يذكر مؤلفه في أي عام مات من يحدثنا عنه وفي أي عام لقيه ؟ ولو أن الثعالبي عني بتدوين الوفيات لأدى لتاريخ الأدب حقاً من أوجب الحقوق)[2].

وذهب طه حسين هذا المذهب أيضاً حين قال : ((إن الثعالبي لم يدرس حياة من وردت تراجمهم في اليتيمة لبيان أثرها في أدبهم)) [3].

ويرى الباحث أن زكي مبارك وطه حسين يصدران نقدهما للكتاب من منطلق أنه كتاباً في تاريخ الأدب والتراجم ، ولكن الكتاب كما يُفهم من عنوانه " في محاسن أهل العصر " وُضِع في الأدب وليس في تاريخه أو التراجم ويلاحظ الباحث كذلك أن أغلب من ورد ذكرهم في اليتيمة اكتفى فيه الثعالبي بذكر أسمائهم فقط دون التعرض لحياتهم ومناطق سكنهم " مع أنه جمع شعراء كل بيئة في قسم واحد " بل يذكر شعرهم فقط ، إلا عند حديثه عن بعض المشاهير من الشعراء كالملوك والرؤساء والأمراء فانه يمدحهم ويميل في ذلك المدح لانتهاجهم الأدبي فمعظم عبارات مدحه تدور حول : ((أحد المحسنين الفضلاء ، أحد نجوم الأرض ، أحد المجيدين الأدباء ، نادرة الشام ، نجم الآفاق .. الخ)) وغيرها من الألفاظ التي لا تمس حياة من ورد ذكره في الكتاب (من حيث المولد والنّشأة ...الخ) مما يدل على أن الكتاب في الأدب والشعر وليس في التراجم وهذا ما أقراه مؤلف الكتاب نفسه بقوله : ((فهذه النسخة الآن .أي – اليتيمة – تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العريقة غرره ، ...، وتشتمل من نسج طباعهم وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ...))[4].

---

[1] الثعالبي :اليتيمة – مقدمة المحقق ، ص٧

[2] زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع – مرجع سابق- ج٢ ص١٩٠

[3] طه حسين : من مقدمته في تحقيق كتاب الذخيرة لابن بسام

[4] الثعالبي : اليتيمة ، مقدمة المؤلّف ، ص٥

فإيراد المؤلف عبارات "بدائع أعيان الفضل " ، "نسج طباعهم " ، " سبك أفهمهم " ، "صوغ أذهانهم " كل هذه العبارات تدل على أن الكتاب مؤلف في الإنتاج الأدبي " شعره ونثره" وليس في التراجم بالمعنى الدقيق للترجمة حتى يؤخذ عليه مآخذ كالتي ساقها زكي مبارك وطه حسين وغيرهما .

و ممن ذهب إلى أن كتاب اليتيمة في الأدب وليس في التراجم الأستاذ محمد محي الدين محقق الكتاب فقال : ((ونحن نقرّر أن هذا الكتاب لم يوضع في تاريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تاريخ حياة الأدباء والشعراء ولكنّه وُضع في صميم الأدب ولُبابه فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله . وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ، ولادرى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل))[1] .

ومع أن الكتاب لم يوضع في التراجم . حتى نرى أن بعض من يورد أشعارهم يذكر أسمائهم فقط ، أو توجَز أخبارهم ولا تكاد تتعدى سطراً واحداً . إلا أنّ أصحاب التراجم اعتمدوا عليه في نقل مادتهم ، بجانب إنه(أي الثعالبي) دوّن أخباراً لشعراء وكُتاب مغمورين لم يعرف عنهم شيئاً غير الذي ذكره صاحب الكتاب عنهم .

ومن المحدثين من نظر لليتيمة من منظور نقدي وقدّر قيمته النقدية فقط بالفصل الخاص باليتيمة كالدكتور إحسان عباس الذي قال : (... إنّه ذكر شعراء عصره في اليتيمة ، وهي أوضح كتبه من حيث الأسس النقدية على حسب الأقاليم ، ...، ولكنا نتحدث عن الثعالبي في هذا المقام لأنه عقد فصلاً عن المتنبئ ، يعد كتاباً قائماً بنفسه ، وهو يختلف عن بقيّة فصول الكتاب بما حوى من مادة نقدية ،...، وتمتاز دراسة الثعالبي بأشياء جديدة لم نجدها فيما أُلّف عن المتنبئ من قبل منها ... ، من كل ما تقدم نستطيع أن ننصف الثعالبي حين نقول إنه ليس في النقاد ، ولا حتى في مؤرّخي الأدب ، ولو لا فصله عن المتنبئ لكان إدراجه في باب النقد تزيّداً لا يجد له مسوغاً)[2] .

---

[1] المرجع السابق :مقدمة المحقق ، ص٨

٢ د. إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى الثامن الهجري) دار الثقافة ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٧٨م ،من ص٣٧٤-٣٧٧ .

وهكذا يبق كتاب اليتيمة مهما أُثير حوله من ملاحظات مصدراً مهماً في دراسة الأدب وسجلاً وافياً للأحداث في القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس كما سنرى ذلك إن شاء الله في الفصل الخاص بالقيمة الأدبية للكتاب .

الفصل الثاني

القيمة الأدبيّة وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأوّل :– الشِّعر

المبحث الثاني :– النّثر

المبحث الثالث :– التراجم

المبحث الأول

الشعر

الشعر وتصوير الحياة

أولا:– الحياة السياسية :

أهم المظاهر السياسية في هذه الفترة هو الانقسام الذي حصل للدولة العباسية التي كانت عاصمتها بغداد ، وبعد أن كانت الدولة تخضع لسلطان الخليفة في بغداد أصبح لكل إقليم حاكمه وأميره ، وماله وجنده ، وقضاؤه .

فكانت البصرة مثلاً في يد ابن رائق ، وفارس وأصبهان في يد بني بويه ، و خراسان وما وراء النهر في أيدي السامانيين وطبرستان وجرجان في أيدي الديلم ، وغير ذلك من الإمارات التي استقلت عن بغداد مع مرور الزمن وضعف الخلافة .

وبالرجوع إلى كتاب اليتيمة نجد أن الثعالبي صور لنا الحياة السياسية في ذلك العصر خاصة في بلاط سيف الدولة وحروبه مع الروم ومدائح الشعراء له وذكر وقائعه ، وكذلك أبو فراس الحمداني وغيرهم .

ومن ذلك ما أورده الثعالبي عن سيف الدولة بقوله : ((كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم و واسطة قلاتهم ، وكان . رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه – غرة الزمان وعماد الإسلام ، ومن به سداد الثغور وسداد الأمور، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف باسمها وتنزع لباسها وتفك أنيابها ، وتذل صاحبها ، وتكفي الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الإسلام الآثار))"[1]" .

فهو يصور لنا عهد سيف الدولة وما دار فيه من حروب وغزوات وما قيل في ذلك من أشعار .

ومن الشعراء من مدح حكم سيف الدولة ، وصف وقائعه مع الأعداء كالمتنبئ الذي قال فيه الثعالبي : ((... ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه ، والمشهور به ، إذ هو الذي جذب

[1]) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج١ ص٢٨

بضبعه ، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ....)) "[1]" . ومنهم كذلك أبو العباس بن محمد النامي ، وأبو فراس الحمداني ، وغيرهم من الشعراء الذين يردون بلاط سيف الدولة .

ومن الأشعار التي قيلت في مدح سيف الدولة مع وصف وقائعه ما قاله النامي (من الوافر):

خُلقت كما أردتك للمعالي فأنت لمن رجاك كما يُريد

عجيب أن سيفك ليس يروي وسيفك في الوريد له وُرود

وأعجب منه رمحك حين يُسقى فيصحو وهو نشوان يميد "[2]" .

ويقصد الشاعر بعبارة ليس يروي أنه يظل ظمآن على كثرة ما يشرب من دماء الأعداء ، وكذلك يميد رمحه يتحرك يميناً وشمالاً ، وذلك وصف لمعاركه مع الأعداء .

ومن وصف معارك سيف الدولة ما حكاه الثعالبي بقوله : ((وكان ظهر رجل في المغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أباوائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يُغذ "[3]" السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، وعاد ومعه أبو وائل وبين يديه رأس الخارجي على رمح فقال ضع السيف في أصحابه ، فلم ينجح إلا من سبق فرسه ، وعدا سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل وبين يديه رأس الخارجي على رمح فقال أبو فراس الحمداني يذكر ذلك (من الوافر): .

وأَنْقَذَ مِنْ مَسّ الحديدِ وثقَلِهِ أَبَا وائلٍ ، وَالدّهرُ أجدَعُ صَاغِرُ

وآبَ و رأسُ القَرْمَطِي أَمَامَهُ لَهُ جَسدُ مِنْ أَكْعُبِ الرّمحِ ضَامِرُ[4]) "[5]" .

ومن ذلك أيضاً ما قاله المتنبئ في وقائع سيف الدولة (من الوافر) : .

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعاداة سيف الدولة الطعن في العدا

---

[1]) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ، ص١١٢.

[2]) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج١ ص٣١

[3]) يغذ : مسرع هكذا وردت في الكتاب

[4]أبوفراس الحمداني : أبوفراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي ، ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح د: يوسف شكري فرحات ، دار الجيل – بيروت ، دون تأريخ طبعة ، ص١٣٣ .

[5]) المرجع السابق ج١ ، ص٣٥

و أن يكذب الإرجاف عنه بضده ويُمسي بما تحوي أعاديه أسعدا

ورُب مريد ضره ضر نفسه وهاد إليه الجيش أهدى وما هدى "[1]" .

ومثلما كانت فترة حكم سيف الدولة تمثل حدثا سياسياً كذلك ابن عمه أبو فراس الحمداني يمثل جانباً سياسياً في شعره حيث قال فيه الثعالبي : ((... ، وشعره مشهورسائر بين الحُسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، ... ، وعزة الملك) "[2]".

ومن شعره في الملك والسياسة قوله (من الوافر): .

لَناَ بَيتٌ على عُنُقِ الثُّريّا بَعيدُ مذاهبِ الأطْنابِ سامِ

تُظللّه الفوارِسُ بالعوَالي وتَفْرُشه الولائِدُ بالطّعامِ[3]) "[4]" .

وقوله كذلك (من الوافر): .

لئن خلق الأنام لحسوِ كأسٍ ومزمارٍ وطنبور وعود

فلم يُخْلق بنو حمدان إلاّ لمجدٍ أو لبأسٍ أو لجود "[5]" .

وأهم ما يمثل الجانب السياسي في شعر أبي فراس الحمداني أشعاره التي ألّفها عندما أسره الروم في إحدى المعارك تلك الأشعار المعروفة (بالروميات) ، وهو شاعر يعبر عن ذلة العبودية والأسر بعد شرف الحكم ، ومكاتبات سيف الدولة وأبناءه وغلمانه في طلب المفاداة ومن أخباره في الروميات ما ذكره الثعالبي بقوله : ((لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم في بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصاب سهم بقي نصله في فخذه ، وحمل مثخناً بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة، ...، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه ، والتبرم بحالة ومكانه ، .... الخ)) "[6]" .

---

[1]) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ص٣٩

[2] الثعالبي : اليتيمة ، ج١ ، ص٤٤

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٣٠٣ .

[4]) الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج ١، ص٥٢.

[5]) المرجع السابق ، ج١ ، ص٥٢

[6]) المرجع السابق ص٦٧

ومن شعره قوله بخرشنة (من مجزوء الكامل): .

إن زُرْتُ خرشنة أسيراً فلكم أحطتُ بها مُغِيراً

ولقد رأيتُ النارِ تَلْتهِبُ المنازِلَ والقُصُورا

وَلَقد رأيتُ السبي يُجْلِبُ نحونا حُوّاً وحوُرا

من كان مثلي لم يب إلاّ أميراً أو يسيرا

لَيْسَت تحل سرادتُنا إلا الصدور أو القبورا[1])"[2]" .

وهذا ما ذهب إليه أحمد أمين حين قال : ((...، وقد أُخِذَ أسيراً في إحدي غزواته للروم وأُرسِل إلى القسطنطينية ، وبقي فيها أربع سنوات قال فيها أحسن شعره ، وقد أرسل أكثرة إلى سيف الدولة ، طالباً منه أن يفديه ، عاتباً أحياناً شاكياً أحياناً وإنه كان أحسن شعره لأن وقوعه في الأسر وبعده عن وطنه أهاج شاعريته ودفق عاطفته ... الخ))"[3] ".

ومن روميات أبو فراس الحمداني كذلك ما كتبه إلى سيف الدولة بقوله (من مجزوء الكامل):

هل تَعْطفان على العليلِ؟ لا بالأسيرِ ولا بالقَتيلِ ؟

باتت تقلبه الأكُفّ سَحَابة الليلِ الطويلِ

فقد الضيوف مكانه وبكاه أبناء السبيل

وتعطّلت سُمُر الرماحِ وأُغْمِدت بِيضُ النصُولِ

يا فارج الكرب العظيم وكاشف الخطب الجليل

كن يا قوي لذا الضعيف ويا عزيز لذا الذليل

قربة من سيف الهدى في ظلِ دولته الظليل

لم أرو منه ولا شفيت بطول خدمتِه غليلي

ولئن حننت إلى زراه لقد حننتُ إلى وصولِ

لا بالغضوبِ ولا الكذوبِ ولا القطوب ولا الملولِ

ياعدتي في النائبات وظلتي عند المقيلِ

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني ، ص١٧٥ .

[2]) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ص ٦٨

[3]) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٦م جزءان ،ج١ ص١٤٤.

أين المحبة والذمام وما وعدت من الجميل

أَجْمل على النفسِ الكريمة فيّ القَلْبِ الحمول[1] "[2]" .

ومن رومياته كذلك مكاتبته إلى ابني سيف الدولة أبي المعالي وأبي المكارم ، وكذلك مكاتبته إلى غلمانه ، ومكاتبات والدة أبي فراس الحمداني إلى سيف الدولة طالبة منه أن يفدي ابنها من الأسر .

بجانب تصوير وقائع وغزوات سيف الدولة ، وما جرى لأبي فراس الحمداني من أسر ، أورد لنا الثعالبي جانبا آخر من أثر الحياة السياسية على الشعر ممثلاً ذلك في تشجيع سيف الدولة للشعراء واحتشادهم على بلاطه ومكافأته عنهم ، ومن ذلك ما حكاه الثعالبي بقوله : ((حدثني أبو الحسن علي بن محمد العلوي الحسيني الهمداني الوصي قال : كنت وقفاً في السماطين بين يدي سيف الدولة والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب فأذنوا له ، فأنشد: .

أنت عليّ ، وهذه حلب قد نفد الزاد ، وانتهى الطلب

بهذه تفتخر البلاد وبالأمير تزهى على الورى العرب

وعبدك الدهر أضربنا إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة ، أحسنت والله وأمر له بمائتي دينار "[3]"

وكذلك ما دار بين سيف الدولة والمتنبئ من أحاديث وانتقاده على المتنبئ بعض أبياته ، وغير ذلك من التأثير المباشر أو غير المباشر للسياسة على الشعر .

ومن الجوانب السياسية التي صورها الشعر المجاوبات التي كانت تجري بين الرؤساء والأمراء أو الرؤساء وبعض القبائل أو العشائر كالتي جرت بين أبي فراس الحمداني وابني ورقاء الشيباني وهما (أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله) وهما من رؤساء عرب الشام وقوادها كما ذكر الثعالبي .

ومن ذلك ما رده إليهما أبو فراس الحمداني بقوله (من الوافر) : .

أتاني من بَني ورقـاءُ قولٌ ألذّ جَنيً من الماءِ القراحِ

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٢٦٥- ٢٦٥ .

[2]) الثعالبي : اليتيمة ج١ ص٧٠

[3]) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ص٣٢.

وأطْيبُ من نسيمِ الروضِ حفّت به اللذاتُ من رَوحٍ وراحِ

ولو أني اقترحت على زماني لكنتم ، يابني ورقاء اقتراحي[1] "[2]".

و لأبي أحمد في جوابها (من الوافر): .

أصاح قلبه أم غير صاح وقد عنت له عفر البطاح

ظباءُ الوحش تحكي ما ثلاث ظباءَ الإنس بالصور الملاح "[3]" .

والمجاوبات هي مرسلات تأييد للحكام والرؤساء وهي شبه ما تكون بالمبايعات والولاءات السياسية وتأييد الحكام في عصرنا هذا .

* **ثانياً : الحياة الاقتصادية : .**

ومثلما كان الشعر الذي أورده الثعالبي صورة للحياة السياسية فهو أيضاً صورة معبرة عن الحياة الاقتصادية في تلك الفترة بجانبيها الغني وما يترتب عليه من ترف ونعيم ، و الفقر وما ينتج عنه من بؤس وشقاء وشظف العيش وسُوء الحال وشكوى الزمان وذمة إلى غير ذلك .

ومن المعروف أن طبيعة المجتمع تتكون من طبقتين هما : .

طبقة عليا غنية متمثلة في الحكام والرؤساء والأمراء والشعراء الذين يتصلون بالأمراء ، وطبقة كادحة وهي عامة الشعب والعلماء والشعراء الذين لم يتصلوا بالأمراء .

وبالرجوع إلى الشعر الذي يصور حياة الأغنياء والأمراء نجدهم يصورون هذا الترف والنعيم ويصفونه ، فيصفون القصور وصور الحضارة ومن ذلك قول أبو فراس الحمداني في نفائس الفرس:

وكأنما البرك الملاءُ تحفها ألوان ذاك الروض والزهر

بسط من الديباج بيض فروزت أطرافها بفراوز خضر"[4]" .

وكثير ما تتجلى صور الترف في وصف أدواته ، ومن ذلك ما أورده الثعالبي من خبر ابن الفيّاض وهو ((أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض)) كاتب سيف الدولة ونديمه أنه ((كان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاف دواته إلا بماء الورد))"[1]" .

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني ، ص٧٥ .

[2]) الثعالبي : اليتيمة ج١ ص٩٨

[3]) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ص٩٨

[4]- الثعالبي : اليتيمة ج١ص٤١

ومن صور ترف الحياة بعد إعسارها نتيجة الاتصال بذوي السلطة ما حكاه الثعالبي عن المهلبي الوزير من تيسير حاله بعد إعسارها فقال : ((قد حضرنا حجرة تعرف بالرجحان ، فيها حوض مستدير ينصب إليه الماء من دجلة بالدواليب ، وقد مدت الستارة وفيها حُسن العكبراوية فغنت : .

سلام أيها الملك اليماني لقد غلب البعاد على التداني

فطرب الأستاذ أبو محمد . أيده الله . بغنائها (أبي محمد المهلبي) ، واستعادها الصوت مراراً و أتبعه أبياناً هي : .

تطوي المنازل عن حبيبك دائماً وتظل تبكيه بدمع ساجم

هلا أقمت ولو على جمر الغضا قبلت أو خذ الحسام الصارم

وتبعتها جارية ابن مقلة ، ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت بيتين للأستاذ وهما : .

يا من له رُتب ممكنة القواعد في الفؤاد

أيحل أخذ الماء من متلهب الإحشاء صادي ؟

ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب ، واشتغل في الشدو ، وارتفع الأمر عن الضبط والأصوات عن الحفظ ، واتفقت في أثناء ذلك مذكرات ومناشدات ، وافترقنا "[٢]"

ومن صور الترف كذلك شعر السري الرفاء "[٣]" ، وفي وصف الربيع وأزهاره والشراب واستهدائه وما يتصل به ، ووصف طبل العزف ووصف المروحة واللحم المشوي وغير ذلك من أنواع الوصف ، وكذلك ما أخرج من الشعر الصابئ "[٤]في الأوصاف وغير ذلك .

وأما ظاهرة الفقر والبؤس فقد صورها الشعر أيضاً كما صور حالة الترف ونتج عن ظاهرة الفقر الشعر الذي يشكو سوء الحال وذم الزمان وأهله وأشهر من صور ذلك ابن لنكك الذي قال فيه الثعالبي : ((... وكانت حرفه الأدب تمسه و تخمشه ومنحة الفضل تدركه فتخدشه ،

---

[١]- المرجع السابق ص١٠٤

[٢]- الثعالبي : اليتيمة ، ج٢ص٢٢١-٢٢

[٣] - المرجع السابق ج٢ص١٦٢

[٤] - المرجع السابق ص٢٥٠وما بعدها .

ونفسه ترفعه ودهره يضعه ، ... ، وأكثر شعره مُلح وظرف ، ... ، وجلها في شكوى الزمان وأهله)) "[1]" .

ومن ذلك قوله : يا زماناً ألبس الأحرار ذلاً ومهانة

لست عندي بزمان إنما أنت زمانه "[2]"

أجنون ما نراه منك يبدو أم مجانة ؟"[3]"

وكذلك قوله : .

جار الزمان علينا في تصرفه وأي دهر على الأحرارلم يجرِ

عندي من الدهر مالو أن أيسره يلقي على الفلك الدوارِ لم يدر "[4]" .

وقوله : .

نحن في الدهر في أعاجيبا فنسأل الله صبر أيوبا

أقفرت الأرض من محاسنها فابك عليها بكاء يعقوبا "[5]"

وممن تغني بشكوى الزمان وسُوء الحال : أبونصر عبد العزيز بن محمد ابن نباته المعروف بابن نباته السعدي ومن شعره : .

في كل يوم لنا في الدهر معركة هام الحوادث في أرجائها فلق

حظي من العيش أكل حله غصص مر المذاق وشرب كله شرق "[6] "

وقوله : .

وتأخذ من جوانبنا الليالي كما أخذ المساء من الصباح

أما في أهلها رجل لبيب يحس فيشتكي ألم الجراح ؟

أرى التشمير فيه كالتواني وحرمان العطية كالنجاح

---

[1]- الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ج٢ص٢٣٩

[2] - الزمانه : العاهة ، وذهاب قوى البدن .

[3]- الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٢ ص٣٣٠

[4] المرجع السابق ص٣٣١

[5] المرجع السابق ص٣٣٢

[6] المرجع السابق ص٣٦٢

ومن لبس التراب كمن علاه فلا تخدعك أنفاس الرياح

وكيف يكد مهجته حريص يرى الأزرق في ضرب القداح "[1]" .

و ممن تغنى بسوء الحال كذلك ابن الحجاج الذي قال : .

ما حال من يأوي إلى منزل أرفق منه المسجد الجامع

لا يرتوي العطشان فيه ، ولا يلحق ما يقتاته الجائع

وسوقه كاسدة بينكم لا مشتر فيه ولا بائع "[2]"

فهو يصور حتى كساد السوق ، وعدم توفر الأموال للناس لكي يشتروا ما يريدون من متاع وغذاء .

وقوله أيضاً : .

أتعشى بغير خبز ، وهذا خبري منذ مدة في غذائي

فأنا اليوم من ملائكة الدولة وحدي أحيا بغير غذاء

أية لم تكن لموسى بن عمران ولا غيره من الأنبياء "[3]"

إنّ الشاعر أو العالم إذا اتصل بالحكام والأمراء تغير حاله من الفقر إلى الغنى ومن ذلك ما ساقه الثعالبي من أخبار السري بن أحمد الكندي المعروف (بالرفاء)بقوله أي الثعالبي :((ولم يزل السري في ضنكٍ من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأُفول ، وبعد صيته الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بني حمدان ورؤساء الشام و العراق . ولما توفى سيف الدولة ورد السري بغداد ، ومدح المهلبي الوزير وغيره من الصدور ، فارتفق وارتزق معهم ، وحسنت حاله ....)) "[4]" .

ومن ذلك أيضاً ما أورده الثعالبي من أخبار المهلبي الوزير قبل أن يكون وزيراً أنه كان فقيراً فقال : ((حدثني أبو بكر الخوارزمي ، وأبو نصر سهل بن المرزبان ، وأبو الحسن المصيصي

---

[1]- الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٢ ص٣٦٤

[2] - المرجع السابق ج٣ ص٥٦

[3] - المرجع السابق نفسه ج٣ص٥٦

٣- المرجع السابق ج٢ص١١٧

فدخل حديث بعضهم في بعضٍ فزاد ونقص قالوا : كانت حالة المهلبي الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسي منها رفيق له من أصحاب والجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الآداب إذْ لقي في سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه فقال ارتحالاً :

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

ألا موت لذيذ الطعم يأتي يخلصني من العيش الكريه

إذا أبصرت قبراً من بعيد وودت لو أنني مما يليه

ألا رحم المهيمين نفس حر تصدق بالوفاة على أخيه .

فأشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً ، فأسكن به قرمه "[1]" ، وتحفظ الأبيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته ، حتى ترقت حال المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال : .

رق الزمان لفاقتي ورثى لطول تحرقي

وأنالني ما أرتجى وأجارني مما أتقي "[2]" .

إنّ العصر العباسي على الرغم من الحضارة والتقدُّم إلاّ أنّ فساد الحكام وإستحواذهم على السُّلطة والثروة أدّى إلى ضنكِ العيش وسُوء الحال في عامة الشعب بمن فيهم الشعراء الذين لم تتوفر لهم أسباب الإتصال بالحكام ، لذلك أصبح شكوى الزمان على لسان كل الشعراء بجانب إنه صار الحديث عند عامة الشعب ، وهذا ما أشار إليه الدكتور شوقي ضيف الذي أرجع تلك الشكوى للظلم و إضطراب القيم حيث قال :- (وذكرنا في كتاب العصر العبّاسي الأوّل كيف أنّ بعض الشعراء ، وفي مقدمتهم أبوتمام ، كانوا يضعون أحياناً في مقدمات قصائدهم شكوى مرّة من الزمن وهمومه ، وأنّ منهم من أفرد للشكوى بعض قصائد ومقطوعات ولكن هذه الشكوى تظل في العصر السابق فرديّة ، أمّا في هذا العصر العبّاسي الثاني فإنّها تصبح موجة عامّة قلّ من لم تعمّه ، لفساد الأحوال السياسية التي وصفناها في غير هذا الموضع ، فإذا المناصب يتولاها غير أهلها ،...، فقد عمّ الظُّلم ، وإضطربت القيم ، ... أو قُلْ كأنّما أصبحت

[1] - القرمة شدة الشهوة إلى اللحم

[2] - الثعالبي : اليتيمة ج٢ص٢١٧-٢١٨

الحياة يأساً متصِلاً ، لذلك طبيعياً أن نجِدْ الشكوى على كل لسان ، شكوى مريرة من الزمن وأهله).[1]

ثالثاً : – الحياة الاجتماعية وما شاع فيها:

مثلما صّور لنا الثعالبي الحياة السياسية ، وما دار فيها ، نقل لنا كذلك جوانب من الحياة الاجتماعية وما شاع فيها من عادات وأخلاق وقيم ، ومن تلك الظواهر الاجتماعية:-

أ– ظاهرة المجون :–

هذه الظاهرة من الظواهر الاجتماعية التي انتشرت في ذلك العصر، وانعكس صداها في نفوس الناس وتأثر بها العامة والخاصة وتغنى بها الشعراء في أشعارهم.

والجدير بالذكر أنّ ظاهرة المجون ورثها المجتمع العباسي من المجتمع الساسانى الفارسي [2] ، ويرجع السبب في انتشار هذه الظاهرة وشيوعها إلى الحرية المسرفة التي دفعت إليها الثورة العباسية [3] ، من إسراف في شرب الخمر وارتباط ذلك باللهو والغناء ، بالإضافة إلى ظهور الحانات والأديرة هذا بالإضافة إلى أيام الأعياد على مدار السنة التي يخرج فيها الناس للهو والعبث والمجون ، وانتشار الجواري والقيان وإمتلاك الخلفاء والأمُراء لهنّ.

أمّا الدكتور الزهيرى فقد أشار إلى أن المجون أصبح مألُوفاً في القرن الرابع الأمر الذي أدى إلى إنتشاره حيث قال :((أمّا في القرن الرابع في ظل بني بويه ، وفى فارس والعراق خاصة فقد

[1] د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الثامنة ، ص٢٤١ .

[2] ضيف: الدكتور شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ، ط ١٩ ، دار المعارف. القاهرة ٢٠٠٨ ،ص ٦٥.

[3] المرجع السابق نفسه ص٦٧.

كان الأمر مختلفاً جداً عن قبل ، ذلك لأنّ المجون أصبح في هذا العصر شيئاً مألوفاً ، لاينكره العرف ولا يأباه الذوق الاجتماعي))[١].

وهذا ما ذهب إليه الثعالبي بقوله عن ابن سكرة الهاشمي وابن الحجاج وهما من أشهرشعراء المجون بقوله ((وكان يقال إن زماناً جاد بابن سكّرة وابن الحجاج لسخي جداً)). [٢]هذا القول يدل على أن هذه الظاهرة كانت مقبولة لدى المجتمع ، فهم يرون أنّ الزمان جاد وسخِي عليهم بهؤلاء الشعراء الذين يشبعون شهواتهم ، وهذا يدل على رضاهم عن تلك الظاهرة وتقبلهم لإنتشارها وشيوعها بينهم .

عموماً انتشرت هذه الظاهرة كثيراً في عصر الثعالبي وتغنى بها عدد كبير من الشعراء أشهرهم ابن سكرة الهاشمي ، وابن الحجاج بجانب شعراء أخرين كأبي الحسن السلامى، وأبى دلف الخزرجى، أبى الفتح البستى ، والصاحب بن عباد وغيرهم. وقد أورد الثعالبي نماذج كثيرة من شعر المجون ، خاصة ابن سكرة الهاشمي الذي قال عنه :((شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع ، فائق في قول الملح والظرف، أحد الفحول الأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد))[٣] وقد أطال الثعالبي في حديثه عن ابن الحجاج و ما ذهب إليه من قول يشير إلى أنّ ظاهرة المجون كانت مقبوله للمجتمع فقال عن ابن الحجاج ((....، فلم يخل قصيدة فيها من سفائج هزله ، ونتائج فحشه، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام....)) [٤].

---

[١] محمود غناوى الزهيرى :الأدب في ظل بني بويه ، دار المعارف بغداد ، ١٩٤٩م، ص٢٤٨.

[٢] الثعالبي : اليتيمة ج ٣ ص٥٠.

[٣] الثعالبي : اليتيمة ج٣ ص٥٠

[٤] الثعالبي : اليتيمة ، ج ٣ ص٣١.

وهذا ما ذهب إليه أحمد أمين في حديثه عن ابن الحجاج إذْ قال: ((وقد استعمل بعض ألفاظ العوام ، وشبّه أفظع التشبيهات و أشنعها ، ومع هذا كله راج شعره رواجاً كثيراً، فكان يُباع ديوان شعره من خمسين ديناراً إلى سبعين ، ونفق شعره عند العامة والخاصة ،....، ومثله ابن سكّرة ، ولم يتحرجا من أن يقولا أقبح المعاني في أصرح الألفاظ ومع ذلك جرى شعرهما في الناس ، وأختار الثعالبي منه أخفه وهذا الأخف مقزع شنيع ، فرواج هذا الشعر أكبر دليل على ما وصل إليه الانحلال الخلقي في هذا المجتمع))[1].

وأشار الدكتور الزهيرى إلى أن إكثار الثعالبي من إيراد مثل هذا الشعر خاصة ابن سكرة وابن الحجاج كان إرضاءً لذوق العصر ومجاراة لميول أهله الذين كانوا يستسيغون هذا النوع من الأدب ويفضلونه على ماسواه ، ودليلي على ذلك ما كان من عنايته الشديدة بشعر ابن الحجاج وابن سكرة، وإكثاره من رواية هذا الشعر على فحشه وإقذاعه بحيث استوعبت الشواهد التي أختارها منه أكثر من سبعين صفحة من صفحات الكتاب ....)) [2]

ويلاحظ الباحث أن الشعر الماجن لم يقال في النساء والعورات ووصف السوءات بل في الشراب وما يتصل به من لهو ، وكذلك الألفاظ التي تقال في المناسبات وهذا ما قال به الدكتور الزهيرى حين أورد قائلاً : ((وكان هذا الأدب الماجن كثيراً ومتنوعاً ، منه ما قيل في الخمر وما يتصل بها ، ومنه ماقيل في الغلمان والجواري ، ومنه ما قيل في وصف السوءات والعورات ، والمقاذر والإفحاش. ولكن هذه الأنواع الأدبية كانت كلها تصدر عن واد واحد هو

[1] أحمد أمين : ظهر الإسلام ، مجلدان ، المكتبة العصريه، ط١، ٢٠٠٦ ، ج١ ص١١٣- ١١٤.

[2] محمود غناوى الزهيرى : الأدب في ظل بني بويه مرجع سابق ص٢٥٣

ذلك الميل العام إلى المتع واللذات الذي سيطر على النفوس في هذه الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية)) [1]

ب– ظاهرة التعلق بالغلمان : –

هذه الظاهرة انتشرت كذلك في عصر الثعالبي وصورها شعراء اليتيمة ، حتى لا نكاد نجد شاعراً إلأ وله شعراً في هذه الظاهرة ، ومن المعروف أن ظاهرة التعلق بالغلمان التي نقلها لنا صاحب اليتيمة هي امتداد للمجون ، والذي أول من أشتهر به والبة بن الحباب [2] الذي تغزل في الغلمان وتبعه أبو نواس الذي تأثر به ، وقال شوقي ضيف: ((بل هو – يعنى والبة بن الحباب – في رأينا يتحمل إفساد العصر كله ، و ما شاع فيه ، من هذا الغزل المقيت الذي يخنق كرامة الشباب والرجال خنقاً)) [3] .

وقد امتدت هذه الظاهرة إلى عصر الثعالبي ، وانتشرت وتغنى بها الشعراء كثيراً حتى الوزراء والأمراء منهم الذين كانوا يملكون الغلمان كما يملكون الجواري وهذا ما أقرة أحمد أمين حين أورد قائلاً : ((وكان هؤلاء الغلمان مملوكين كما تملك الجواري ، يقومون بالخدمة في البيوت وفى الأعمال التجارية وهؤلاء الشعراء يتغزلون فيمن يملكون أو يملكه غيرهم ، ... ، بل نرى من هذا ظاهرة غريبة وهى عدم تحرُّج ذوى المناصب الكبيرة كالوزراء والقضاة من كثرة القول

---

١ الزهيري : الأدب في ظل بني بويه ، ص٢٥٣

٢ د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العبّاسي الثاني ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣م ص٧٣.

٣ المرجع السابق نفسه ص٧٣.

في هذا الباب ، مما يدل على أن الرأي العام قد فتر استنكاره له ، وعده من باب الظرافة والمجون إلا في الأوساط المتشددة)) [1]

ومما يؤيد هذا ما حكاه الثعالبي بقوله : ((وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده طرطوس ، وأخذ يقرع باب العصيان والكفران ، وزاد تعسه وسؤء عشرته لرفقائه ، فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . وشق على سيف الدولة وأمر بقتل فتَكته)) [2]

ومن ذلك أيضاً ما ساقه الثعالبي عن ابن الفيّاض كاتب سيف الدولة بقوله : ((أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في غلام : له أسير لديه استوحش منه لميله إلى غلام أخر يقال له إقبال (من البسيط): –

أنكرت إقبالي على إقبال وخشيت أن تتساويا في الحال

هيهات إلاّ تخرج في كل طريفة ربح يهون وأنت رأس المال[3].

هذه الأمثلة وغيرها تدل على أن ظاهرة التعلق بالغلمان كانت ظاهرة عامة حتى عند الأمراء والوزراء والكتاب والقضاة وغيرهم من المشاهير وماكان اهتمام الشعراء بها إلاّ لإنتشارها.

[1] أحمد أمين : ظهر الإسلام ، مرجع سابق ، ج١ ص١١٢– ١١٣.

[2] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ص٤٧.

[3] المرجع السابق نفسه ، ج١ ص١٠٥.

و من شعر التغزل في الغلمان :–

أورد الثعالبي أشعاراً كثيرة في التعلق بالغلمان من ذلك أبو الفرج الببغاء ، الذي قال في غلام خرج غازياً : –

ياغازياً أتت الأحزان غازية إلى فؤادي والأحشاء حين غزا

إن بارزتك غزاة الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كل من برزا [1]

... وكذلك قول الوأوأ الدمشقي في غلام عليل : –

إبيضّ واصفرّ لاعتلالٍ فصار كالنرجس المضعّف

كأنّ نسرين وجنتيه بشعر أصداغه مغلّف

يرشح منه الجبين ماءً كأنّه لؤلؤ مصنّف [2]

... ومن ذلك أيضاً قول المهلّبي الوزير في غلام أسمه غريب : –

رعى الرحمن قوماً ملّكوني رشا قصير بلغت به المرادا

وسمّوه مع الغربي غريباً كنور العين سمّوه سواداً.[3]

... ومن ذلك أيضاً قول ابن سكّرة الهاشمي في غلامٍ يهواه وهو يسمّيه : –

---

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ج١ ، ص٢٤٣

[2] المرجع السابق نفسه ج١ ص٢٥٨.

[3] المرجع السابق ج٢ ص٢٢٥.

إذا باسمي دعيت ضننت شوقاً وزكّرنى به الداعي حبيبي

فليت كما اتفقنا في الأسامى والفتها اتفقنا في القلوب.[١]

ومن ذلك أيضاً ما أورده الثعالبي في ذكر القاضي التنوخى بقوله : –

((وبلغني انه كان له غلاماً يسمى نسيماً ، في نهاية الملاحة واللباقة وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويختصه بتقريبه واستخدامه)) [٢].

ومن ذلك قوله : –

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم الشمس أعظم جرم حازه الفلك

من أين أستر وجدي وهو منهتك ما للمتيم في فتك الهوى درك [٣].

وقد أورد الثعالبي نماذج كثيرة من الشعر الذي تناول تلك الظاهرة مما يدل على شيوعها وإنتشارها وتقبل العامة لها.

وصور الشعر كذلك بجانب المجون عادات اجتماعية أخرى كالمناسبات والعادات والتقاليد والأعياد تلك عادات الفرس وغير ذلك مما دفع الحوفى إلى القول : ((لكن العرب جعلوا يتأثرون بالعادات الفارسية شيئاً بعد شيئ في العصر العباسي ، فعظم تأثرهم ونقلوا عن الفرس كثيراً من عاداتهم ووسائل ترفهم ولهوهم ومجونهم)) [٤].

---

[١] الثعالبي : يتيمة الدهر، ج٣ ص٦.

[٢] المرجع السابق ج٢ ص٣١٨.

[٣] الثعالبي : اليتيمة ، ج٢ ص٣٢٧.

[٤] أحمد محمد الحوفى : تيارات ثقافية بين العرب والفرس. مرجع سابق ص١١٢.

ج- تصوير عادات وتقاليد غير العرب : وذلك ما نقله لنا الثعالبي من مناكاة بني ساسان على لسان أبي دُلف الخزرجي .

- **رابعاً : الحياة الأدبية** : -

نقل لنا الثعالبي في اليتيمة صوراً من الحياة الأدبية متمثلة في إسهامات الملوك والأمراء في نهضة الشعر في القرن الرابع بأقاليم الدولة الإسلامية المختلفة في حلب وبغداد وغيرها من المناطق.

ومن ذلك ما صوره لنا من مجالس سيف الدولة التي كانت تضُم الشعراء والأُدباء حيث يقول الثعالبي : ((...، وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء . ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، وكان أديباً محباً لجيد الشعر ...)) [1].

حيث أورد الثعالبي فصلاً عن إسهامات سيف الدولة في نهضة الشعر وتجويده سماه ((في انفجار ينابيع جوده على الشعراء)) ، حيث ذكر فيه أن الشعراء ينشدونه ويستحسن أشعارهم ويكافئهم على ذلك بالدنانير مما يساعد على تجويد الشعر ، ومن ذلك ما أورده الثعالبي بقوله : ((حدثني أبو الحسن على بن محمد العلوي الحسيني الهمدانى الوصي قال : كنت واقفاً في السماطين بين يدي سيف الدولة بحلب و الشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فستأذن الحجاب في الإنشاد ، فأذنوا له فأنشد : -

أنت علي ، وهذه حلب قد نفد الزاد ، وانتهى الطلب

بهذه تفتخر البلاد وبالأمير تزهى على الورى العرب

---

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ص٢٨.

وعبدك الدهر قد أضرّبنا إليك من جور عبدك الهرب.

فقال سيف الدولة : ((أحسنت والله)) وأمر له بمائتي دينار)) [1].

ونتيجة لتشجيعه الشعراء ومكافأته لهم وفد إليه شعراء من خارج حلب كالعراق والموصل وغيرهما من المناطق وهذا ما ذهب إليه الدكتور مصطفى الشكعة بقوله : ((عاش في رحاب حلب أيام بني حمدان وبخاصة في عهد سيف الدولة مجموعة وافرة العدد من الشعراء اطمأنوا إلى كرم الأمير و سخائه ، ولم يكن كل هؤلاء الشعراء من حلب نفسها بل كانوا من أصقاع مختلفة وأمصار متباعدة ،...)) [2].

وكذلك من صور الاهتمام بالشعر ما نقله لنا من مجلس الصاحب بن عباد ، إذ يقول الثعالبي عنه : ((... ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء والأدباء والشعراء ، وحضرته محط رحالهم ، وموسم فضلائهم ، ... ، واحتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر ، وأبناء الفضل وفرسان الشعر ، من يربى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقان القوافي وملك رق المعاني)) [3]

هذا بجانب اهتمام بعض أمراء الدويلات كآل مكيال في نيسابور وغيرها من مناطق إيران.

كل ذلك يدل على النشاط الأدبي والشعري ، فقد أورد الثعالبي أغلب شعراء تلك الفترة في اليتيمة.

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، ج١ ، ص٣٢.

[2] الشكعة : د. مصطفى محمد الشكعة ، فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، عالم الكتب بيروت ط٢ ، ١٩٨١م ، ص٧٠٧.

[3] الثعالبي : اليتيمة ج٢ ص١٧٧.

كل تلك الجهود أسهمت في رواج الشعر العربي وكثرته وإنتشاره وجودته وهذا ما قاله شوقي ضيف حين قال : ((راجت سوق الشعر العربي بإيران في القرن الرابع الهجري رواجاً عظيماً ، وكان من العوامل التي أدت إلى هذا الرواج اهتمام ملوك البويهيين ووزرائهم بالشعر وأصحابه ، وفى مقدمتهم عضد الدولة ، وكان ينظم شعراً حسناً ، كما كان يؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء ، كما يقول صاحب اليتيمة)). [1]

و نقل لنا الثعالبي شعراً يتصل بنواحي الحياة في عمومها وخصوصها فعبّر عن حياة الشعب العامة في الشدّة والرخاء ، وتصوير عواطفهم وانحلالهم الخُلُقي ،كما عبّر عن بيئة الملوك وأثرها في الشعر وتاثُّر العامة بتلك الأمور التي شاعت في تلك الفترة ، وهذا ما أشار إليه حنّا الفاخوري وسماه (الأدب الشعبي) حين قال :- (... والجدير بالذكر أنّ الأدب في هذا العهد_ يعني العصر العباسي _ نزع في قسم كبير منه نزعة شعبية ، فعالج العواطف العامة التي تتصل بالنفوس جميعاً ،ولم يجْعل وقفاً على الخاصة وعلى الأهواء السياسية ، وذلك لأنّ الصراع الشديد الذي نشأ بين الفرس والعرب ،والفرس والأتراك ، ثمّ استبداد هؤلاء ، ثمّ الإنحلال الإجتماعي والتحرر الفكري ، والشراب والتوسع على النّفس في الإستمتاع به ، والموسيقى وآلاتها وفنّانيها ، وذلك اللون من الحياة المرحة اللاهية ، كل ذلك نقل قسماً كبيراً من الأدب إلى صفوف الشعب إلى الحياة الواقعية ، فكان منه الأدب الشعبي ...) .[2]

---

[1] ضيف : د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات ((الجزيرة ، العراق ، إيران)) ، دار المعارف مصر ، ط٤ ، ١٩٩٦م ، ص٥٦٨.

٢ حنّا الفاخوري : الموجزفي الأدب العربي وتأريخه ، أربعة مجلدات ، دار الجيل – بيروت ، ط٣ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م ، ج٢ ص ٣٢ .

ثانياً :– سماته :–

من يقرأ الشعر الذي أورده الثعالبي في اليتيمة يجده يتسم بِسماتٍ تميزه عن أشعار الجاهليين وصدر الإسلام و حتى مطلع الفترة الأولى من العصر العباسي ، وتتمثّل تلك السمات في تعدّد أغراضه وإتساع جوانب تلك الأغراض المعروفة من قبل وجودة الألفاظ وجدّة المعاني ، بجانب تطور أوزانه ، وإستخدام الشُّعراء ألفاظاً دخيلة على اللغة العربية (ما يعرف بالمعرّب) ، بالإضافة إلى إستخدام مصطلحات الحضارة في بيئات الدولة الإسلامية المختلفة ، وثقافاتها المتنوعة ، وعلومها المتعددة.

أ :– ألفاظه وأساليبه :–

حين نُلْقي نظرة مجملة على شعر اليتيمة نحسُّ تأثير الحياة الحضارية في ألْفاظه ، حيث نلاحظ ميل الشعراء إلى السهل من الألفاظ وذلك لرقي حياتهم ، وذلك لأنّ ألفاظ الشعر هي شاهِدٌ على تطور الحياة العقلية والإجتماعية .

والمتتبع لألفاظ شعراء اليتيمة يلاحظ نفورهم من الألفاظ الغليظة ، وميلهم إلى الألفاظ الرقيقة ، بجانب إكثار الشعراء من إستخدام الإستعارات والتسبيهات وألوانٌ مختلفة من البديع ، فنظم الشعراء ألفاظاً سهلة قريبة من لغة الحياة اليومية تعبّر عن أفكارهم مباشرةً ، بناءً على ما جاءت به الحضارة الجديدة .

والمتتبع لألفاظ الشعر الذي أورده الثعالبي يلاحظ أنّ ألفاظه جاءت على النحو التالي :–

أولاً :- ألفاظٌ عربية :- وذلك الغالب في ألفاظ الشعر الذي أورده الثعالبي لأنّ كل شعراء اليتيمة نظموا أشعارهم بالعربية ، بالإضافة إلى ألفاظ العامة وألفاظ المتصوفة التي أشار إليها الثعالبي في شعر المتنبئ [١] .

ثانياً :- ألفاظ معرّبة :- وأغلب تلك الألفاظ أصولها من اللغة الفارسية غيّرت فيها العرب وتركت بعضها على أصوله ، وأغلب تلك الألفاظ في وصف أيام الأعياد والمناسبات والأواني والملابس وغيرها مما جاء به الفرس من ألفاظ يعبِّر عن عاداتهم وتقاليدهم ، ومن تلك الألفاظ على سبيل المثال لا الحصر(مثل ألفاظ : الجلنار ، البنفسج ، النرجس ، الرستاق ، الجُلّاب ، اليلمق ، الإستبرق ، الديباج ، الجوسق ، النيروز ، الكوز، والبلّور) وغيرها من الألفاظ التي إستخدمها الشعراء في أشعارهم ، ومن نماذج تلك الألفاظ :-

- الجلنار كما في قول الشمشاطي :-

وبدا الجلّنار مثل الخدود قد كساها الحياء ثوبُ عقار

صبغة الله كالعقيق تراه أحمراً ناصعاً لدى الإخضرار[٢]

(والجُلّنار: بضم الجيم وتشديد ولام مفتوحة – زهر الرمان ، معرّب كلّناربالفارسية ، ومعناه ورد الرمان ،وواحدته جُلّنارة) [٣].

[١] الثعالبي : اليتيمة ج١ من ص١٥٢-١٦٥

[٢] الثعالبي : اليتيمة ج١ ، ١١١

٣ الثعالبي : اليتيمة ، ج١ ص١١١.

وكذلك قول ابن الحجاج :-

ولم أطب إلى عذراء رودٍ بها عن وصل عاشقها نِفار

ولا غرثي الوشاحِ كأنّ ورد الحياء بوجنتيها الجُلّنار [1]

وكذلك قول الرستمي :-

وجهٌ به الجُلّنار مبتسمٌ يفْترُّ والأقحوان مُتّسق [2] .

وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

(النرجس والبنفسج **)**:-

كقول الشمشاطي :-

أشرب على زهر البنفسج قبل تأنيب الحسود

فكأنّما أوراقه آثار فرحى في الخدود [3]

وكذلك قول ابن الحجاج في النرجس و البنفسج والبستان :-

أنا في نزهة من العيش في ظلك طول الحياة كالبستان

ذات زهرٍ فيه البنفسج النرجس معه شقائق النعمان [4]

---

١ الثعالبي يتيمة الدهر ، ج٣ ص٨٦

٢ المرجع السابق ج٣ ص٢٨٦

[3] المرجع السابق ، ج١ ، ص١١١

[4] المرجع السابق ، ج٣ ، ٩٢

وقوله أيضاً :-

طاقة أسٍ جنيتُ منها بلحظتي نرجساً ووردا [1]

ومن ذلك أيضاً قول الرستمي :-

وودّعتني من نرجسٍ بجفونها على ورد خد لؤلؤ متناثرُ [2]

ومن الألفاظ (الرستاق) كقول الأحنف العكبري :-

والنّاس قد علموا أنّي أخو حيل فلستُ أنفق إلاّ في الرّساتيق [3] .

ومن الألفاظ كذلك (الجوسق) ، ويعني (القصر الصغير ،وهومعرّب من جوسيه) [4] ، من ذلك قول أبي محمّد الرستمي : -

أكلّ من كان له نعمة أوسع من نعمة إخوانه

أم كل من كان له جوسقٌ مشرّفٌ شُيِّد بأركانه

ومن الألفاظ أيضاً (النيروز) ، كقول أبي محمّد المطراني :-

قد أتاك النيروز وهو بعيد مرّ من قبله قريباً رسيلُ

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، ج٣ ، ص٩٣

[2] المرجع السابق ، ج٣ ،ص٢٧٨

[3] المرجع السابق ،ج٣ ن ص١١٤

[4] المرجع السابق ، ج٤ ، ص٣٠

والنيروز كلمة فارسية تعني (اليوم الجديد ، وموعده الأيّام الستة الأوائل من أوّل شهر في سنتهم الشمسية ،...، والنيروز أعظم أعياد الفرس وأجلّها ...)[1]

ومن الألفاظ أيضاً الأشربة وأدواتها (كالكوز ، و البلّور ، والجُلاّب)

كقول المأموني (أبو طالب عبد السلام بن الحسين) :-

شمسٌ لها من نفسها أرجُلٌ ستٌ إذا ما شئت أو أربعُ

تنوء بالكوز لظئرٍ له تحضنه الدّهر ولا ترضع [2]

وقوله أيضاً في (الجُلاّب):-

وكأسٌ من الجلاّب أطفأ بردُها سعيرُ خُمارِ الكأس عند إلتهابه [3]

وقوله كذلك(المأموني) في كأس الجلاّب :-

وكأسُ الجُلاّب بها يطفى اللّهب يُقْضى بها عند الخمار ما وجب

كأنّ الفضة شِيبت بالذهب تشابه الجليد فيها والحبب [4]

ومن الألفاظ كذلك (اللوزينج) في قول المأموني:-

ولوزينج يشفي السقيم كأنّه بنان أكفٍّ بضّة لم تُغَضَّنِ

---

[1] الحوفي : د. أحمد محمّد الحوفي : تيارات ثقافية بين العرب والفرس ، نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة ،١٩٦٨م ،ص١١٢

[2] الثعالبي :اليتيمة ج٤ ، ص١٠٩

٣ المرجع السابق ،ج٤ ، ص١١٠

٤ المرجع السابق ،ج٤ ،ص١١٠

بعثناه بالقطرِ الزّكيّ مُحنّطاً ليُدفن إلاّ أنّه لم يُكفّن [1]

وقوله كذلك :-

ولوزينجُ يُعْزى إلى الفُرس خلتُه بنان عروسٍ في رقاق الغلائل

فغن حملت إحداهث خمسٌ حسبتها زيادة كفٍّ بين خمس أنامل [2]

ومن الألفاظ كذلك(الفالوذج) كقول المأموني أيضاً:-

فالوذج يمنع من نيله ما فيه من عِقدٍ وإنضاج

يسبح في لجّة ياقوته للّوز حيتانٌ من العاج

كأنّما أبرز من جامه ثوبٌ من اللاذ بديباج [3]

وذكر السيوطي أنّ (الفالوذج) فارسي معرّب وهو من الحلواء من لُبّ الحنطة [4] وذكر السيوطي كل تلك الألفاظ المعرّبة التي أوردها شعراء اليتيمة ، والتي ذكر الباحث بعضاً منها .

هذا على سبيل المثال لا الحصر لأنّ الثعالبي أورد ألفاظاً فارسية كثيرة ،فعُرِّب بعضها وظلّ الآخر على حاله .

ثالثاً :- ألفاظ خاصة بمجتمع معيّن كالألفاظ التي أوردها الثعالبي والتي تسمّى (مناكاةبني ساسان) في حديثه عن أبي دُلَف الخزرجي ، وهي ألفاظ خاصة بالمجتمع الساساني تستخدم من أجل كسب العيش ، فيها ألفاظ تعبِّر عن كثير من حيلهم وإصطلاحاتهم ، حيث قال الثعالبي

---

١ االثعالبي : يتيمة الدهر ، ص١١٩

٢ المرجع السابق ، ١٢٠

٣ المرجع السابق نفسه ، ص١٢٠

٤ السيوطي :جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح وتعليق محمد أبو الفضل وآخرين ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ج١ ص٢٢٤

:- (وكان الصاحب يحفظ مناكاة بني ساسان حفظاً عجيباً ، ويعجبه من أبي دُلَف وفورحظّه منها ، وكانا يتجاذبان أهدابها ويجريان فيما لا يفطن له حاضرهُما)[1]

حيث أورد الثعالبي قصيدة ساسانية لأبي دُلف الخزرجي اشتملت على ألفاظ ساسانية كثيرة [2]

هذا بالإضافة إلى الألفاظ الرومية كأسماء الأشهر (تموز ، كانون ،وآب) ومن ذلك ما أورده الثعالبي بقوله : في قول القائل:-

همذان مُتْلِفة النفوس ببردها والزمهرير وحرّها مأمون

غلب الشتاء مصيفها وخريفها فكأنّما تموزها كانون [3]

فقال الثعالبي :- (تموز شهرٌ رومي يكون في فصل الصيف ، وكانون اسم لشهرين من شهور الروم أيضاً ويكونان في الشتاء : كانون أوّل ، وكانون ثانٍ)[4]

ومن ذلك أيضاً قول ابن العميد :-

لم يترك فيه فحوى ما وصفت له من الأطايب عضواً غير مهزوز

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، ج٣ ،ص٣٢٥ .

[2] المرجع السابق نفسه ، من ص٣٢٧إلى ص٣٤٠ .

[3] المرجع السابق ، ج١ ، ص١٠٩

[4] المرجع السابق نفسة ، ص١٠٩

أهديت نبرمة أهدتْ لآكلها كرب المطامير في آبٍ وتموز [1]

هذا عن الألفاظ أمّا الأساليب فنجد إكثار الشعراء من فنون البلاغة كالتشبيهات والإستعارات وشتى أنواع البديع ، وذلك لأنّ القرن الرابع شهِد إكتمال تلك الفنون البلاغيّة وهذا ما أشار إليه الدكتور مصطفى الشكعة بقوله :- (كان القرن الرّابع يُعدّ بمثابة الإكتمال الفني للمحسنات البديعية التي ظهرت أوّل ما ظهرت عند بشار ... ، فلمّا كان القرن الرابع اتخذت تلك المحسنات مكانتها في الشعر والنّثر) [2].

ويلاحظ الباحث أنّ كثرة المحسنات البديعية التي طغت على أساليب شعراء اليتيمة يرجع إلى إكثار أولئك الشعراء من شعر الوصف الذي تطغي عليه مثل تلك الأساليب ، والمتتبع لليتيمة يلاحظ أنّ الشعراء وصفوا كل ماجادت به حضارة القرن الرابع مما أدى إلى إتساع مواعين الوصف .

ب :- معانيه وأغراضه :-

مثلما تناول شعراء اليتيمة ألفاظ بسيطة مستمدة من الحياة اليومية نجدهم كذلك استمدوا معانيهم من روح العصر ومشاهِد البيئة ، فابتكروا معانٍ جديدة للتعبير عن أغراضهم ،واتسع خيالهم ليشمل التعبير عن سُبُل اللهو ووسائل العمران وتصوير الحياة بصورةعامة .

أمّا أغراض الشعر فنجد شعراء اليتيمة تناولوها جميعاً ولكنهم أكثروا في بعض الأغراض خاصة الوصف الذي تعدّت مجالاته عندهم المجالات المعروفة في القرون السابقة ، فنجد الشعراء يصفون مظاهر حضارة القرن الرابع كوصف القصور والترف والطبيعة(بما تحويه من زهور وورود)

---

[1] المرجع السابق ج٣ ، ص١٥٧

[2] د.الشكعة : فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين – مرجع سابق- ص٧٤٠ .

وكل ماحوته الحضارة ،هذا بالإضافة إلى ظهور أغراض جديدة كشعر اللهو والمجون ، وشكوى الزمان وسوء الحال بالإضافة إلى الإخوانيات التي كانت تتم بين الشعراء عن طريق الشعر .

ومجمل القول في سمات شعر اليتيمة إنّه جاء بجديد من حيث ألفاظه تمثّل في الآتي :-

أولاً :- ميل الشعراء إلى ألفاظ سهلة بسيطة مواكبة للعصر ، بجانب نفورهم من الألفاظ الغليظة.

ثانياً :- من حيث الأسلوب نلاحظ إكثار الشعراء من إستخدام التشبيهات والإستعارات والمحسنات البديعية ، ويرجع ذلك للإكثار من شعر الوصف ، وخاصة وصف التطور الحضاري ومشاهد الطبيعة .

ثالثاً :- استخدم الشعراء ألفاظ دخيلة على اللغة العربية ، فاضطرّت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي خاصة الألفاظ الفارسية.

هذا عن ألفاظ وأساليب الشعر أمّا أغراض الشعر ومعانيه فنلاحظ الآتي :-

أولاً:- إستمدّ الشعراء معانيهم مما جادت به الحضارة الإسلامية التي جمعت بين العرب وغيرهم من الأجناس (أي إكتسبت معانيها من الإمتزاج الثقافي للأجناس التي تكوّن منها مجتمع الدولة الإسلامية في أقاليمها المختلفة) .

ثانياً :- ومن حيث الأغراض نجد أنّ أغلب الأغراض القديمة مستخدمة ،لكن الجديد في ذلك هو إتساع تلك الأغراض ، فنجد الوصف مثلاً اتسع فهناك وصف مشاهد الطبيعة من روضيات وزهريات وثلجيات كما هو الحال عند الصنوبري ، هذا بجانب إنتشار شعر المجون والتغزُّل في الغلمان .

المبحث الثاني

النثر و أعلامه

لمّا كانت القيمة الأدبية للكتاب مرتبطة بشعره و نثره، ومثلها أفردنا للشعر مبحثاً خاصاً به ، يرى الباحث أن يفرد مبحثاً خاصاً بالنثر كذلك يستعرض فيه أنواع النثر التي أوردها الثعالبي في كتابه و القيمة الأدبية لذلك.

وقبل الحديث عن النثر الذى أورده الثعالبي في كتابه لابد من إلمامة سريعة بالنثر الذى يعد قسيماً للشعر فنستعرض النثر لغة و الاصطلاح بجانب أنواعه .

*** النثر في اللغة :-**

النثر في اللغة من مادة (نَثَرَ) وتعنى التفرق و التشعب والانتشار، وذلك كما أوردة ابن منظور بقوله:"والنثر نثرك الشيئ ترمي به متفرقاً مثل نثر الجوز واللوز و السكر ،كذلك نثر الحب إذا بذر وهو النثار ..... الخ " [1].

ونستخلص من ذلك أن لفظة "النثر" في اللغة تعني الشيئ المبعثر المتفرق المتشعب الذي يتصف بالاتساع .

*** النثر اصطلاحاً :-**

النثر في اصطلاح أهل الأدب هو قسيم الشعر، وهو الكلام المرسل غير المحكوم بوزنٍ أو قافية، وهو المكوِّن الثاني للأدب مع الشعر، ومن ذلك ما أورده قدامة بن جعفر بقوله : "واعلم

---

[1] ابن منظور : جمال الدين بن المكرم بن منظور ،لسان العرب ، نشر دار المعارف ، بدون تاريخ طبعة، تحقيق :عبدالله على الكبير وأخرون، ج٦ ،باب النون حلرف الرا ص ٤٣٣٩ .

أن سائر العبارة في كلام العرب، إمّا أن يكون منظوماً، إمّا أن يكون منثوراً، والمنظوم هو الشعر، والمنثور هو الكلام ".[١]

ومن ثم فقد عُرِّفَ النثر في اصطلاح أهل الأدب بتعريفاتٍ منها :-

"هو الكلام الذي لم يُنظم في أوزانٍ وقوافٍ "[٢]

"أو هو ما خَلاَ من الوزنِ والتقفية" [٣]

ومما تقدم ندرك أنّ النثر ينقسم إلى قسمين هما :-

***النثر العادي :-** وهو الكلام العادى الذي يُقال في لغة التخاطب اليومية ، وليس لهذا النوع من النثر قيمه أدبية .

***النثر الفني:-** وهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغه فيها فن ومهاره وبلاغة ، وهذا النوع "هو الذي يهتم النقاد ببحثه و دراسته وبيان مامرّ به من أحداث وأطوار وما يمتاز به كل طور من صفاتٍ وخصائص " [٤]

---

[١] قدامة بن جعفر :أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى ،نقد النثر ،تحقيق : طه حسين ، وعبدالحميد عبادى ، مطبعة برلاق – الفاهرة ١٩٤١م ، ص ٨٢.

٢ ضيف : الدكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف – القاهرة ،١٩٦٠م، ط ٥ ، ص١٥ .

٣ خفاجي : محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ، مكتبة الحسين التجارية القاهرة ، الطبعة الأولي ١٩٤٩م ، ص٩٣. .

٤ د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ص١٦.

و النثر الفني يشمل الأتي :-

أولاً :- النثر القولي :- ويشمل فنون القول المعروفة كالخطابة ، والأمثال، والوصايا، والقصص، والمحاضرات، والمقامات ، والمفاخرات ، والمنافرات ، والأسجاع وغيرها.

ثانياً :- النثر الكتابي :- ويشمل فنون الكتابة من مؤلفات،ورسائل "ديوانية وإخوانية" وغير ذلك من أنواع النثر الكتابي.

ومما تقدم ندرك أنّ النثر الفني يشمل الرسائل بأنواعها و الخطابة ،والأمثال ، والمقامات وغير ذلك من فنون الأدب التي هي غير الشعر.

والمتتبع ليتيمة الدهر يلاحظ أنّ الثعالبي ضمّنها مادة نثرية بجانب الشعر ، وإن كانت المادة الغالبة هي الشعر ، وكذلك أورد بعض الكتاب الذين هم يِعدُّون في القمة كابن العميد ،و الصاحب بن عبّاد ،وأبي بكر الخوارزمي وغيرهم من أئمة النثر في ذلك العصر .

أنواع النثر التي أوردها الثعالبي :-

نجد أنّ الثعالبي أورد في كتابه رسائل ديوانية " رسمية " ورسائل إخوانية "شخصية " تتم بين الأخوان ولها أغراض تختلف عن الديوانية ، وجملة هذه الرسائل كانت تصوِّر الحياة في القرن الرابع بكل جوانبها من إجتماعيّة وسياسيّة .

أولاً :- الرسائل الديوانية:-

هي أول أنواع الرسائل وجوداً ، ويرجع تأريخ نشأتها إلى عصر البعثة المحمدية [1] حيث كانت الحاجة ملحة إلى قيام هذا اللون من الرسائل بواجبه في نشر الإسلام ، ودعوة الملوك والأمراء،و رؤساء القبائل إلى الدخول في الإسلام، أو اتفاقات المهادنة ، أو إبرام المعاهدات بين النبي صلى

[1] أحمد زكي صفوت : جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، اربعة اجزاء ج١ العصر الجاهلي وصدر الاسلام ،ط٢ ،١٩٧١م ص٩ وكذلك زكي مبارك النثر الفني في القرن الرابع ج١ ص٣٤.

الله عليه وسلم ورؤساء القبائل والملوك والأمراء في شبه الجزيرة العربية وخارجها وغير ذلك من الأمور التي تتصل بشؤون الدين والدولة الجديدة .

وقد انتشرت الرسائل الديوانية في القرن الرابع، ويُرْجِع شوقي ضيف كثرة الرسائل الديوانية في القرن الرابع إلى كثرة الإمارات الفارسية حيث قال : "وكانت كثرة الدول والامارات الفارسية في العصر عاملاً مهما في كثرة الرسائل الديوانية، فقد كان لكل دولة ولكل إمارة ديوان رسائل تصدّرة كُتّاب اشتهروا بحسن البيان ".[1]

وللرسائل الديوانية أغراضاً سياسية متمثلة في : العهود و المبايعات ورسائل الفتوح والتبشير بها، ورسائل الأمان، ورسائل الخلفاء إلى الولاة و الحكام في تصريف الأعمال وغير ذلك و للرسائل الديوانية أغراضاً كثيرة عدّها نبيل خالد رباح بقوله : "ومع بدايه العصر العباسي نشِطتْ الرسائل السياسية نشاطاً واسعاً وقد ساعد على ذلك الكثير من العوامل التي منها :تعقد نظعم الحكم السياسية و الإدارية للدولة العباسية وكثرة الدواوين وتنوعها، وكثرة المؤهلين من الكتاب في مختلف الأقاليم الاسلامية، والاهتمام بالكتاب والاعتماد عليهم في تسيير أمور الدولة وتوليهم أرقى المناصب وغير ذلك من العوامل،...، لذلك نكتفى بالتنبيه على مواصفات الرسائل السياسية التي منها :رسائل العهود و المبايعات، ورسائل الفتوح و التبشير بها، ورسائل الأمان،ورسائل الخلفاء إلى الولاة والحكام في تصريف شؤون الدولة، ورسائل الإصلاح،ورسائل الإنذار وطلب الطاعة، وغير ذلك من الأغراض المتصلة بجوانب السياسية الداخلية و الخارجية ".[2]

---

[1] د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والاملرات ،" الجزيرة ، العراق – ايران – ، ص٦٤٧.

٢ نبيل خالد رباح : نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتب ،ط١، ١٩٩٣م ، ص ٢٧٠- ٢٧١.

ويلاحظ الباحث أنّ الرسائل التي أوردها الثعالبي أغلب كُتّابها من غير العرب أي من العنصر الفارسي كابن العميد، و الصاحب بن عباد، وأبي بكر الخوارزمي، و الصابئ وغيرهم .

وللرسائل آثار على حياة المجتمع ومن تلك الآثار :-

الآثار السياسيّة :- ومن تلك الآثار أنّ الرسائل أحياناً تنوب مناب القتال في تأدية أغراضها ، ومن ذلك ما رواه الثعالبي أنّ ابن العميد كتب إلى ابن بلكا عند استعصائة على ركن الدولة وخروجه عليه ، فلمّا قرأها ابن بلكا رجع وأناب ، وهذا يدلّ على أثر الرسالة الجيدة في السياسية .

نص رسالة ابن العميد : " كتابي وأنا مترجّحٌ بين طمع فيك ، ويأسٌ منك، وإقبال عليك وإعراض عنك ، فإنّك تدل بسابق حرمة ، وتمتُ بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناية ،ثم تشعفهما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بانف خلاف ومعصية .وأدنى ذلك يحبط أعمالك، ويمحق كل ما يرعى لك ، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك وميل عليك : أقدِّم رجلاً لصدمك ، وأوخر أخرى عن قصدك، وأبسط يداً لاصطلامك و اجتياحك ،و أثني ثانية لاستبقائك و اصطلاحك و أتوقف عن إمتثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنيعة لديك ، وتأميلاً لفيئتك و انصرافك ، ورجاءً لمراجعتك و انعطافك، فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويغرب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاح الرأى ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، و يكدر الماء ثم يصفو، وكل ضيعة إلى رخاء ، وكل غمرة فإلى إنجلاء ، وكما أنّك أتيت من اساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك،فلا بدع أن تأتي من إحسانك مالا ترتقبه أعداؤك ، وكمااستمرت بك الغفلة حتى ركبت ماركبت، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت .وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح، وعلى الاستياء و المطاولة ما أمكن، طمعاً في إنابتك، وتحكيما لحسن الظن بك، فلست أعدم فيما أظاهره من أعذار و أورادفه من

إنذار، إحتجاجاً عليك واستدراجاً لك، فإنْ يشأ الله يرشدك، و يأخذ بك إلى حظّك و يسددك، فإنّه على كل شئ قدير وبالإجابة جدير.[1]

والرسالة طويلة أوردها الثعالبي في فصولٍ، وقال : معلقاً "أي الثعالبي "على هذه الرسالة : "بلغني عن بلكا – وكان أديب مثله — أنه كان يقول : والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلاّ كما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عرك أديمي و استصلاحي، وردّي إلى طاعة صاحبه "[2]

وعلّق الدكتور شوقي ضيف على هذه الرسالة بقوله : "وهذه القصة تدل على قيمة الكتب المحبرة في القرن الرابع وأنّها كانت تقوم مقام الجيوش في الظفر بالأعداء ،لذلك اهتم كل أمير بوزرائه وكتّابه ، و اهتم الوزراء و الكتاب أنفسهم بصناعة كتبهم و تحبيرها ،و إدخال كل مايزين من ضروب التصنيع و التجميل عليهم ".[3]

وعلّق عليها الدكتور زكى مبارك بقوله : " وهذا النمط من الكتابة القوية يمثل قدر البلاغة في أنفس الناس لذلك العهد ، فهم يرون رسائل التهديد و الوعيد طلائع من الأقلام تتقدم طلائع السيوف" [4] .

ثانياً : الرسائل الاخوانية :–

هي الرسائل التي تصور عواطف الأفراد و مشاعرهم ، وتعكس جوانب حياتهم الإجتماعية ، وتعبّر عن علاقات الأفراد و مشاعرهم تجاه بعضهم بعضاً ، أوما ينعكس على وجدانهم من صروف الدهر و مجريات الأحداث .

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ،ج ٣ ص ١٥٤ –١٥٥

[2]- المرجع السابق نفسه ، ص١٥٦

[3]- شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النّثر العربي ، ص٢٠٣

[4] زكي مبارك :النثر الفني في القرن الرابع ، ج٢، ص ٢٠٣.

تاريخ نشأتها :-

هناك آراء كثيرة تؤكد نشأة الرسائل الإخوانية منذ عهد مبكر ومن ذلك ما قاله الدكتور مصطفى الشكعة حيث قال : "إنّها ظهرت مبكرة جرت على أقلام عرب خُلّص لم يخالط دماءهم أصول فارسية أو رومية ،ويقول إنّها ظهرت في مستهل القرن الثاني الهجري قبل ذيوع و إلتماع شأن الرسالة الإخوانية في القرن الثالث و أوائل الرابع "[١]

أمّا أحمد زكي صفوت فقد ذهب أكثر من ذلك فهو يرى أن للعرب في الجاهلية رسائل إخوانية فقال :" إنّ للعرب رسائل في الجاهلية كانت عن طريق المشافهة عند البدو يبعثون بها مع أمناء يختارونهم أمّا أهل الحاضرة منهم فقد ألموا بالحضارة بعض الإلمام ، و كانوا يمارسون الكتابة و يتبادلون الرسائل المكتوبة ولكنّهم ولتقادم العهد لم يؤثر عنهم إلاّ رسائل قلائل محدودة " . [٢]

أمّا الدكتور حسين نصّار فقد نفى وجود رسائل إخوانية للعرب في الجاهلية بالمعنى الدقيق لكلمة رسالة ، لكنة أشار إلى أبيات شعرية جمعها أحمد زكي صفوت فقال " أي حسين نصار : " أن أحمد زكي صفوت جمع قصائد شعرية قال إنّها أُرسلت إلى المكتوب إليهم ،...، ولم نجد للنبى صلى الله عليه وسلم إلاّ رسالة واحدة يعزّي فيها معاذ بن جبل في ابنٍ له مات " .[٣]

---

١ الشكعة : د. مصطفى الشكعة : الأدب في موكب الحضارة الاسلامية ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م ،ص٢٠٩ – ٢١٠

٢ صفوت : أحمد زكي صفوت :جمرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، أربعة أجزاء ، الجزء الأول " العصر الجاهلى وصدر الاسلام " ، الطبعة الثانية ١٩٧١م ص٦ .

٣ حسين نصّار : نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤م ، ص٨٦

أسباب نشأتها :-

يرجع الدكتور شوقي ضيف أسباب نشأة الرسائل الإخوانية إلى تفرق العرب بعد اتساع الدولة الإسلامية فقال : " إنّ سبب نشأة الرسائل الإخوانية يرجع إلى تفرق العرب في البلدان الإسلامية ، إذْ يجعل البعد المكاني دافعاً إلى التراسل في مهامهم و شؤونهم الشخصية ".[١]

أغراضها :- للرسائل الإخوانية أغراض متعددة تكتب الرسالة من أجلها وتشمل تلك الأغراض :-

١- التهاني :-

وقد شغلت التهاني حيّزاً كبيراً بين الرسائل الإخوانية وذلك لكثرة المناسبات السعيدة وإتساع مجال التهنئة ، وقد بيّن القلقشندي أهميتها بقوله : " هي من الكتب التي تظهر فيها مقادير أفهام االكُتّاب، ومنازلهم من الصناعة ومواقعهم من البلاغة، وهي من ضروب الكُتُب الجليلة النفسية، لما في التهنئة البليغة من الإفصاح بقدر النعمة و الإبانة عن مواقع الموهبة، وتضاعف السرور بالعطية " [٢].

والتهنئة قد تكون بمولود،أو بترقية، أو منصب، أو زواج، أو عيد أو القدوم من السفر، وغير ذلك من المناسبات السعيدة التي تستوجب التهنئة .

* ومن الرسائل الاخوانية : التعزية ، الشكر ، الاعتذار و الاستعطاف ، الوصايا والنصائح وغير ذلك .

ويتمثّل دور الرسائل الإخوانيّة في تصوير الحياة الإجتماعيّة والتعبير عن المشاعر في تلك الحالات كالإحتفاء بالأعياد الفارسيّة القديمة كالنيروز ، والمهرجان ، والشذق وغيرها من الأعياد

---

١ شوقي ضيف : الفن و مذاهبه فى النثر العربي ص١٠٤-١٠٥ .

[٢] القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج٩ ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٨٢م ص٥ .

التي يتهادون الهدايا ويمارسون طقوسها ، هذا بجانب التهنئة بالمناسبات الخاصة كالتهنئة بمولود أو غير ذلك ، ومن نماذج تلك الرسائل ما أورده الثعالبي في اليتيمة رسالة للصاحب بن عبّاد في التهنئة بمولودةٍ إذ يقول : "أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء، و أم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار، و المبشرة بأخوة يتناسقون، نجباء يتلاحقون :

فلو كان النساء كمثل هذي لفضّلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

ورد البيت عند المتنبئ (كمن فقدن) هذه الأبيات للمتنبئ يرثي فيها شقيقة سيف الدولة فاستفاد الثعالبي من صدر البيت الأول .

فادرع ياسيّدي اغتباظاً، واستأنف نشاطاً، فالدنيا مؤنثه و الرحال يخدمونها، و الذكور يعبدونها، والأرض مؤنثة ومنها خُلِقت البرية، وفيها كثرت الذرية، والسماءُ مؤنثة وقد زُينت بالكواكب، وحُليت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة وبها قوام الأبدان، وملاك الحيوان .

والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام ،ولاعرف الأنام،والجنّة مؤنثة وبها وُعد المتقون، ولها بعث المرسلون، فهنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت، وأطال الله بقاءك ما عرف النسل و الولد، وما بقي الأمد، وكما عمّر لبد " [1]

نلاحظ أن الصاحب بن عباد يسرد لنا أمثالاً تفسر لنا دور الأنثى بصفة عامة في الحياة، و تاكيد لما عرف عن العرب من بعض الخصال في بغض البنات فهو يقف في هذه الرسالة موقف الواعظ لا موقف المهنّيئ .

١ الثعالبي :يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج٣، ص ٢٢٩ .

ومن نماذج التهنئة كذلك : التهنئة بمولود لأبي الفضل الهمذاني إذ يقول : "حقاً لقد أنجز الإقبال وعده، ووافق الطالع سعده، و الشأن فيما بعده، وحبّذا الأصل و فرعة، وبُورِك الغيث و صوبة، والروض و نوره، وسماء اطْلعت فرقداً، و غابة أبرزت أسداً، وظهر وافق سنداً، وذكرٌ يبقى أبداً، ومجداً سُمي ولداً وشرف لحمة وسدى ". [1]

ومن نماذج التهنئة رسالة أبي اسحاق الصابئ إلى عصند الدولة في التهنئة بتحويل سنة : " أسال الله – تعالى – مبتهلاً لدية، مادّاً يدي إليه يحيل إلى مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات و بالزائرات الغامرات، ليكون كل دهر يستقبله و أمد يستأنفه موفياً على التقدم له، قاصراً على المتأخّر عنه، ويوفيه من العمر أ طوله و أبعده، ومن العيش أعذبه و أرقده، عزيزاً منصوراً محمياً موفراً باسطاً يده، فلا قبضها إلاّ على نواحي أعداء وحساد ، سامياً طرفه ، فلا بفضة إلاّ على لذة غمض ورقاد . مستريحة ركابه فلا يعملها إلاّ لاستضافة عزٌ وملك ، فائزة قداحه فلا يجليها إلاّ لحيازة مال وملك ، حتى أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحاً ، وتسمو له همته طامحاً"[2].

٢- **التعازي والتأبين والمواساة** :- و التعزية من الأغراض التي تناولها أصحاب الرسائل الإخوانية وتكون في حالة الوفاه، كوفاة الأب أو الأم أو الأبناء أو الزوجة وغيرهم من الأقارب ، وشاع مثل استخدام هذه الرسائل بين الأصدقاء والاقارب والخلّان ، تعبيراً عن مشاعر الحزن والأسى في المصائب العظيمة ، ومن نماذج هذه الرسائل:-

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج٤ ص٢٠٨

[2] المرجع السابق نفسه ج ٢ ص٢٣٧

ما كتبة بديع الزمان الهمذاني إلى أبي عامر بن محمد الضبي يعزيه فقال : "الموت خطبٌ قد عظُم حتى هان ، و أ مرٌ قد خشن حتى لان، والدنيا قد تنكرن حتى صار الموت أخف خطوبها، وجنت حتى صار الحمام أصغر ذنوبها، فلتنظر يمنه، هل ترى إلاّ محنة ، ثم لتعطف يسرة هل ترى إلاّ حسرة " [1]

وكذلك من رسائل التعزية ماكتبه الأمير أبي الفضل عبيدالله بن أحمد المكيالي فقال : "الموت منهل مورود ، سيان فيه والد ومولود "[2] ، وكذلك رسالته : "الموت يكتال الأرواح بلاحساب، يغتال النفوس بلاحجاب "[3] ، وغيرهما ممن كتب في هذا النوع من الرسائل.

٣- الشكوى والإستعطاف :-

الشكوى والإستعطاف من الأغراض المهمّة التي تناولها كُتّاب الرسائل الإخوانية ، وهذا النوع من الرسائل يُكتب إلى الأقارب أو كِبار الشخصيات من الرؤساء والوزراء والأُمراء ، خاصة إذا ضاق الحال بكاتب الرسالة ، ومن نماذج ذلك ما كتبه أبوإسحاق الصابئ إلى صديقٍ له ، فيشكو ويستعطف إذْ يقول :- (ولما صارت صروف الدّهرتنوء عليّ بعد التطريف ، وتُجْحِف بي بعد التحييف ، وصادف ما يجدّد عليّ في هذا الوقت منها أشلاء مِنيّ منهوكة ، واعظُماً مبريّة ، وحشاشة مشفيّة ، وبقية مودية . جعلت اختبار الجهات ، واغتنام الجنبات ، لأنحو منها ما لا يُعاب سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمِله إذا أمل . وكان سيّدي أوّلها إذا عددت ، وأولاها إذا اعتمدت . وكتبت كتابي هذا بيدٍ يكاد وجهي يتظلّم منها إذْ تخطه ، إشفاقاً على مائِهِ مما يرقيه ، لولا الثقة أنّه يحقن مياة الوجوه ويحميها ، ويجميها ولا يقذيها)[4] .

---

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج٤ ص١٨٩

٢ المرجع السابق نفسه ، ج٤ ص٢٨١

٣ المرجع السابق نفسه ص٢٨٢.

[4] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

ومن نماذجها أيضاً ما كتبه الصابئ كذلك إذْ يقول :- (ولما أناخت النّكبة من حالي على طَلَلَ قفرٍ ، وبلقع صِفر ، وعُون المغارم أثقل وطْأة من أبكارها ، وأبلغ تأثيراً في ثلمها وإضرارها . فقد اضطرّني إلى تجشم ما كُنت أجمه من نداه ، والتعرّض لما كُنت أدّخره من جدواه . وإنّما تخرج الكرائم وتُبذل النفائس من تزايُد الضغطة ، وتضايق الخطّة)[1] .

٤- الإعتذار والشفاعة :-

وهي كذلك من المقاصد المهمّة التي تناولتها الرسائل الإخوانية ، ومن نماذج تلك الرسائل ما كتبه أبوإسحاق الصابئ إلى أبي تغلب في الشفاعة لأخٍ له إذْ يقول :- (وقد يكون لَعَمْري من ذوي الأرحام الشابكة ، والقرابات الدّانية ، من يتمادى في العُقوق ، ويذهب عن حفظ الحقوق ، ولا يَسَعُ ترك تألّفه حتّى يرجع ، واستصلاحه حتّى ينزِع ، فإنْ تجشَّم الإعِراض عنه لرياضِه تُقصد ، أو عاقبة نفعٍ تُحْمد ، لم يبلغ به إلى قطع المعيشة ، ومنع المادة ؛ لأنّ قباحة ذلك بمن يستعجله أكثر من مضرّته بمن يعمل معه ، وقد قِيل : إنّ الملوك لا تُؤدِّب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان . هذا في الأتباع والأصحاب ، فكيف في الأقران والأتراب؟)[2] . وله كذلك عدّة رسائل في هذا الغرض ، وغيره ممن كتب في هذا الباب مثل عبد العزيز بن يوسف ، وأبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمذاني وأمثالهم .

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ص٢٤٠ .
[2] المرجع السابق نفسه ، ج٢ ، ص٢٣٨ .

٥- الشُّكْر :-

وهذا الغرض من الرسائل يُعبِّر عن الرِّضى والإمتنان للأصدقاء ، ومن نماذج ذلك ما كتبه أبوإسحاق الصابئ إلى الوزير الصاحب بن عبّاد يشكره ، وأيضاً ما كتبه أبوالفرج الببغاء إذْ يقول :- (وكأنّي أرى عواقب اشتمالك عليَّ ، وتفقدك المتواصل إليَّ ، من مرآة العقل ، وبصيرة الذكاء والفضل ، إذْ كانت أمارات الإقبال على حالي بك لائحة ، وشواهد السعادة لديّ بعنايتك والضحة (من الوافر):

فمِن نظرٍ يسارع في صلاحي ومن وصفٍ يحثُّ على نَفَاقي

فإنعام أَسَرُّ من التداني على عَدم أفظّ من الفِراق)[١] .

وله رسالة أُخرى يقول فيها :- (مَنْ كان جميلُ رأي سيدنا عدَّته ، أَمِنَ من الدّهر شدَّته ، ومَنْ فَزِع إلى إحسانه ، استظهر على زمانه ، ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه (من الكامل) :

وأنا الذي علّمت مَنْ طلب الغنى كيف الطريقُ إلى الغِنَى برجائه

فظللت مخصوصاً بحمدِ عُفاته وغدوتُ ممدوحاً بشكر عطائه

وأفدتُ قِدماً معجزات فضائلي من نور فِطنته ونار ذكائه

فإذا نطقتُ نطقت من ألفاظه وإذا وَهَبت وهبت من نعمائِه)[٢] .

وغيره ممن كتب في مثل هذا الغرض كالصابئي وغيره .

---

[١] الثعالبي : يتيمة الدّهر ، ج١ ، ص٢٣٤ .
[٢] المرجع السابق نفسه ، ص٢٣٥ .

ثالثاً :– الرسائل الوصفيّة :–

الوصف من الفنون الأساسيّة في الشِّعر العربي منذ القِدَم ، حين رأينا الشاعر الجاهلي يصوِّر مشاهد الطبيعة الصحراويّة وأهوالها وآثار الدِّيار والمعارك وغير ذلك ، وظل الوصف من الأغراض الأساسيّة للشعر العربي في جميع عصور الأدب العربي ، والملاحظ أنّ الرسائل التي أوردها الثعالبي في كتابه (اليتيمة) لكُتّاب القرن الرابع وصدر الخامس الهجري تعرّض كُتّابها إلى الوصف ، حيث يصفون كل ما وقعت عليه أعينهم ، أو ما أحسّوه في وجدانهم ، مما دفع الدكتور زكي مبارك إلى القول (بأنّ الوصف أظهر ما يميّز رسائل القرن الرابع الهجري)[1]، والمتتبِّع للرسائل الوصفيّة التي أوردها الثعالبي يلاحظ إلمام كُتّابها بمظاهر الحياة الطبيعيّة المختلفة من بحار وأنهار وجداول ، والرياض والبساتين ، وأنواع النباتات الأُخرى ، بجانب وصف القصور والغِلمان والمغنّيات والشراب ومجالِسه وغير ذلك من المشاهِد حولهم ، وللرسائل الوصفيّة أغراض تتمثّل في الآتي :–

١– وصف الرسائل والكُتُب المُتبادلة :–

ومن نماذج ذلك ما كتبه أبوالعبّاس أحمد بن إبراهيم الضبّي إلى أبي سعيد الرستمي الشبيبي يصِف كتابه إليه إذْ قال:– (وقد أتاني كتاب شيخ الدّولتين فكان في الحُسْنِ ، روضة حزْن ، بل جنّة عدْن ، في شرح النّفس ، وبسط الأنس ، بَرْد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجناب يعقوب . وبعد ، فإنّ المنازعين للأمير حسام الدّولة نُسُور ، قد اقتنصتها العصور ودولته حرسها الله في إبّان شبابها واعتدالها ، ورَيْعان إقبالها واقتبالها . قد أسست على صلاح وسداد ، وعمارة دنيا ومعاد . فهي مؤذنة بالدّوام ، في ظِلّ السلامة والسلام)[2] .

[1] زكي مبارك : النثر الفنّي في القرن الرابع الهجري ، ج١ ، ص٢١٠ وما بعدها .
[2] الثعالبي : يتيمة الدّهر ، ج٣ ، ص٢٦٧ .

ومن ذلك أيضاً فصول أوردها الثعالبي لأبي الفضل عبيدالله بن أحمد المكيالي في وصف الكتب بالبلاغة والحسن يقول فيها :- (إنّه ألقي إليّ كتابٌ كريم ، عنوانه غنم جسيم ، عيانه فصلٌ عميم ، فلو استطاع قلبي لسعى إليه إعِناقاً ، والتفّ عليه عناقا)[1] .

ويقول المكيالي أيضاً في وصف كتاب :- (وصل كتابك فأذعنت القلوب لفضله بالإعتراف ، واختلفت الأَلْسُن في تشبيهه ببدائع الأوصاف ، فمن مُدّع أنّه رقية الوصل ، وريقة النّحل ، ومنتحل أنّه سُلاف العنقود ، وقائل هو نور خمائل ، وسحر بابل ، فأمّا أنا فتركت التمثيل ، وسلكت التحصيل ، وقلت : هو سماء فضل جادت بصوب الحِكم ، ووشى طبع حاكته سنّ القلم ، ونسيم خلق تنفّست عنه روضة الكرم)[2] .وللمكيالي رسائل كثيرة من هذا النوع ، وهناك كتّاب أوردهم الثعالبي برعوا في هذا الغرض من الرسائل يضيق المقام لذكرهم .

٢- وصف الشخصيات :-

وهو من الأغراض التي تناولها كُتّاب الرسائل الوصفيّة ، فوصفوا الشخصيات المشهورة ، وأعلام الكُتّاب وكِبار الشُعراء ، والحكام والوزراء ، والمتتبّع لكتاب اليتيمة يجد أنّ الثعالبي نفسه كان يصف الكتّاب والشعراء فضلاً عن الرسائل التي أوردها في هذا الشأن ، ومن نماذج وصف الشخصيات ما أورده الثعالبي من رسالة للوزير الصاحب بن عبّاد إلى أبي العبّاس الضبّي بأصبهان ، يوصيه فيها بأبي سعيد الرستمي ، ويخبره فيها بأوصافه وأخباره إذْ يقول :- (... كان يُعدُّ في جمعِ أصدقائنا بأصبهان ، رجلٌ ليس بشديد الإعتدال في خُلُقه ، ولا يُبارع الجمال في وجهه ، بل كان يروع بمحاسن شعره ، وسلامة ودّه ، أمّا الشَّعَر فقد غاض حتّى غاظ ، وأمّا الود ففاض وفاظ ، فإن تذكِره مولاي بوصفه وإلاّ فليسأل عن خاله وعمّه ، وأمّا العمومة ففي آل رُسْتُم ، لم

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص٢٧٤ .
[2] المرجع السابق نفسه ، ج٤ ، ص٢٧٤ .

الذروة والغارب ، ولواء العَجم غالب ، وأمّا الخؤولة ففي آل جنيد ...)[1] .وغير ذلك من الرسائل التي تعرّضت لهذا الغرض .

٣- وصف مظاهِر الطبيعة :-

ومن ذلك وصف الزهور والبساتين والقصور ، ومن نماذج ذلك ما كتبه الصاحب بن عبّاد يصِف بستاناً ، إذْ يقول :- (صرنا – أيّد الله مولانا- في بُستانٍ كأنّه من خلقِه خُلق ، ومن خُلُقِه سُرِق ، فرأينا أشجاراً تميل فتذكّر تبريح الأحباب ، وقد تداولتهم أيدي الشراب ، وأنهاراً كأنّها مِن يد مولانا تسيل ، أو من راحته تفيض ، وحضرنا فلان فعلاً نحمُنا ، وحُمِد أمرنا ، وتسهّل طريق الخيرلنا ، فلمّا دبّت الكؤوس فيهم دبيب البُرء في السّقم ، والنّار في الفحْم . رأى أنّ نجعل أنسنا غداً عنده فقلت سمْعاً ، ولم أتجز لأمره دفعاً ، والتمس أن أخلفه في تحشيم مولاى إلى المجمع ، ليقرّب علينا متناول البدر بمشاهدته ، ولمس الشَّمس بمطالعته ، فإن رأى أنْ يشفعني – أسعفني إن شاء الله تعالى)[2] .

وله رسالة أخرى يقول فيها :- (مضيتُ وشاهدت أحسن منظرٍ : فالأرض زمردة ، والأشجار وشي ، والماء سيوف ، والطير قيان)[3] .

هذا بجانب وصف مشاهِد الطبيعة الأُخرى التي وقف عندها الكُتّاب وأبدعُوا في وصفها .

رابعاً :- الرسائل الهزليّة والمُفاكهات :-

وهذا الضّرب من الرسائل تبادله الكُتّاب في القرن الرابع للهجرة ، ويشمل المكاتبات الهزليّة التي تُعبِّر عن الدُّعابة والمرح ، ومن ذلك الرسائل التي تصوِّر مفاهيم الناس في ظل الحضارة ذات الروافد الثقافيّة المتعدِّدة ، والمتتبِّع لليتيمة يجد أنّ الثعالبي أورد فصولاً طرِيفة للصاحب بن عبّاد في

[1] المرجع السابق نفسه ، ج٣ ، ص٣٦٥-٣٦٧ .
[2] الثعالبي :- يتيمة الدّهر ، ج٣ ، ص٢٢٧ .
[3] المرجع السابق نفسه ، ص٢٢٧ .

كتابه (الروزنامجة) ، وهو يصِف ما شاهده في مجالس الوزير المهلّبي في بغداد ، وما رواه من مُلَح ونوادر نُدمائه ، يدلُّ على أجواء الفّكاهة والمرح في تلك المنتديات ، ومن نماذج ذلك :-

رسالة الصاحب بن عبّاد إلى ابي العلاء الأسدي في المداعبة ، يقول فيها :- (ذكرت أنْ أدهَمَك قطع الدّهر ورباطه ، أو قطع الموت نياطه . ووصفت الحمار الذي استعضته ، فلا أدري أقرطته ، أم عضدته؟ وقد كتبت بابتياع مركوب لك بعيوب ، أو يعسوب ، أو مرجوب[1] بل رمست أنْ يُقاد إليك في كيسٍ أعجز ، فإن شئت فاتركه عندك أشهب ، وإلّا فابتع به أدهم أو أشقر ، ويجنب درج كتابي فليوصل ، والنقد عند الحافر ، وبه ملك الخف والحافر ، ويجنب الأعز السائل ، والأقرح النادر)[2] .

وللصاحب رسالة مداعبة أُخرى أوردها الثعالبي إذْ يقول :- (الله الله في أخيك ، لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالماليخوليا وبالتخاييل الفاسدة ، فقد ذكر جالينوس أنّ قوماً يبلغ بهم سوء النخيل ، أن يقدّروا أجسامهم زجاجاً فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن يتكسّروا . وحكى أنّ قوماً يظنون أنفسهم طيوراً فلا يغذون إلاّ القرطم ، والْحظ كتابي دفعة ثُمّ مزّقه ، فلا طائل فيه ولا عائد ولا فرج عنده ، وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمذان شاعرة مجيدة تُعرف بالحنظليّة وخطبها أبوكاتب بكر ، فلمّا ألحّ عليها وألْحف كتبتْ إليه (من مجزوء الرجز):

أيرك أيرٌ ما له عند حِرِي هذا فَرَجْ

فاصرفه عن باب حِرِي وادخله من حيث خرج

[1] اليعبوب : الفرس السريع الطويل ، أوالجواد السهل في عدوه ، والبعيد القدر في الجري ، واليعسوب : النحل وفرس للنبي صلّى الله عليه وسلّم .
[2] الثعالبي : يتيمة الدّهر ، ج٣ ، ص٢٢٥ .

هذه والله في هذين البيتين أشهر من كبشة أم عمرو ، والخنساء أُخت صخر ، ومن كعوب الهذليّة وليلى الأخيليّة)[1] .

وبجانب الأغراض المتقدِّمة أنّ النّثر صوّر لنا كذلك جوانب أُخْرى من الحياة الإجتماعيّة الخاصّة بالملوك والأُمراء كالتي صوّرها الشِّعر (من ترفٍ ولهوٍ ومجون) ، ومن تلك ما نقله لنا الثعالبي في كتابه (اليتيمة) من أخبارٍ عن الوزير المهلّبي في كتاب (الروزنامجة) للصاحب بن عبّاد إذ يُوْرِد الثعالبي :- (قد حضرْنا حجرة تعرف بحجرة الريحان ، فيها حوض مستدير ينصبُّ إليه الماء من دِجلة بالدواليب ، وقد مُدّتْ الستارة وفيها حُسْن العكبراويّة فغنّت (من الوافر):

سلامٌ أيها الملك اليماني لقد غلب البُعاد على التداني

فطرب الاستاذ أبو محمّد – أيّده الله- بغنائها ، واستعادها الصوت مرارً وأتبعته أبياتاً وهي (من الكامل):

تطوي المنازل عن حبيبك دائماً وتظل تبكيه بدمعس ساجمٍ

هلا أقمت ولو على جمر الغضا قُلِّبتَ أو حَدّ الحسام الصارم

وتبعتها جارية ابن مقلة ، ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها ، فغنّت بيتين للاستاذ وهُما (من مجزوء الكامل):

يا مَن له رتقٍ مـ كّنة القواعد في الفؤاد

أيحل أخذُ الماء من متلهّب الإحشاء صادي؟

ففتنت الجميع ، ثُمّ انبسطنا في الشرب ، واشتغل في الشدوِ ، وارتفع الأمر عن الضبط ، والأصوات عن الحفظ ، واتفقت في اثناء ذلك مذكرات ، ومناشدات ومجاوبات ، وافترقنا)[1] .

[1] المرجع السابق نفسه ، ج٣ ، ص٢٣٠-٢٣١ .

ومن ذلك أيضاً ما نقله الثعالبي عن كتاب الصاحب عن الوزير المهلّبي إذ يُورِد :- (وحضرت الاستاذ أبا محمّد – أيده الله تعالى – في منظرةٍ له على دجلة تنفتح منها أبواب إلى بساتين ، فعمل بيتين صنعا في الوقت وتغنّى بهما ، وهما (من المجتث):

لئن عرفتُ جريراً أو اعتمدت قطيعاً

فلا ظفرتُ بعاصٍ ولا أطعْتُ المطيعا

والبيت الأوّل يحتاج إلى تفسير ، فالمراد بالجرير : جريرة ، وبالقطيع : قطيعة . وأنفذ الاستاذ أبو محمّد – أيّده الله – ليلة وقد مضى الثُلُث منها فاستدعاني ، وقاد دابة نوبته كي لا أتأخر انتظاراً لدابتي ، فمضيت والفيته قد انتهى من بستانه الكبير إلى مصبّها من دجلة ، على ميادين ريحان نضِرة ، فاستحسن الموضِع وقعد فيه يشرب مع خَدَمِهِ : أبي الكأس ، وسلاف ، وأبي المدام ، وشراب ، وخندريس وشمول ، وراح . وأمر فنصب نحو مائة شمعة في أصول تلك الميادين صغيرة وقعدت فغنّى سلاف (من الرمل):

يا شقيقَ النّفس مِن حَكَمٍ نِمْتَ على ليلِي ولم أنمِ

فقال الاستاذ : بل غن (من الرمل):

يا شقيق النفس من خدمي لم ينم ليلي ولم أنم

غنني من شعر ذي حكم يا شقيقَ النفس من حكم

ولم نزل نشرب الراح إلى أنْ باح الصبح بسرّه ، وقام كلٌ منّا يتعثّر في سُكْره)[٢] .

---

[١] الثعالبي : يتيمة الدّهر ، ج٢ ، ص٢٢١- ٢٢٢ .
[٢] الثعالبي : يتيمةُ الدّهر ، ج٢ ، ص٢٢٣ .

وتكمن قيمة هذه الرسائل في أنّها أصبحت نصوص ووثائق تأريخيّة وأدبيّة مهمّة ، كشفت عن أدقّ أحداث المجتمع الإسلامي في القرن الرابع وصدر الخامس الهجري ، وما كان يدور بين طبقاته المختلفة من تفاعل ، بجانب اعتماد كُتّاب هذه الرسائل اللغة العربيّة أساساً للمراسلات والمكاتبات في شؤون الدولة الرسميّة والرسائل الإخوانيّة ، مما أدّى إلى إزدهار اللغة العربيّة وتطوّرها في حواضر المشرق الإسلامي ، لأنّها لغة العلم والمكاتبات ، وهذا ما أشار إليه كل من بروكلمان وآدم متز[1].

وهكذا نصل إلى حقيقة مهمة وهي أنّ إخضاع تلك الموضوعات (التهاني ، التعازي ، الوصف ، الشكر ، الإعتذار والشفاعة ، الشكوى والإستعطاف وغيرها) للأسلوب النّثري يدل على موهبة ومقدرة الكُتّاب وممارستهم فنون الكتابة ، وتطويعهم المعاني والأغراض التي كانت حكراً على الشعر وفنونه ، لذلك خطت الرسائل الأدبيّة على أيدي جهابذة الكُتّاب كابن العميد والصاحب بن عبّاد ، وقابوس بن وشمكير ، وأبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان الهمذاني وأمثالهم خطوات واسعة نحو الفن والإبداع ، إذْ طوّروا الرسائل تطوراً هائلاً خاصةً من الناحية الفنية والموضوعيّة .

خصائص النثر الذي أورده الثعالبي في (اليتيمة) :-

إنّ النثر الذي أورده الثعالبي في مجمله متأثّر بالثقافة العربيّة الإسلاميّة مما جعله يتميّز بالخصائص التاليّة :-

١- الإقتباس من القرآن الكريم :- المتتبّع للرسائل التي أوردها الثعالبي في اليتيمة يلاحظ عليها أنّ كُتّابها برعوا في توظيف النّص القرآني في مكاتباتهم ، مما يدُل على سَعة ثقافتهم وصلتهم به ، فاستمدوا صورهم ومعانيهم منه ، فهُم إمّا ينقلون الآية بنصّها أو يُضمنون معناها في رسائلهم ،

[1] انظر تأريخ الأدب العربي ، ج٥ ، ص١٨٥ ، وكذلك الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع ، ج٢ ، ص٤٣٩ .

ومن صور توظيفهم للنص القرآني نقلهم الأيات بنصّها ، ومن ذلك ما ساقه بديع الزمان الهمذاني من رسالةٍ له إذ يقول :- (أنا على بيّنة من أمري ، وبصيرة في ديني ، ولا أقول بعلوم أصحاب النجوم ، وكما أعلمُ أنّ أكثرها رقّ وريح ، أرى أنّ بعضها حقّ صحيح ، وكان لنا صديق لا يؤمن بالصبح إيمانه بالنجوم ، قُرِئَ عليه : (إنّ الله يأمُر بالعدل والإحسان)[1] ، فقال : إن رضِي النحسان)[2] .

ومن صور نقلهم النصوص القرآنيّة رسالة لبديع الزمان الهمذاني يقول فيها :- (معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ، ولا أرضى له غير الصّلْب ، وأعتقِد في دار الضّرب ، أنّها دار الحرب ، ولكن (يأيّها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسقق بنبأٍ فتبيّنوا)[3])[4] .

ومن صور اقتباسهم من النص القرآني إستخدام معانيه وقصصه في الرسائل ومن ذلك رسالة الأمير أبي الفضل المكيالي يقول فيها :- (وددت لو أنّه ركب الفلك الدّائر ، وامتطى النّجم السائر . وكان البرق زاملته ، والبراق راحلته ، والسّماك حاديه ، والخضِر حاديه ، والصبا إحدى مراكبه ...)[5] . فالكاتب هنا أشار للبراق والخضِر عليه السلام .

ومن ذلك أيضاً قول الأمير المكيالي :- (كنت كمن خرج يبقي قبساً ، فرجع نبياً مقدّساً)[6] .

وفي هذه الرسالة إشارة إلى قصّة سيدنا موسى عليه السلام وفي ذلك إشارة لقوله تعالى :- (إذْ رَءَا ناراً فقال لأهله امكُثُوا إنّي آنستُ ناراص لعلّي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النّار هدى ... الأيات)[7] .

---

[1] سورة النّحل الآية : ٩٠
[2] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص١٩٢ .
[3] سورة الحجرات الآية : ٦
[4] الثعالبي : يتيمة الدّهر ، ج٤ ، ص١٩٦ .
[5] المرجع السابق نفسه ، ج٤ ، ص٢٧٥ .
[6] المرجع السابق نفسه ، ج٤ ، ص٢٧٥ .
[7] سورة طه الأيات : ١٠ – ١٢ .

وهناك رسائل كثيرة مُضمّنة آيات قرآنيّة ومعاني وقصص من القرآن الكريم .

٢- تضمين رسائلهم أبيات أومعانٍ من الشِّعر القديم والمحدث :- المتتبّع للرسائل التي أوردها الثعالبي يلاحظ عليها أنّ كُتّابها يضمِّنونها أبيات أو أنصاف أبياتٍ أو معانٍ من الشعر ، وقد يكون الشِّعر المضمَّن في الرسائل من شعر الكاتب وفي أغلب الأحيان يكون من الشعر القديم ، ومن نماذج تضمين معاني الشِّعر ما أورده الثعالبي من رسائل للصاحب وغيره استعانوا فيها بأبيات شعرٍ للمتنبئ منها رسالة للصاحب بن عبّاد يقول فيها :- (لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر ، فإنّ سعادة مولانا لتبشِّر بشوافعٍ له ، يعلم معها أنّ لله أسراراً في عُلاه لا يزال يبديها ، ويصل أوائلها بتواليها . وهو من قول أبي الطيِّب (من الطويل):

ولله سرٌّ في عُلاك ، وإنّما كلامُ العِدا ضَرْبٌ من الهذيان[١])[٢] .

وكذلك للصاحب رسالة أُخرى يقول فيها :- (وعاد مولانا إلى مستقرّه عزّة عَوْدَ الحلي إلى العاطل ، والغيث إلى الروض الماحل . وإنّما هو من قول أبي الطيِّب (من المتقارب):

وعُدْتُ إلى حلبٍ ظافراً كعَوْد الحُلِي إلى العاطل

وإذا كان هذان الصدران المقدّمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيِّب ...)[٣] .

وكذلك الخوارزمي كان يقتبس في رسائله معانٍ من شعر المتنبئ ، ومن ذلك ما أورده الثعالبي ، وفصلٍ لأبي بكر الخوارزمي :- (وكيف أمدح الأمير بخُلُقٍ ضنَّ به الهواء ، وامتلأتْ ذكره من الأرض والسماء ، وأبصر الأعمى بلا عينٍ وسمعه الأصم بلا أُذن؟

وهو حل نظم أبي الطيِّب (من المنسرح):

---

[١] ديوان المتنبئ : تقويم د: إسماعيل العقباوي ، دار الحرم للتراث ، طبعة ٢٠٠٧م ، ص٣٢٩

[٢] الثعالبي : يتيمةُ الدّهر ، ج١ ، ص١٢٢ .

[٣] المرجع السابق نفسه ، ص١٢٥ .

تنشد أثوابُنا مدائحه بألسُنٍ ما لهنّ أفواه

إذا مررنا على الأصمِّ بها أغنته عن مُسْمِعيه عيناه)[1] .

ولأبي بكرٍ الخوارزمي رسالة أُخرى أوردها الثعالبي يقتبس فيها أيضاً ، وهي :- (ولقد تساوت الألسُن حتّى حسد الأبكم ، وأفسد الشَّعر حتّى أحمد الصمم . وهو قول أبي الطيّب (من البسيط):

ولا تُبالِ بشعرِ بعد شاعره قد أفسد القول حتّى أُحمِدَ اللّمم)[2] .

وبجانب تضمين معاني الشِّعر نجدهم يضمِّنون رسائلهم أشعاراً ، وذلك كثيرُ ممن أوردهم الثعالبي ، ومن ذلك رسالة أبوالقاسم عبد العزيز بن يوسف إلى الصاحب بن عبّاد يقول فيها :- (كتابي – أدام الله عز مولانا وحالي – فيما أعانيه من تمثيل حضرته وتذكّر خدمته ، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته . وأفَدت من مشاهدته ، ... ، وأقول (من الطويل):

أقول وقلبي في ذَرَاك مُخيّم وجسمي جنيب للصبا والجنائب

يجاذب نحو الصّاحب الشوق مقودي وقد جاذبني عنه أيدي الشوائب

سقى الله ذاك العهد عهداً من الحيا وتلك السجايا الغرّ غُرّ السحائب

تذكّرت أيّامي بقربك والمنى يقابلني بالعزّ من كل جانب

وفي ربْعك الدنيا تزفّ محاسناً وتفْتر منك عن ثنايا مناقب

وقد لحظت عيناي من شخصك العُلا ومن فرْعك الفينان أعلى المناسب)[3] .

---

[1] المرجع السابق ، ص١٢٦ .
[2] الثعالبي : يتيمة الدّهر ، ج١ ، ص١٢٦ .
[3] المرجع السابق نفسه ، ج٢ ، ص٣٠٢ .

وهناك نماذج كثيرة للرسائل التي يُضمِّنها كُتّابها من جيِّد الشعر ، سواء أكان من أشعارهم أم من أشعار شعراء آخرين .

أعلام النثر :-

يقصد الباحث بأعلام النثر أولئك الكتاب الذين أحدثوا بأقلامهم أثاراً فنيه ، الذين أوردهم الثعالبي فى كتابه ، وقبل الحديث عن أولئك الأعلام يرى الباحث أن يذكر نبذة موجزة عن الكتابه و الكُتّاب في تاريخ الأدب العربي، قبل القرن الرابع الهجري.

ذكرت المصادر أنّ الكتابة كانت معروفة لدى عرب الجاهلية، ولكنها أشارت كذلك إلى قِلّة من يعرفونها، وارجعت المصادر تلك القلة فى عدد من يعرفون الكتابة إلى شيوع الأمية عند الجاهلين لأن حياتهم التى كانت تقوم على الترحال طلباً للماء و الكلا فى تلك الحياة الرعوية لم تمكنهم من معرفة الكتابة، ولأنهم كذلك لم يعرفوا التحضر و الإستقرار، هذا بجانب إشارة المصادر إلى الأغراض التى كانوا يستخدمونها فى كتاباتهم ، وذكرت المصادر أيضاً أن بعضاً من الشعراء كانوا يكتبون أثارهم الأدبية كالمرقِّش الأكبر [1]، وكذلك عُدي بن زيد العُبادي الذى قال عنه صاحب الأغاني :" ....فصار أفصح الناس وأكتبهم بالعربية و الفارسية ثم انتقل إلى بلاد فارس فأصبح كاتباً بالعربية، ومترجماً في ديوان كسرى ".[2]

[1] الأصفهاني : أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، اثنان وعشرون جزءً، دار الكتب المصرية، الطبعة الاولى ١٩٣٥م، ج٦ ص ١٢٨.

٢ الأصفهاني : أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، اثنان وعشرون جزءً، دار الكتب المصرية، الطبعة الاولى ١٩٣٥م ، ص ١٠١ – ١٠٢.

وكذلك من كُتاب الجاهلية :" لقيط بن يعمر الأيادى، وورقة بن نوفل، وعبدالله بن عمر بن العاص "[١] .

وأشار الدكتور مصطفى الشكعة قائلاً : "ومن أشهر من عرف الكتابة في الجاهلية الشاعران المعروفان لبيد و المرقِّش الأكبر".[٢] .

وعلى العموم فقد عرف عرب الجاهلية الكتابة،وتغنوا بأدوتها فى أشعارهم كذكرهم الأدوات التي كانوا يكتبون بها أو تلك التي كانوا يكتبون عليها، ومن ذلك ما أورده الدكتور مصطفى الشكعة من شعر على سبيل المثال لا الحصر كقول لبيد بن ربيعه (من الكامل):-

وَجَلا السُّيولُ على الطُّلُولِ كأنّها زُبُرٌ تَجِدُّ مُتُونَها أَقْلامُها[٣].

وكذلك قول المرقِّش الأكبر:-

و الدار قفرٌ والرسوم كما رقّش في ظهر الأديم قلم[٤].

والمتتبع لكُتّاب الجاهلية كما تفيد الأخبار التي تروى عنهم، أنهم لم يستخدموا الكتابة لأغراض فنية، وإنّما كانت وسيلة لحفظ أشعارهم هذا فضلاً عن الأغراض التجارية والسياسية المتمثلة في العهود و المواثيق التي كانت سائدة عند الجاهلين، وعند مجئ الاسلام اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة و الكُتّاب من أجل الدعوة الإسلامية، كيف رأينا أنه أهتم

---

١ د. ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص٥٥

٢ الشكعه: مصطفى الشكعة : الأدب في موكب الحضاره الاسلامية، كتاب النثر ،الدار اللبنانية ، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣،ص٧.

٣- لبيد بن ربيعة العامري : ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر – بيروت ، دون تأريخ طبعة ، ص١٦٥ .

٤ الشكعة : الأدب في موكب الحضارة الإسلاميّة ، ص٧ .

بتعليم الكتابة، وخاصة عندما جعل مفاداه أسرى بدرٍ الكبرى أن كل مشرك أن يعلم عشرة من غلمان المدينه [1]، كل ذلك يدل على إهتمامة بالكتابة، فنجده أتخذ كذلك كُتّاباً يكتبون له الوحي، وآخرين يكتبون له في حوائجه ، بجانب كتاب آخرين يكتبون له للرؤساء والأُمراء ومخاطبته لهم للدخول في الإسلام بجانب معاهداته مع المشركين و غير ذلك من الأغراض التي تستدعى الكتابة ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يملي على كُتّابه ما يريد كتابته وأنْ يلتزم الكاتب بما يمليه عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ، ذلك هو طابع الكتابة والكُتّاب في عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، وسار خلفائه الراشدين وخلفاء بني أُميّة على نهجه [2] .

أمّا العصر العبّاسي فيُعدُّ أكثر العُصور الإسلاميّة تطوراً نسبة لإختلاط المسلمين بغيرهم من الشعوب التي كانت لها فنون وتقاليد في الكتابة كالفُرس واليونان والروم وغيرهم ممن إختلط بالعرب من أهل الحضارات السابقة ، وذلك لأنّ العرب احتكّوا بتلك الشعوب ونقلوا معارفها وتقاليدها ، وأدّى ذلك إلى التطوّر والإزدهار في سائر العلوم ومنها فنُّ الكِتابة .

ويلاحظ الباحث أنّ الفُرْس أكثر مَن إشتهر بالكتابة في العصر العبّاسي وأنّ أغلب أولئك الكُتّاب مِن أصولٍ فارسيّة ، وهؤلاء الكُتّاب الذين أوردهم الثعالبي في كتابه (اليتيمة) يمثلون مذاهب فنيّة في في كتابة الرسائل بنوعيها (الديواني والإخواني) ، وهُم كذلك يُعَدّون في القِمّة من بين كُتّاب النّثر في القرن الرابع وصدر الخامس الهجري تلك الفترة التي قصدها الثعالبي بالتأليف ، لذلك يرى الباحث أنْ يذكر بعضاً منهم مع بيان مكانتهم الأدبيّة وقيمة كتاباتهم الفنِّية ، ومن أولئك :-

ابن العميد :-

هو علي بن محمّد بن الحسين بن محمّد أبوالفتح ابن العميد ، الملقّب بذي الكفايتين ، كفايةُ السيف وكِفايةُ القلم ، وزير رُكن الدولة ، وُلِد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وقُتِل سنة ست وستين وثلاثمائة للهجرة. كان أديباً فاضِلاً بليغاً ، وقد اقتدى بأبيه في عُلو الهِمّة وبُعد الشأْوِ في الكرم والفضل [3]، أصله فارسي من مدينة قُم الفارسيّة [4] .

---

[1]- ابن هشام : أبومحمد عبدالملك بن هشام المعافري ، السيرة النبويّة ، طبعة دار المنار – مصر ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، ج٢ ، ص٢٤٣ .ذذذذذ

[2] د. علي شلق : مراحل تطوّر النثر العربي في نماذجه ، ص١٥٠ .

[3] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج٤ ، ص .٢٥٧

[4] الدكتور شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النّثر العربي ، ص ٢٠٥

مكانته الأدبية :-

لابن العميد مكانه عالية في تاريخ كتابة الرسائل وخاصة الاخوانية منها ، ويقول عنه الثعالبي: " هو ابو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر في الكتابة ، ...، يدعي الجاحظ الأخير ، والاستاذ ، والرئيس ، يضرب به المثل في البلاغة ، ويُنتَهى إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة مع حسن الترسل وبراعة الالفاظ وسلاستها ، الي براعة المعاني ونفاستها . وما احسن واصدق ما قال له الصاحب . وقد سأله عن بغداد عند منصرفه منها – بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد وكان يقال : بُدِئت الرسائل بعبد الحميد وخُتِمت بابن العميد" [١] .

هذا الحديث يدل علي ما وصل إليه ابن العميد في عصره من مكانة أدبية عالية ، تلك المكانة التي علق عليها الدكتور شوقي ضيف بقوله : :.. (وهي مكانة لم يأخذها عن طريق مركزه السياسي ، وإنّما أخذها عن طريق فنه الخالص)[٢] وأشار مارون عبود إلى أنّ ابن العميد (من أصحاب الأساليب الخمسة)[٣] وقال عنه الدكتور محمود غناوي الزهيري :" ونستطيع أن نقول: أن ابن العميد كان أستاذ الجيل ، وكاتب العصر، وصاحب طريقة في الكتابة تفرد بها وعرفت باسمه ، وتأثر بها كتاب زمانه وبعد زمانه ، ثم أنه كان ذا شخصية قوية ،.. كل ذلك جعل منه عاملاً من عوامل النهضة الأدبية والعلمية أيام بني بويه ، ممدوحاً وكاتباً ومعلماً ومقارضاً ومكاتباً) [٤] .

---

١ الثعالبي : ج ٣ ، ص ١٤٧

٢ د. شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٢٠٨.

٣ مارون عبود : في أدب الأسلام ، دار الثقافة – بيروت ١٩٦٠م ، ص ٣١٥.

٤ محمود غناوي الزهيري : الآدب في ظل بني بويه مطبعة الأمانة مصر ١٩٤٩م ،ص ١٢٨.

وقد أشاد الدكتور زكي مبارك ببراعته النثرية ، وأشار إلى أنه قدوة في باب الرسائل الإخوانية حيث جرى أغلب كُتّاب عصره على منواله فقال : " ومما إمتازبه ابن العميد إجادة الرسائل الأخوانية : وهو فن برع فيه كتاب القرن الرابع فصيروه سنة يجري عليها الأصفياء والالاف . وقد تأملت فرأيت معاني ابن العميد صارت ورداً سائقاً لمعاصريه كالمكيالي والببغاء وبديع الزمان ، وليس غريباً أن يصير قدوة في هذا الباب"[١]

وأردف الدكتور زكي مبارك قائلاً : " وما نحسب معاصريه أسرفوا في مجاملته حين لقبوه بالاستاذ الرئيس"[٢]

أمّا أنيس المقدسي فيرى أنّه مدرسة تخرجت فيها الأجيال في عصره وبعد عصره حيث قال :- (ابن العميد من أهل القرن الرابع الهجري ، وهو قرنٌ أخرج نخبة شهيرة من الأقلام كأبي اسحق الصابئ وأبي بكر الخوارزمي والصاحب بن عبّاد وبديع الزمان الهمذاني وأبي هلال العسْكري و أبي حيّان التوحيدي وأبي الفرج الببغاء وقابوس بن وشمكير وأبي الفضل المكيالي وسواهم . وقد نبغ فيه من أهل اللغة والأدب والتاريخ والعلم في الشرق وفي الأندلس أعلامٌ لا يتسع المقام لذكرهم . ويمتاز هذا القرن عمّا سبقه باستقرار السجع في الإنشاء الديواني وشيوعه في حلقات الأدب حتى أصبح الزي الإنشائي السائد) [٣] .

الصاحب بن عبّاد :-

"هو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد الوزير ، الملقّب بالصاحب ، من أهل الطالقان وهي ولاية بين قزوين وأبهر . مولده في ذي القعدة سنة ست وعشرون وثلاثمائة ، ومات في الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة للهجرة"[٤].

---

١ الدكتور زكي مبارك : النثر الفني في العصر الرابع ،ج ٢ ، ص ٢٥٣.

٢ زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ج٢ ص ٢٥٥

٣ أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ،دارالعلم – بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٥م ، ص٢٥٠- ٢٥١

٤ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج٢ ص ٢١٣

قال عنه ياقوت :"كان كثير المحفوظ ، حاضر الجواب ، فصيح اللسان ، قد نتف "أخذ" من كل أدب شيئاً ، وأخذ من كل فن طرفاً..."[١].

وذكر ابن خلكان أنه لقب بالصاحب لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد[٢]. وهو فارسي الأصل ، وله مصنفات هي : "كتاب المحيط في اللغة ، و"كتاب ديوان رسائله" ، و"وكتاب الكافي" رسائل ، وكتاب الزيدية ، وكتاب الأعياد وفضائل النيروز ، وكتاب تفضيل علي بن أبي طالب وتصحيح إمامته ، وكتاب الكشف عن مساوئ المتنبئ" [٣].

مكانته الأدبيه:-

للصاحب بن عباد مكانه أدبيه خاصة بين كُتّاب الرسائل فهو من مشاهير الكتاب في القرن الرابع ، وخدم الأدب والأدباء ، حيث كان بلاطه مجمعاً للشعراء والكتاب والأدباء ، ويقول عنه الثعالبي :" ليست تحضرني عبارة أرضاها للأفصاح عن علو محله في العلم والأدب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بغايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ،...، ولكني أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وعزة الزمان ، وينبوع العدل والاحسان ، ومن لا حرج في مدحه بما يمدح به كل مخلوق ، ولولا ما قامت للفضل في دهرنا سوق ، وكانت أيامه للعلويه والعلماء والأدباء والشعراء وحضرته محط رحالهم ، وموسم فضلائهم ،...، فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في باب الإعجاز وسار كلامه مسير الشمس ، ...، واحتفي به من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر من يربي عددهم علي شعراء الرشيد ،...، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحوله الشعراء ..."[٤].

---

١ المرجع السابق نفسه ص٢١٧

٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ج٤ ص٢٩٣

٣ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج٢ ص٢٦٢

٤ الثعالبي : يتيمة الدهر ج٣ ص١٧٧

وقال الدكتور شوقي ضيف عن نثر الصاحب : " إن الصاحب حقاً أستاذ ماهر من أساتذة فن التصنيع في القرن الرابع، وأنه ليتخذ في هذا الفن جميع المفاتيح الموسيقية التي عثر عليها ابن العميد ، فهو من جهة يعني بقصر سجعاته ، فإن طالت عادل بين ألفاظها معادلات تخرج بها من شذوذ الطول إلى ما يشبه القصر ، ثم هو من جهة أخرى يعني بألْوان البديع التي يُحلّى بها جيد أساليبه ..." [١].

أمّا الدكتور زكي مبارك فقد قال عن نثره : " وخلاصة القول إن الصاحب بن عبّاد كان من أعاجيب دهره ، وأكتب أهل زمانه،...، ومهما احتال خصومه في الحط من عقله وأدبه فلا يمكن نكران أنه كان من أظهر الشخصيات في القرن الرابع ، وإنه رفع بجاهه ونفوذه وعبقريته طوائف كثيرة من المتأدبين كانت تمضي طعمة الفقر والخمول لو لم يمسه يمينه واقباله ولو لم تعتمد علي بره الوافر وساعده المتين ". [٢]

أبو بكر الخوارزمي :-

هو أبو بكر محمد بن العباسي الخوارزمي [٣] ، أصله من طبرستان ، ومولده ومنشؤه خوارزم [٤] وإليها ينسب . قال عنه الثعالبي : " باقعة الدهر ، وبحر الأدب وعلم النثر النظم ، وعالم الفضل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة ، ويحاضر باخبار العرب وأيامهم ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويأتي بكل فقرة ودرة ، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ ، ...، وديوان رسائله مخلد سائر ، وكذلك ديوان شعره "[٥]

---

١ د. شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ص٢١٦.

٢ زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ج٢ ص٣١٤ -٣١٥

[٣] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ج٤ ص١٢٩

[٤] .د . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ص٢٣٠.

[٥] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ج٤ ص١٢٩

أما الدكتور شوقي ضيف فقد قال عنه : " كان أبو بكر كاتباً كبيراً كما كان شاعراً أيضاً ، ...، وهو قوي المعرفة ، قوى الأدب ، نافذ القريحة ، حسن الشعر ، ...، ومهما يكن فقد كان الخوارزمي من كبار الأدباء في عصره " [١]

أما الدكتور زكي مبارك فقد قال عنه كذلك : " وهذه أيضاً شخصية عظيمة من الشخصيات التي نهضت بالأدب العربي ، وشغلت الناس عدة أجيال ، ...، ولكننا نريد أن نقول أنه له بلاغة خاصة تتضمن له التفرد والإستقلال والنبوغ الأدبي "[٢]

أبو إسحاق الصابئ :-

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابئ الحراني [٣] ، قال عنه الثعالبي : " أوحد العراق في البلاغة ، ومن به تثني الخناصر في الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة والصناعة ،...، وسار ذكره في الآفاق ، ودون له من الكلام البهي النقي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غرره "[٤]

وقال عنه الدكتور شوقي ضيف : " والحق أنّ الصابئ كان علماً من أعلام البلاغة في عصره ، ومن يرجع إلى رسائله يجده يعتني عناية شديدة بانتخاب ألفاظه وصقل عباراته وتنقيح سجعاته ..."[٥]

---

[١] د . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ص٢٣٠ – ٢٣٢

[٢] زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ج ص ٣١٦

[٣] ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج٢ ص٩٤

[٤] الثعالبي : اليتيمة ج٢ ص ٢٣٣

[٥] د . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ص٢١٩

وممن تعرض لشخصية الصابئ ورسائله الدكتور محمد زغلول سلام حيث قال : " بعد الصابئ من أبرع كتاب الرسائل الديوانية في عصره ، وقد تناولت رسائله مجالات مختلفة من أحوال الدولة ، وتقلبات ظروفها ..." [١].

أمّا أنيس المقدسي فقد قال عنه :- (والخلاصة أنّ الصابئ من أئمّة الإنشاء الديواني وهو يقرن في نفسه ثقافة البلاط السلطاني بذكاء الأديب المتفنِّن ، وقد تمكن بهاتين الخِلتين من إحراز أعلى المناصب الكتابية والتمتُّع بنصيب وافر من النعم السنية) [٢] .

بديع الزمان الهمذاني :-

هو أبو الفضل أحمدين الحسين بن يحي بن سعيد الهمذاني ، الحافظ المعروف ببديع الزمان ، صاحب الرسائل الرائقة ، والمقالات الفائقة .[٣] أصله من همذان وإليها ينسب [٤]، قال عنه الثعالبي : " معجزة همذان ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومن لم يلق نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه وغرر النظم نكته ، ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره فإنه كانت ، صاحب عجائب وبدائع وغرائب " [٥]

---

[١] محمد زغلول سلام : الأدب في عصر العباسيين من بداية القرن الرابع إلي نهايته ، ج٢ ص ٢٤٥

[٢] أنيس المقدسي : تطور الاساليب النثريّة في الأدب العربي ، ٢٨٢ .

[٣] ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ج ٦ ص ١٢٧

[٤] د .شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه ص ٢٣٨

[٥] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ج٤ ص١٨٦

أما الدكتور شوقي ضيف فقد قال عنه : " وليس هنالك كاتب في القرن الرابع نال من التمجيد والثناء ما ناله بديع الزمان ، وحتي اسمه لايعرفه الناس ، وإنّما يعرفونه بلقبه الذي أطلقه عليه معاصروه ، وإنه ليفصح عن مدي إعجابهم به " [١]

وممن تعرض له بالدراسة كذللك مارون عبود الذي درس شخصيته وأُسلوبه وأورد تعليقاً قال فيه :" كان بديع الزمان حاد الذكاء ، قوي الذاكرة ، كاتباً مترسلاً مجيداً ، وشاعراً مبدعاً ، سريع البديهة ، مر الهجاء ، ....، لين العبارة سهلها ، قصير السجع ، كل هذا يدل علي انه غير متعمل في الصنعة وانه غزير المادة " [٢]

وهناك كُتّاب أوردهم الثعالبي في كتابه منهم : أحمدبن يوسف الكاتب ، وقابوس بن وشمكير ، والحريري ، وأبو الفرج الببغاء ، وغيرهم من كتاب النثر عامة والرسائل بصفة خاصة .

والمتبع للنثر الذي أورده هؤلاء الكتاب يلاحظ فيه التطور التي شهدته الكتابه الفنيه نسبة لظهور كتاب كبار كالذين ورد ذكرهم ، وغيرهم هذا بجانب أنّ النثر نفسه إتسعت مجالاته وأصبح يُعبِّر عمّا جاءت به الثقافات الأجنبية التي كونت الحضارة العربية الأسلامية ، وكذلك هو نثر تحول فيه العرب من الترجمة إلى التصنيف والمشاركة .

ويُعدُّ النثر الذي أورده الثعالبي وتعرض لأعلامه من أرقي أنواع الكتابه في القرن الرابع نظراً لتطور أسالبيه والثقافة والبلاغة العالية التي امتاز بها كُتّابه أمثال ابن العميد وأضرابه ، وكذلك لأنّ الدويلات الإسلامية ساعدت علي تطور هذا النثر كما أسلفنا ، وذلك ما قال به الدكتور شوقي ضيف حيث أورد :" رأينا في العصريين العباسي الأول والثاني كيف تنوع النثر تنوعاً واسعاً ، فكان هناك النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر الأدبي ، وكانت هناك المناظرات والمواعظ والقصص وكتب الأدب التهذيبي ، وكانت هناك الرسائل الشخصية السياسية ، وكل هذه الأنواع

---

[١] د . شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ص٢٤٠

[٢] مارون عبود : في أدب الأسلام ، مختصر نشأته وتطوره ، دار الثقافة ، ط١ ، ١٩٦٠م ،ص٣١٩

مضت تزدهر في عصر الدول والأمارات بالعراق وخاصة في القرنيين الرابع والخامس بالهجرة . ولا نبالغ إذا قلنا إنهما كانا أزهي القرون في العصر العباسي بالقياس إلى النثر وفنونه "[1]

ومثلما تناول الثعالبي الكتاب في العراق ،وكذلك تحدث عن الكتاب في إيران ، فذكر منهم عدداً كبيراً وهم يمثلون إزدهار الكتابه هناك ، فعند السامانيين تحدث عن كبار كتابهم فتناول العميد والد أبي الفضل بن العميد ، وهو من كبار كتاب القرن الرابع ، وتناول كذلك علي بن محمد الإسكافي النيسابوري وأسرة بني مكيال فأنتخب فصولاً من نثرهم ، وتحدث كذلك عن كتاب نيسابور ومن طرأ عليها من كبار الأُدباء مثل بديع الزمان الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي .

هذا بجانب حديثه عن كُتاّب الدوله البويهية في الري وأصبهان والجيل وفارس والأهواز كابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبي العباس الضبي الذي قال فيه الثعالبي " إنّه خليفة الصاحب ، وجذوه من ناره ويجرى في طريقه ترسماً وترسلاً). [2]

وتحدث الثعالبي كذلك عن كُتّاب جُرْجان وطُبرسان ، فتناول قابوس بن وشمكير ، وأبو الفتح البُسْتي وغيرهما ، وهذه الكثرة الهائلة من الكُتّاب الذين تناولهم الثعالبي تدل على إزدهار فنون النثروتطور أساليب كُتّابه ، مما جعل الثعالبي يؤوخ لاؤلئك الكُتّاب والأدباء في عصره .

وتكمن القيمة الأدبية لهذا التناول الذي اتبعه الثعالبي في كتابه إنه تناول إزدهار الكتابة وتطور أساليبها وطرائق كُتّابها مع تعدد أنواع تلك الرسائل ، هذا بالإضافة إلى أعلام الكُتّاب مما يعد عمله سجلاً أدبياً وتأريخياً لكُتّاب عصره وإنتخاب بعضاً من رسائلهم وإنتاجهم النثري بصفة عامة ، وطرائقهم في الكتابة ، مبيناً أنهم يمثلون القمّة بين كُتّاب النثر في عصره والعصور التي سبقته.

---

[1] شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي : عصر الدول والامارات ، الجزيرة العربية ، العراق ، ايران ، ص٤٣٠

[2] الثعالبي : يتيمة أهل الدهر في محاسن أهل العصر ، ج٣ ، ص٢٦٦

هكذا كان النثر وأعلامه في القرن الرابع الذي يُعْتَبر عصرالكتابة بامتياز لأنّه طُبِقتْ فيه كل الفنون والتقاليد الكتابية التي عرفها الكُتّاب ، هذا فضلاً عن ظهور كتّاب كِبار أمثال ابن العميد وأضرابه ، فهو عصر تجلّت فيه كل خصائص النثر الكتابي مما دعا الدكتور زكي مبارك إلى القول :- (ونعيد ما قلناه من أنّ هذه الخواص التي أمتازت بها الكتابة في القرن الرابع لم تنشأ في يومٍ وليلة حتى صارت من سمات هذا القرن ، وإنّما هي صفات نثرية تطورت على مدى القرون التي سبقت هذا القرن ، ثُمّ ظهرتْ فيه ظهوراً قوياً لأنّ كُتّابه أرادوا متعمدين أن تكون لهم شخصيّة فنّية تظهر في تجسيم ما كان أسلافهم يشيرون إليه من أنواع المحسنات اللفظيّة و المعنويّة ، فالسجع مثلاً لم يُخلق في القرن الرابع وإنّما هو حِلْية قديمة إلتزمها كُتّاب هذا العصر ، وكذلك تضمين الرسائل أبياتاً من الشعر ليس بجديد فقد وُجِد منه شيئ في خطاب عُثمان بن عفّان الذي كتبه إلى علي يسْتنجد به ، وفي بعض خُطب علي بن أبي طالب أبيات من الشعر وردت لتأييد ما كان يقوله في مُدافعة خُصومه ،...، ومثل هذا يُقال في أخذ النثر لبعض أغراض الشعر ، فقد كان للمتقدمين جولات فنية في النثر لا تقل في طرافة ومضوعاتها ورِقّة حواشيها عن الشِّعر ، ولكن كُتّاب القرن الرابع ظهروا في هذه النّاحية ظهوراً جعلها من خواصهم من حيثُ الغرض والأسلوب)[1] .

إنّ النثر الذي أورده الثعالبي في اليتيمة يمثِّل أرقى ما وصلت إليه الكتابة بشهادة النُّقاد وأهل الأدب ، نظراً لتطوّر فنون الكتابة والأسس المتّبعة في تلك الفترة ، فضلاً عن تصوير إزدهار الكتابة ممثلةً في أساليب هؤلاء الكُتّاب وطرائقهم في التعبير ومذاهبهم الفنّية .

[1] زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ، ج١ من ص١٣٥ – ١٣٦ .

المبحث الثالث

الشعراء والكُتّاب الذين أوردهم الثعالبي(التراجم)

للتراجم أهمية كبيرة ترجع لكونها تنقل لنا أخبار أصحاب الإنتاج العلمي والأدبي ،بجانب إحاطة الباحث بكثير من الحقائق والمعارف وتُعدُّمكمِّلة للموضوع الذي تتصل به الدراسة .

ويُعدُّ الثعالبي واحداً من أولئك الذين ألّفوا في الشعر وترجموا لشعرائه وكُتّابه بصورة عامة، لذا تمثل تراجمه للكتّاب والأدباء التي أوردها في اليتيمة مادة معرفية مهمة لأنها شملت أهل عصره دون إستثناء المشهور منهم والمغمور الذي لم يذكره إلاّ الثعالبي ، بجانب إعتماد بعض أصحاب التراجم في نقل مادتهم من كتابه .

وقبل الحديث عن تلك التراجم لابد من طرح السُّؤال التالي : هل اليتيمة كتابٌ في تأريخ الأدب أم كتابٌ في التراجم ؟ .

المتتبع لآراء العلماء (قدماء ومحدثين) حول اليتيمة يجد أغْلبهم يصنِّف الكتاب على أنه كتابٌ في التراجم ، خاصة أصحاب التراجم الذين نقلوا منه بعض تراجمهم كياقوت الحموي[1] وابن خلكان [2] ، والسبكي [3] وغيرهم .

فاليتيمة في نظر هؤلاء كتابٌ في التراجم ، ومن المحدثين من حذا حذوهم كالدكتور زكي مبارك ، الذي أعتبر اليتيمة كتاباً في التراجم وذكر أنّ من أقتل عيوب اليتيمة إغفال الوفيات حيث قال : (من أقتل عيوب اليتيمة إغفال الوفيات ، فقد يندر أن يذكر مؤلفه في أيّ عام

---

[1] ياقوت الحموي – معجم الادباء ج١ ص٦٦-٣٢٥ ، ج٢ ص٩-٢٣٢ .

[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، نقل تراجم متعددة من اليتيمة

[3] السبكي : طبقات الشافعية الكُبْرى : ج٣ ص٢٨٢ ، ص٤٥٩ ،ج٥ ص٢٥٦ .

مات من يحدثنا عنه وفي أيّ عام لقيه ؟ ولو أنّ الثعالبي عني بتدوين الوفيات لأدى لتأريخ الأدب حقاً من أوجب الحقوق)[1] .

ونجد كذلك الدكتور مصطفى الشكعة الذي اعتبر اليتيمة كذلك كتاباً في التراجم وصنّفها ضمن كتب الطبقات التي اهتمت بالشعراء حيث أورد قائلاً : (واليتيمة تُعْتَبرأولى الطبقات ذات الصفة الموسوعية ،...، على أنّ كتاب اليتيمة قد قارب حد الشمول في ترجمته لشعراء القرن الرابع ، جاعِلاً لكل مِصْر من الأمصار الإسلامية قسماً من كتابه ، مبتدئاً من بلاد الجبل وما وراء النّهرشرقاً مارّاً بالعراق العجمي والعراق العربي والشام والجزيرة ومصر والأندلس ، مطيلاً مسهباً عند من ينبغي الوقوف والإطالة عندهم مثل المتنبئ ، وابن العميد ،والصاحب بن عبّاد ، وأبي بكر الخوارزمي ، والصابئي ، وأبي فراس وغيرهم من صفوةشعراء العربية غير أنّه يختصر في بعض الأحيان و يغفل في بعض الأحيان ،...)[2]

وغيرهم من العلماء ممن أدرجوا اليتيمة ضمن كتب التراجم ولكن مؤلّف الكتاب نفسه لم يجعله كتاباً في التراجم بالمعنى الدقيق للترجمة ، لكن قول الشعر يرتبط بذكر قائله لذلك رأى من الضرورة ذكر أخبار من أورد أشعارهم خاصة تلك الأخبار التي لها علاقة بالشعر أو ما يريد أن يثبته للشاعر من صفة ، هذا بجانب إهتمامه بالمشاهير من الذين أوردهم في كتابه ، فيقول في مقدمة كتابه : (فهذه النسخة الآن _ أي اليتيمة _ تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الارض من أهل،وسبك أفْهامهم ، وصوغ اذهانهم ،...، مع كلام في الإشارة إلى النظائر و الأحاسن والسرقات ، ...، ونُبذ من أخبار المذكورين ...)[3].

---

١ زكي مابرك : النثر الفني في القرن الرابع ،ج٢ ص١٧٠

٢ د. مصطفى الشكعة : مناهج التّأليف عند العلماء العرب ، قسم الأدب ، دار العلم للملايين – بيروت ط١٩ ،٢٠٠٥م ، ص ٣٧٦

٣ الثعالبي : يتيمة الدهر ، مقدمة المحقق ، ص٢١

ويلاحظ الباحث من مقدمة المؤلّف أنّه لم يقصُد أن يُؤرخ للأدب في تلك الفترة التي قصدها بالتأليف ، ولا كان هدفة كذلك أن يترجم للأدباء الذين أورد من إنتاجهم الأدبي ، لكنه أراد أن يكون كتابه في الأدب في المقام الأول كما يُؤخذ من عنوان الكتاب (في محاسن أهل العصر) ، ثم أضاف ونُبَذ من أخبار المذكورين ، وفي ذلك أراد أن يُعرِّف بقائل النص فقط لأنّ أغلب من ذكرهم لم يتعرّض لأخبارهم إلاّ المشاهير منهم ، واكتفى بذكر أسماء بعضهم فقط ويتبعه مايريد أن يثبته له من شعر أونثر، وذلك هو الغالب في (تراجم اليتيمة) مما يدل على أنّ الكتاب ليس في التراجم بكل ما تحمله كلمة ترجمة من معنى وهذا ما أشار إليه الدكتور عمر الدقاق في حديثة عن اليتيمة بقوله : – (إنه كتاب أدبي في المختارات الشعرية وتصوير الحياة الادبية في القرن الرابع الهجري قبل أن يكون كتاب تراجم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، لأنّ المادة الأدبية كانت تهم الثعالبي قبل الأديب . وهو شبيه من هذه الزاوية بكتاب الأغاني الذي هو كتابٌ في الأدب والأخبار و التراجم معاً ، وتعني اليتيمة بالمختارات الشعرية عناية بالغة تجعلها غنية بالنصوص ، حتى إنّ الثعالبي كثيراً ما يقتضِبْ الترجمة في سبيل هذه الغاية) [1]، ذكرهم ولكنّ الكلام معقودٌ عليهم بناءً على إنتاجهم الأدبي ، ومن ذلك قوله في آخِر الباب الرابع من القسم الخاص بشعراء الشام قوله :– (وممن يليق ذكره بهذا المكان من أعيان الشام وليس يحضرني شعر أبو القاسم الآدمي ، وإذا حصلت عليه ألحقته به وهذا آخر الباب الرابع)[2] ، وقال الثعالبي مثل ذلك في آخِر الفصل التاسع من القسم الرابع حيث أورد قائلاً :– (كان من هذا الباب أنْ يتضمّن ذكر أبي الحسن الرخجي) وهناك نصوص أُخْرى أوردها الثعالبي في كتابه تبين لنا أنه لم يقصد الترجمة للأعلام الذين أورد أشعارهم حيث أشار إلى أبي الحسن الممتاخي صاحب كتاب (من غاب عند النديم) ، وأبي الحسن الحنطلي السهروردي ، وأبي سعيد البلدي ،...، ولكن لم

[1] د. عمر الدقاق : مصادر التراث العربي – مرجع سابق ص٢٤٩

[2] الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، ج١ ، ص١١١ .

يحضرني شيءٌ من أشعارهم في هذه الغربة ، وإن نفّس الله المهل ، وعاودت الوطن ، جبرت كسره بما يصلح له من كلامهم ، وإن عاق محتوم الأجل عن ذلك فإنّي أرغب إلى من ينظر بعدي في هذا الكتاب من الفضلاء الذين يصيدون شوارد الكَلِم ، وينظمون قلائد الأدب ، أن ينوب عن أخيه فيه ، ويلحق مايجده منه بمواضعه بهذا الكتاب إن شاء الله تعالى)[1]ومن ذلك قوله في خاتمة كتابه اليتيمة : (انتهى الباب العاشر فتمّ به الكتاب وبقي عليّ ذكر قومٌ من أهل نيسبور لم تحضرني أشعارهم وهم : أبوسلمة المؤدب ، وأبوحامد الخارزنجي ، وأبوسهل البستي ، وأبوالحسن العبدوني الفقيه ، وأبوبكر الجلاباذي ، وأبو القاسم العلوي ، وأبوسعد الخيزرودي ، وأبوسعيد مسعود بن محمد الجرجاني ، والفقيه أبو القاسم بن حبيب ،...، وسيتفق لي أو لمن بعدي إلحاق ما يحصل من مُلحْ أشعارهم بهذا الباب – إن شاء الله)[2].

ويرى الباحث أنّ الثعالبي إذا كان هدفه الترجمة لهؤلاء الأعلام لم يُرجئ إلحاقهم بالكتاب إلى حين الحصول على أشعارهم ، لأننا نفهم من كلامه أنّ ذكر الكاتب أو الشاعر عنده مرهونٌ بالحصول على إنتاجه الأدبي ، وهذا ما ذهب إليه المؤلّف في بداية كتابه حين وضع عنوانه (في محاسن أهل العصر) ويقصد بتلك المحاسن الإنتاج الأدبي شعره ونثرة ، ولكن المؤلّف في مقدمته ألحق قائلاً : ونُبذ من أخبار المذكورين ، أراد أنْ يربط الشعر بقائله مع عدم إهتمامه بحال القائل كثيراً إلاّ ما يتصل بما يريد إثباته له من صفات تتصل بحياته الأدبية ، ونلاحظ ذلك في أنّه لم يتعرّض لمولد أو وفاة أو تصرّف الدهر بما يحدثنا عنه إلاّ تلك التي لها علاقة بما يريد تدوينه ، وبناءً على ما تقدّم إنّ الكتاب مؤلّفاً في الأدب (شعره ونثره) وليس التراجم بالمعنى الذي تحمله الكلمة ، فالمؤلِّف قصد من كتابه دراسة الأدب.

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، ج٤ ، ص٣٢٦ .

[2] المرجع السابق نفسه ، ج٤ ، ص٣٥٩ .

ومن هذا المبدأ انطلق الاستاذ محمد مُحي الدين عبد الحميد أحد محققي اليتيمة بقوله : (ونحن نقرر أنّ هذا الكتاب لم يُوضع في تأريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وُضِع في صميم الأدب ولُبابه فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ،...) [1].

وعلى الرغم مما تقدّم فقد عدّ بعض العلماء والباحثين اليتيمة كتاباً في التراجم وذلك لأنّ مؤلِّفه ضمّنه أسماء ومعلومات لشعراء لم يوجد لهم ذكْر إلاّ في اليتيمة مما يُعْرف (بشُعراء اليتيمة).

الأسس التي اعتمد عليها الثعالبي في تراجمه : –

المتتبع لتراجم الثعالبي يجده إلتزم بالأسس التالية :

أولاً :– الفترة الزمانية : – نلاحظ أنّ الثعالبي ترجم لشعراء القرن الرابع وصدر الخامس الهجري دون غيرهم (عصر المؤلِّف نفسه) .

ثانياً :– البقعة المكانية :– حيث جمع شعراء كل بيئة في قسمٍ واحد ،أو جمع بيئات متقاربة ،أو متشابهه في قسمٍ واحد .

مميزات تراجمه : –

أولاً :– تراوح تراجمه ما بين الإيجاز والإطناب :–

الإيجاز من المميزات التي إلتزم بها الثعالبي في أغلب تراجمه ، فنلاحظ إنّه لم يبسط القول في بعض أخبار من يحدثنا عنه ، فيجيئُ حديثه مقتضباً حتى يصل في بعض الأحيان للإطراء ويكتفي في ذلك بذكر الشاعر أو الكاتب ويثبت مايريد له من شعروذلك هو الغالب في تراجمه،

[1] الثعالبي : اليتيمة – مقدمة المحقق ، ص٢٢ .

وفي بعض الأحيان يبسط القول حتى تصل تراجمه عِدة صفحات كما فعل مع المتنبئ وغيره من المشاهير كأبي فراس الحمداني ، والصاحب وأبي بكر الخوارزمي .

ويلاحظ الباحث أنّ الثعالبي إذا تحدّث عن المشاهير من الشعراء والكتّاب أطال ، وذلك إمّا لشهرة الشاعر أو الكاتب ومكانته العامة (كالحكّام) ، أو مكانته الخاصة عنده وعلاقته به (كالمكيالي) ، أو كثرة الأقاويل فيه والآراء حوله (كالمتنبئ وأبي فراس الحمداني) وغيرهما ، أو إعجابه الشديد بفنّه (كابن العميد ، والصاحب بن عبّاد ، والخوارزمي) وغيرهم ، ففي مثل هؤلاء يطيل في ذكرهم وهذا ما أشار إليه الدكتور زكي مبارك بقوله : – (... ، والثعالبي في اليتيمة يُؤثر السجع ، ولا يتركه إلاّ في أحوال قليلة ، وفي بعض الأحيان يطيل في ترجمة الشعراء والكُتّاب ولا يفعل ذلك إلاّ حين يعْرِض لمن كثُر خُصومهم وأنصارهم وتشعّبت فيهم الأقاويل ، كالمتنبئ والصاحب وأبي فراس الحمداني . وفيما عدا ذلك يُلمّ إلماماً خفيفاً قد يصل به إلى ترجمة كاتب أو شاعر في نصف صفحة ، وذلك جانب من الضّعف في هذا الكتاب النّفيس) [1].

ثانياً :– شمول تراجمه :–

حيث أنّه ترجم لجميع أهل عصره من شعراء وكتّاب وأمراء ، لكنه اشترط لمن يترجم له أنْ يقرض الشعر بجانب مهنته الأساسية ، ويمكن تصنيف من ترجم لهم الثعالبي كالآتي :–

أولاً :– الشعراء :– ويقصد بهم الباحث أولئك الذين أمتهنوا الشعر واشتهروا به بين النّاس فاطْلِق عليهم لقب شعراء كالمتنبئ والسرّي الرّفاء وابن سكّرة الهاشمي ومهيار وغيرهم من شعراء اليتيمة .

ثانياً :– شعراء كُتّاب :– وهؤلاء بجانب قرض الشعر يمتهنون الكتابة ، بل إنّ الشعر لم يكن مهنتهم الأساسية كابن عبدربه والببغاء .

[1] د. زكي مبارك :النّثر الفني في القرن الرابع – مرجع .

ثالثاً :- شعراء حُكّام :- كالوزراء والأمراء مثل سيف الدولة ، المهلّبي الوزير ، والخوارزمي وغيرهم .

رابعاً :- كُتّاب :- كابن العميد وابن الفيّاض وأحمد بن يوسف وغيرهم .

لذلك نجد عدد من ذكرهم الثعالبي في اليتيمة بلغ عددهم أربعمائة وتسعون شخصاً تفاصيلهم على النحو التالي:-

الجزء الأوّل :- ذكر فيه مائة شخص وثمان شخصيّات

الجزء الثاني :- ذكر فيه مائة وثلاثاً وعشرين شخصيّة

الجزء الثالث :- ذكر فيه مائة شخصية و سبع شخصيّات

الجزء الرابع :- ذكر فيه مائة واثنتين وخمسين شخصيّة

وبذلك يختلف الكتاب عن بعض التراجم في تناوله للشخصيّات ،إذْ أنّ بعضها تتناول فئة محددة بالذكر و الترجمة مثل (مراتب النحويين) لأبي الطيّب اللُّغوي ، أو (طبقات النحاة واللُّغويين) لأبي بكر الزبيدي ، وغيرها من التراجم التي تحدد صفات أعلامها إمّا شعراء فقط أو كُتّاب أو لُغويون أوغير ذلك ، ولم يفعل الثعالبي مثلما فعل هؤلاء بل ذكر كل عَلَم من أعلام عصره.

وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد زغلول سلاّم بقوله :- (ولا يقف الشعراء الذين أختارهم – أي الثعالبي – على درجة واحدة من الجودة ، كما أنّهم ليسوا ممن كان الشعر

صنْعتهم وحده ، بل إنّ بعضهم كان من علماء اللُّغة ، أو من الكُتّاب ، أو ممن جمع بين الشعر والكتابة كابن شهيد الأندلسي والصابئ و الخوارزمي) [1] .

ثالثاً :- أُسلوبه :-

يلاحظ الباحث أنّ أسلوب الثعالبي في تراجمه يغلب عليه السجع الذي يكاد يلتزمه في حديثه خاصة عن المشاهير من الشعراء والكُتّاب من ذلك حديثه عن سيف الدولة إذْ قال :- (كان بنو حمدان ملوكاً وأُمراء أوجُهُهم للصباحة ، وألْسِنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيفُ الدولة مشْهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، وكان – رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنّة مأواه – غُرّة الزمان وعماد الإسلام ، ومن به سِداد الثغور ، وسِداد الأمور ، وكانت وقائعه في عُصاة العرب تكف بأْسها وتنزع لباسها وتفل أنيابها ، وتذل صِعابها ، وتكفي الرعيّة سوء آدابها .وغزواته تدرك من طاغية الروم الثّأر ، وتحسم شرّهم المثار ، وتحسِّن في الإسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقِبْلة الآمال ، ومحطّ الرِّحال ، وموسم الأُداء وحلبة الشعراء)[2]

وهذا ماقرره الدكتور زكي مبارك بقوله :- (والثعالبي في اليتيمة يؤثر السجع ، ولا يتركه إلاّ في أحوال قليلة ، ولكن سجعه على كل حال مقبول) [3]. وقد يتخلّى عن السّجع أحياناً ويستخْدم ألقاباً فخمة فتتشابه ألفاظه أو تتكرر من شخصٍ لآخر ، ذلك تشابه قوله في ترجمة ابن العميد قوله :- (عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه ، وصدر وزرائهم ، وأوحد العصر

---

[1] د. محمد زغلول سلاّم : تأريخ النّقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري ، دار المعارف ، دون تحديد تاريخ ورقم الطبعة ، ص٤٥ .

[2] الثعالبي : يتيمة الدهر ج١ ص ٢٨

[3] د.زكي مبارك : النّثر الفني في القرن الرابع – مرجع سابق- ص٢٢٨

في الكتابه ، وجميع أدوات الرياسة ، آلات الوزارة)[1]. وقوله كذلك في ترجمة قابوس بن وشمكير :- (خاتم الملوك وغرّة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله له إلى عِزّة الملك بسطة العلم ، وإلى فضل الحكمة نفاذ الحكم) [2]. على العموم فإنّ الثعالبي ينتقي ألفاظه ويحكم أسلوبه في حديثه عن الشعراء والأدباء ، فنجده بجانب إستخدام السجع يسْتخدم صوراً بلاغية كالتشبيه والإستعارة والمبالغة والمترادفات من الألفاظ كحديثه عن المتنبئ والسرّي الرّفّاء وغيرهُما ، لذلك تميزأسلوبه بسماتٍ فنيّة عالية ، وهذا ما قال به الجادر :- (لقد جهَد الثعالبي لتكون تراجمه فنيّة رائعة ، ووُفِّق التوفيق كلّه) [3] .

رابعاً :- السمات المميزة لتراجم الثعالبي :- إنّه يذكر لمن يورده أحسن ما عنده من الإنتاج الأدبي وأغلب الشعر الذي يورده متداول معروف ، ويورده على شكل مقطوعات ، فهو بذلك يريد أنْ ينتقي من الأشعار أجودها ، وهذا ما أشار إليه الدكتور عمر فرّوخ بقوله :- (والثعالبي في كُتُبه في الشعر يورد الأشعار الجميلة الطريفة ، وقلّ أن حفل بصنيع ترجمة للشاعر ،إنّه في يتيمة الدّهر يفتتح كل فصل بعدد من الجُمَل الأنيقة التي يُطْري فيها الشاعر المختار في ذلك الفصل من غير أنْ يقول لنا شيئاً عن حياته ، ومن غير أنْ يذكر مولده أو وفاته أو حادثاً في حياته ، إلاّ في النّدِرِ الشاذ بعدئذٍ يورد من شعر ذلك الشاعر مقاطع وأبياتاً وقصائد هي غُرر شعره . والواقع أنّ الثعالبي يختار للشعراء في كُتُبه أحسن أشْعارهم) [4] .

---

[1] الثعالبي : يتيمة الدّهر ج٣ ، ص١٤٧.

[2] المرجع السابق نفسه ج٣ ، ص٤٤٢

[3] الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً – مرجع سابق – ص ٤١٦

[4] د. عمر فرّوخ : تأريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس إلى الفتح العثماني ، ستّةأجزاء ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٩٧م ، ج٣ ص١٠٠

رابعاً :– المقارنة :

اعتمد الثعالبي في تراجمه على عقد مقارنة بين من يذكرهم ، مستمداً ذلك من تشابه الخصائص الفنية أوصفات أو أساليب من تلك قوله في ترجمة أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرّقعْمَق :– (هو بالشام كابن حجاج بالعراق)[1] .

وكذلك حديثه عن ابن سُكّرة الهاشمي :– (إنّ زماناً جاد بابن سُكّرة وابن الحجاج لسخي جداً . وما أشبههما إلاّ بجرير والفرزدق في عصريهما)[2].

ومن مقارناته كذلك قوله عن أبي محمد طاهر بن الحسين المخزومي :– (يعدل من أهل العراق بابن نُباتة وابن بابك ومن أهل الجبل بالرستُمي) [3].

ويلاحظ الباحث أنّ الثعالبي يعقد مقارناته على من يذكرهم بناءً على سمات مشتركة كمقارنته ابن سُكّرة بابن الحجاج لأنّ كليهما فاحش ماجن سخيف اللسان ، وكذلك مقارنته أبي الحسين المغربي بابن المعتز لأن كليهما وزير ، وهذا ماقال به الدكتور محمد زغلول سلاّم بقوله :– (ولا يكتفي – يعني الثعالبي – بالتأريخ للشاعر ، والإختيار من بديع شعره ، بل يعمد إلى الموازنة بينه وبين غيره من الشعراء المعاصرين أو السابقين في فنٍّ من فنون الشعر الذي برع فيه ، أو حاول أنْ يتأثّر بسابق فيه) [4].

أوجه المقارنة عنده :–

من أوجه المقارنه التي أوردها الثعالبي في اليتيمة :–

أولاً :– التشابه في طريقة النظم والغرض الشعري :–

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، ج١ ،ص ٢٩١

[2] المرجع السابق نفسه ج٣ ،ص٥ .

[3] المرجع السابق ، ج ٢، ص ١٣٠

[4] محمد زغلول سلاّم : تأريخ النّقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري – مرجع سابق– ص ٤٤

حيث نجده يعقد مقارنه في تراجمه لمن تشابهت طرائق نظمهم وأغراضهم من ذلك حديثه عن أبي فراس الحمداني:- (وشعره مشهور سائر بين الحُسْن والجودة ، والسهولة والجزالة والعُذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ومعه رواء الطّبع وسمة الظُّرْف وعزّة الملك . ولم تجتمع هذة الخِلال قبْله إلاّ في شعر عبدالله بن المعتز)[1] .

ومن ذلك أيضاً قوله عن أبي الحسين المغربي الوزير :- (أنّه كان يجري في طريق ابن المعتز نظماً ونثراً)[2] .

ثانياً :- من أوجه المقارنة عنده أنْ يكون الشاعر مشهوراً على الإطلاق معروفاً عند العامة والخاصة كقوله عن ابن درّاج الاندلسي المعروف بالقسطلي :- (كان بصقع الأندلُس كالمتنبئ بصقع الشام)[3] .

ثالثاً: :- مقارنة الشاعر بقبيلته أوعشيرته أو أسرته من حيث جودة الشعر ، ومن ذلك قوله عن الشريف الرضي :- (...ثم هو أشعر الطالبيين ، مَن مضى منهم و مَن غبر ، على كثرة شعرائهم المفْلقين ، كالجماني ،و ابن طباطبا ، وابن الناصر ، وغيرهم ... ولو قلت إنّه أشعر قريش لم أبعُد عن الصدق)[4].

رابعاً :- أن يتشابه من يذكره مع غيره في أكثر من مهنة كحديثه عن أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الرقاشي :- (وكان ككشاجم كاتباً شاعراً منجماً)[5].

وقوله كذلك عن أبي سليمان الخطابي :- (كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلاّم في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً ،إلاّ أنّه كان يقول شعراً حسناً وكان أبوعبيد مفحماً)[6].

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، ج١ ، ص٤٤

[2] المرجع السابق ، ج٣ ،ص١٢٠

[3] المرجع السابق نفسه ج٢ ص ١٠١

[4] المرجع السابق ، ج٣ ، ص١٢٦

[5] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص١٧٦

[6] المرجع السابق ج٤ ، ص٢٥٢

هكذا جاءت مقارناته لأغراضٍ أدبية بحته مما يدل على أنّ الثعالبي كان يهتم بالإنتاج الأدبي ومدى جودته حتى في تراجمه للشعراء والكُتّاب ، وهذا يعكس لنا إهتمامة بالإنتاج الأدبي ، ذلك لأنّه أراد انْ يكون كتابه في الأدب وليس في التراجم أو في تأريخ الأدب .

خامساً :- تناول الشعراء والكتّاب حسب بيئتهم الجغرافيّة (أقاليمهم) :-

يُلاحَظ في تراجم اليتيمة أنّ مؤلِّفها أورد من تناولهم بالذكر حسب الأقاليم الجغرافية التي كانت تتكوّن منها الدولة الإسلامية في تلك الفترة، فنجده خصّص القسم الأوّل لشعراء الشام وكُتّابها وأُمرائها و أضاف إليها ما يجاورها ويشابهها من بيئات ، وخصّص القسم الثاني من كتابه لدولة بني بويه شعرائها وكتّابها و قُضاتها ، وخصص القسم الثالث لشُعراء الجبال وفارس وجرجان وطُبرستان ، وخصّص القسم الرابع لشعراء ما وراء النّهْر ، ووزّع كل قسم على عشرة فصول ، وهذا ما ذهب إليه الدكتور محمد زغلول سلّام بقوله :- (يتجه الثعالبي في يتيمة الدّهْر إلى التأريخ لشعراء عصره على مثال ابن المعتز في طبقات المحدثين ، وربما غيره ممن لم تصلنا كتبهم كدعْبل بن علي الخُزاعي ، ولكنّ الثعالبي يُؤرِّخ لأولئك الشُعراء على طريقة أُخْرى مخالفة لطريقة الطبقات ، إذْ يجمع كل جماعة من الشُّعراء يضمّهم إقليم واحد ، أو بلد واحد معاً ، وربما سلكهم في بلاطٍ واحد ، وإنْ اختلفتْ نِسبهم .ومثاله مافعل بشعراء الشام مثلاً ، أو مصر من حيث الأقاليم ، وفي شعراء دولة بني حمدان في حلب ، وبني بويه في بغداد وأصْبهان)[1] .

وهذا ما ذهب إليه الدّكتور مفيد محمد قميحة أحد محققي اليتيمة في حديثه عن الثعالبي بقوله : - (أمّا كتابه يتيمة الدّهْر الذي قمنا وضبط نصوصه قدْر الإمكان فإنّه أكثر مؤلفاته شُهْرة وتداولاً ، كونه يقدِّم فيه ترجمة وافية لكثيرٍ من الشعراء المعاصرين له أو السابقين لزمنه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كُتُب الطبقات ، لأنّه يجمع فيه كل جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم في عداده ، ومثال ذلك ما بشعراء الشام ،

---

[1] د. محمد زغلول سلّام : تأريخ النّقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري ــ مرجع سابق ــ ص٤١

وشعراء مصر من حيث الأقاليم ، وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب ، وبني بويه في بغداد ، وأصبهان)[1] .

الفصل الثالث

القيمة النقديّة ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأوّل :– المنهج النقدي الذي أختاره الثعالبي في كتابه

المبحث الثاني :– الأسس النقديّة عند الثعالبي لإختيار الشعر والنّثر

المبحث الثالث :– القضايا النقديّة التي تناولها الثعالبي في كتابه

المبحث الرابع :– دراسة الثعالبي حول الفصل الخاص بالمتنبئ

[1] اليتيمة – مقدمة المحقق ، ص ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج النقدي قبل الثعالبي

بالنظر إلى طبيعة النقد الأدبي قبل الثعالبي نلاحظ انّه مَرّ بمرحلتين هما :

أولاً : مرحلة ما قبل التدوين :

وتشمل هذه المرحلة النقد في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وأواخر العهد الأموي .

والطابع العام للنقد في هذه المرحلة بسيطاً فطرياً قائماً على الملاحظات الجزئية المعتمدة في أغلبها على ذوق الناقد أو الجمهور ، وتلك الملاحظات تتعلق بالشاعر أو الكلمة أو البيت الشعري دون النظر إلى مؤثرات أخرى تتعلق بالبيئة أو غير ذلك ، وهذه الأحكام النقدية تتصف بالعموم وتفتقر للتعليل في سائر أحوالها ، ومن تلك الأحكام الألقاب التي كانت تطلق على الشعراء أو نعوت تنعت بها القصائد أو الأبيات "كالمرقِّش والمهلهل" للشعراء ، "والمعلقات ، وسمط الدهر" للقصائد والأبيات .

وبجانب تلك الملاحظات كانت هناك أحكاماً للجاهليين شبه مُعلّلة ومُفصّلة كقولهم : كفاك من الشعراء أربعة : زهير إذا رغب ، والنابغة إذا رَهب ، والأعشى إذا طَرب ، وامرئ القيس إذا رَكب.

فمثل هذه الأحكام تتناول صنعة الشاعر وإجادته في غرض من الأغراض أو موضوع من الموضوعات ، فزهير بن أبي سلمى أجود ما يكون إذا مدح عن رغبة لا رّهبة ، والنابغة الذبياني يجود بالشعر إذا رَهب بطش الملوك ، والأعشى يحسن القول إذا طَرب بشُرب الخمر وسماع الغناء ، وعنترة إنما يجود في المعارك وصراع الأبطال.

ومن صور النقد الجاهلي القائم على البساطة والشمول في أحكامه ما أورده المرزُباني من شعر النابغة الذبياني عندما قَدِم المدينة وإنشاده بعض الأبيات التي عِيب عليه في بعض كلماتها ومن ذلك قول المرزباني :

(حدثني إبراهيم بن شهاب ، قال حدثنا الفضل بن الحُبَاب عن محمد بن سلاَم قال : لم يُقْو أحدٌ من الطبقة الأولى ولا من أشباههم إلاّ النابغة في بيتين : قوله :

أمِنْ آلِ مَيّة رائحٌ أو مغتدِي عَجْلانَ ذَا زادٍ وغيرَ مُزوّدِ

زعمَ البوارح أنّ رِحلتنا غداً وبذاك خَبّرنا الغُرابُ الأسودُ[1])

فقِدم المدينة ، فِعيب ذلك عليه ، فلم يأْبه له حتى اسمعوه إياه في غِناء – وأهل القرى ألْطف نظراً من أهل البَدْو ، وكانوا يكتبون بجوارهم – فقالوا للجارية : إذا صِرتِ إلى القافية فرتّلي . فلما قالت "الغرابُ الأسودُ" ، عَلِم فانتبه فلم يَعُد فيه ، وقال : قدمتُ الحجاز وفي شعري ضِعة ، ورحلتُ عنها وأنا أشعر الناس"[2].

ومن ذلك أيضاً نقد النابغة الذبياني لحسان بن ثابت الأنصاري يقول المرزباني : (كتب إليّ أحمد بن عبد العزيز ، أخبرنا عمر بن شَبّة ، قال حدثنا عبد الملك بن قريّب ، قال : كان النابغة الذبياني تُضْرب له قُبَة حمراء من أدِم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. قال : فأوّل من أنشده الأعشى : ميمون بن قيس أبو بصير ، ثم أنشده حسّان بن ثابت الأنصاري :

---

[1]- النابغة الذبياني : زياد بن معاوية ، ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : عبّاس عبدالساتر ، دار الكتب العلميّة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص١٠٥ .

[2] المرزباني : أبو عبيد الله محمد عمران بن موسى المرزباني ، الموشح في مأخذ العلماء عن الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، تحقيق على محمد البجاوي ، نهضة مصر ١٩٣٨م ، ص ٣٨.

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمِعْن بالضُحَى وأَسْيافُنا يَقْطُرْن من نجدةٍ دَمَا

ولِدنا بني العنْقاءَ وابني محّرق فاكْرِم بنا خالاً وأكْرِم بِنا ابنْما[1]

فقال له النابغة : أنت شاعر ، ولكنّك أَقللت جِفَانك وأسيافك ، وفخِرت بمن ولدتَ ، ولم تفخر بمن ولدك"[2].

ومن صور أحكام الجاهليين أيضاً ، ما أورده المرزباني عن شعر مهلهل بن ربيعة قوله : (إنّما سُمّي مهلهلاً لهلهلة في شعره ، كهلهلة الثوب وهو اضطرابه واختلافه ،...، وزعمت العرب أنّه كان يدّعى في شعره ، ويتكثر في قوله أكثر من فعله)[3].

هكذا كانت طبيعة النقد في الجاهلية عبارة عن ملاحظات على الشعر والشعراء قوامها "الذوق الطبيعي الساذج"[4] ، وكان النقد في موضوعه يتناول "اللفظ ، والمعنى" الجزئي والمفرد" ، ويعتمد على الانفعال والتأثر دون أن تكون هناك قواعد مدّونة يرجع إليها النُقّاد في شرح أو تعليل ، وينتهي إلى بيان قيمة الشعر ومكانة الشاعر بين أصحابه"[5].

هذا عن النقد الجاهلي أما صدر الإسلام والعهد الأُمَوِي فهو إمتداداً للعصر الجاهلي فظلّ النّقد فيه فطرياً يقوم على نفس الأسس السابقة شأنه كما قال الدكتور الجويني : " لا يعدو مأخذ وملحوظات يُفْطن إليها"[6].

واستمر كذلك إلى أواخر القرن الأوّل الهجري حتى مرحلة التدوين.

---

[1] - ديوان حسّان بن ثابت ، تحقيق : د. وليد عرفات ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧١م ، ص٣٥

[2] المزرباني : الموشح ، ص ٦٩.

٣ المرجع السابق نفسه ، ص ٨٩.

٤ أحمد الشائب ، أصول النقد الأدبي ، ط١١ ، ٢٠١١م ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ١٠٩.

٥ المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٩.

[6] د. مصطفى الصافي الجويني ، الوان من التذوق الادبي ، منشاة المعارف – الإسكندرية (دون تاريخ طبعة) ، ص ٦٧.

ثانياً : مرحلة التدوين :

في هذه المرحلة بدأ التأليف والتدوين في النقد وغير النقد ، وأول من أقدم على التأليف "في النقد : " محمد بن سلاّم الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ هـ ، في كتابه "طبقات فحول الشعراء" ، ثم أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب المتوفى ٢٩١هـ. في كتابه "قواعد الشعر" ، وقدامة بن جعفر المتوفى ٣١٠هـ في كتابه "نقد الشعر" ، ثم ابن طباطبا العلوي المتوفى ٣٢٢هـ في كتابه "عيار الشعر" ، ثم الحسين بن بشر الآمدِي المتوفى ٣٧٠هـ صاحب كتاب "الوساطة بين أبي تّمام والبحتري"[١].

والنقد في هذه المرحلة أصبح نقداً يقوم على أصول فنيّة كما قال بذلك الدكتور صلاح جرار إذْ أورد قائلاً :(ولما نشِطت حركة التدوين : تدوين اللغة والنحو ، نجد النقد يتأثر بذلك تأثراً واضحاً ، فنجد نقداً يقوم على أصول فنية نحوية ولغوية وعروضية . فأخذ النقاد يبحثون عن اللحن والتحريف والفساد اللُغوي في النصوص الأدبيَّة وأخذوا ينقدون الشعر لا من حيث عذوبته أو رقته أو جماله الفني بل من حيث مخالفته للأصول التي هداهم استقراؤهم إليها في إعراب أو قافية ، فاظهروا بعض ما وقع فيه الإسلاميون من ذلك ، ...، ولهذا السبب عنى اللغويون كثيراً بتدوين الشعر ، كما فعل أبو عمرو بن العلاء والمفضل العضّبي والأصمعي وأبو عمرو الشيباني ، وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري وابن الإعرابي وحماد الراوية وخلف الأحمر . وبظهور هذا التدوين تظهر أشكال جديدة للنقد تسير جنباً إلى جنب مع الأشكال القديمة وتقوم هذه الأشكال الجديدة على وضع معايير للحكم على الشعر والشعراء بعضها نظري يتمثل في بعض الآراء النقدية المتناثرة هُنا وهُناك ، وبعضها تطبيقي ضمني يتمثّل في الأسس النقدية غير المعُلْنة في بعض كُتب الاختيارات"[٢].

---

[١] الموشح ، مقدمة المحقق ، ص٥ .

[٢] صلاح جرار : مناهج النقد الادبي عند العرب ، نشر الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، ط٢ ، ٢٠١٠م ، ص ١٤٢-١٤٣.

المبحث الأول

المنهج النّقدِي الذي أختاره الثعالبي في كتابه (اليتيمة)

أقام الثعالبي منهجه النقدي في اليتيمة تبعاً لمؤثرات بيئية (زمانية ومكانية) ، ومؤثرات أُخرى إجتماعية (خاصة ، ومذهبية) .

أولاً:– البيئة الزمانية :–

يُعدّ الزمان أحد المؤثرات في الشعر التي أدركها النقاد ، فللزمان أثره على الشعر من حيث أسلوبه ومعانيه وأغراضه ، حيث ينفر الناس من الألفاظ الغريبة ، ويميلون إلى التخفيف تبعاً للتطور ، والمعاني تتسع دائرتها بمرور الوقت لكثرة ما يقع تحت حس الشاعر ، أمّا الأغراض فيصف الشعراء ما يرونه حتى لا يقعوا في التكلُّف والخطأ .

والثعالبي في اليتيمة اعتمد على الشعر والنثر العصريين ، فخصّ كتابه بالإختيار من إنتاج شعراء القرن الرابع وصدر الخامس الهجري وهو عصر المؤلِّف نفسه ، فنظر لإنتاج تلك الفترة (شعره ونثره) – وإنْ كان مُقِلاً في النثر — من ناحية ملائمته لروح العصر ، وخلُص إلى أنّ قرب زمان الشاعرأو الكاتب أدعى إلى كون إنتاجه الأدبي أقرب إلى القلب ، فاصطلح على ذلك (أشعار العصريين) ، وأختار ذلك عنواناً لكتابه (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) .

والثعالبي يشير إلى أثر الزمان في مقدمة كتابه إذْ يقول :– (كانت أشعار الإسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين ، و أشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين و أشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين لإنتهائها إلى أبعد غايات الحُسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظُرْف

، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ... الخ)[1] . فالثعالبي بذلك يقر بأنّ الزمن كلما تقدّم أثّر في ألفاظ ومضمون الشعر ، وهذا التغيير يلائم ذوق العصر .

وتأثُّر الشعر بتطور الزمن تنبه إليها النُّقاد قبل الثعالبي حيث دونوا ملاحظاتهم ، ومن أولئك القاضي الجرجاني الذي أورد قائلاً :- (كانت العرب ومن تبعها من السّلف تجري على عادة في تفخيم اللفظ وجمال المنطق ، لم تألف غيره ، ولاأنسها سواه ، وكان الشعر أحد أقسام منطقها ، ومن حقه أنْ يختص بفضل التهذيب ويفرد بزيادة عناية ، فإذا إجتمعت تلك العادة والطبيعة ، وانضاف إليها التعمُّل والصنعة خرج كما تراه فخماً جَزِلاً ، قوياً متيناً . فلما ضرب الإسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثُرت الحواضر ، ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدُّب والتظرّف واختار النّاس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيئ ذا أسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمْعاً ، وألطفها من القلب موقعاً ، وما للعرب فيه لغات ، فأقتصروا على أسلسها وأشرفها ،...، وتجاوزوا الحد في طلب التسهيل ، حتى تسمحوا ببعض اللحن وحتى خالطتهم الركاكة والعُجْمة ، وأعانهم على ذلك لين الحضارة ، ... ، وكسوا معانيهم ألطف ما سخّ من الألفاظ ، فصارت إذا قِيست بذلك الكلام الأوّل يتبيّن فيها اللين ، فيُظنُّ ضعفاً ، فإذا أُفْرِد عاد ذلك اللين صفاءً ورونقاً ، وصار ماتخيلته ضعفاً ، رشاقةً ولُطْفاً ، فإذا رام أحدهم الإغراب و الإقتداء بمن مضى مِن القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلاّ بأشدّ تكلُّف وأتمّ تصنُّع)[2] .

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، مقدمة المؤلف ص١٩ .

[2] القاضي الجرجاني :الوساطة بين المتنبئ وخصومه ، ت : ابو الفضل إبراهيم ، مطبعة الحلبي مصر ١٩٦٦م ، ص ٢٣

وذهب ابن رشيق هذا المذهب أيضاً حين نقل نصّاً لأحد النُّقاد قال فيه :- (قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، ويحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ، ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه ...الخ)[1] .

وبذلك يقرر القدماء كالجرجاني والقيرواني وغيرهما ، ما للزمن وتطوره من أثر في الشعر من ناحية ألفاظه ومعانيه وأغراضه ، وذلك لأنّ الشعر صورة للحياة التي يعيشها النّاس ، فدرس الثعالبي تلك الملاحظات النقديّة ، فاختار الشعر العصري ، وجعل كتابه ميداناً تطبيقياً لتلك الملاحظات النقدية ، وذلك بناءً على التطور الذي لحق ألفاظ الشعر ، بجانب إتساع معانيه وتعدد أغراضه ، ومن هنا جاءت القيمة النقدية للكتاب لأنّه دراسة تطبيقية لآراء وملاحظات علماء نقد سابقين لعصره ، بأنّ الزمان وتطوره ركناً أساسياً من الأركان المؤثرة في حياة الأدب .

ثانياً :- البيئة المكانية :-

لقد حسب الثعالبي للبيئة المكانية حسابها مثلما فعل في البيئة الزمانية ، تعرّض كذلك للبيئة المكانية تلك البيئة التي يقطنها الشاعر أو الكاتب ، وطبعت حياته بطابع خاص ميّز إنتاجه الأدبي عن إنتاج غيره من الشعراء في البيئات الأخرى ، لذلك جاء تقسيمه الشعر إلى بيئات حسب المكان ، وهذا التقسيم لا يخلو من دلالة نقديّة ، أو قطعاً مبنياً على دلالة نقديّة .

[1] ابن رشيق القيرواني : العمدة في صناعة الشعر ونقده ،ت: محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة – مصر ١٩٥٥م ، ج١ ، ص٥٨ .

وإذا تتبعنا دراسة الثعالبي للبيئة نجده يهتم بالبيئة التي نشأ فيها الأديب وأثّرت في حياته وانعكس هذا الأثر على إنتاجه الأدبي، ومن ذلك دراسته لشعراء من الكوفة وبغداد وغيرها ضمن شعراء الشام والعكس .

ويلاحظ الباحث أنّ الثعالبي أفرد لكل بيئة قسماً خاصاً في كتابه لما لاحظه من تباين الشعر في بيئآته من حيث الكثرة والقلة والجوده والرداءة وغير ذلك من أنواع التباين الذي تحدثه البيئة ، من ذلك أفرد فصلاً عن شعراء الشام عدّد فيه فضّلهم على شعراء سائر البيئآت واتبع هذا المنهج في كتابه ، فقال : فصلٌ في :- (فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان) ، وعلّل لهذا التفضيل بتعليل له علاقة بالبيئة ، فيرى أن بيئة الشام قريبة من الحجاز وأهلها أقرب لخطط العرب في شؤون الشعر من غيرهم حيث قال :- (لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية و الإسلام ،...، والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيّما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنه أهل العراق لمجاورة النّبط والفرس ، ومداخلتهم إيّاهم) [1]، فالثعالبي يقر بأنّ البيئة المكانية تؤثّر حتى في طِباع أهلها ، ومن ذلك حديثه عن أصبهان قوله :- (لم تزل أصبهان مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء وفحولة الكُتّاب والشعراء ،...، حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل وأفراد الدّهر ، وساعدتني على ما أقدره من حُسْن آثارها وطِيب هوائها ، وصحة تربتها وعذوبة مائها في طِباع أهلها وعقول أنشائها)[2].

[1] الثعالبي : يتيمة الدّهر ج١ ، ص٢٥ .

[2] المرجع السابق ، ج٣ ، ص٢٧٢

فالثعالبي هنا يقر بأثر المناخ والتضاريس على الإنتاج الأدبي مما يوحي بأنّ تقسيمه الشعر إلى بيئآت مثل بيئة العراق وفارس ، وجرجان ، وطبرستان ، كل ذلك له دلالة نقدية مفادها أنّ هناك ميزات في بيئة لم تكن موجودة في بيئة أُخْرى .

وأثر البيئة المكانية على الشعر مقياس تنبّه إليه النُّقاد قبل الثعالبي حيث أدركوا أنّ لهذه البيئة أثرها في الصلابة حيناً وفي الرقة حيناً آخر ، وفي جزالة الألفاظ وسهولة القول والمعاني والتشبيهات التي يأتي بها الشاعر .

وفي تفضيل الثعالبي لشعراء الشام بناءً على البيئة رؤية نقدية أشار إليها الجاحظ قبل الثعالبي حين رأى أنّ العرب أشعر من سواهم فقال :- (والقضيّة التي لا أحتشم منها ، ولا أخاف الخصومة فيها : أنّ عامة العرب والأعراب والبدْوِ والحضر من سائر العرب ، أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى والمولدة والنّابته)[1] .

فالجاحظ بذلك يقر بأنّ العرب أجود شعراً من المولدين ، فأقرّ الثعالبي ذلك الحكم وجعله مقياساّ نقدياً بنى تقسيم كتابه عليه ، لأنّه رأى أنّ أهل العراق ثأثروا بالفرس مما أدى إلى فساد ألسنتهم ،خلافاً لبيئة الشام التي سكانها عرب وحكامها كذلك عرب يميلون للطِباع والعادات والتقاليد العربيّة.

وممن تنبّه من القدماء إلى أثر المكان على الشعر القاضي الجرجاني في حديثه عن بيئة البادية وأثرها في صلابة الشعر ، وجزالة الألفاظ وكزازتها حين قال :- (ومن شأن البداوة أنْ تحدث بعض ذلك ، ولأجله قال النبي صلى الله عليه وسلّم :(من بدا جفا) . و لذلك تجد شعر عُدي

[1] الجاحظ : أبو عثمان عمروبن بحر الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي — بيروت ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م ، الطبعة الثالثة ، ج٣ ، ص١٣٠ .

وهو جاهلي أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤْبة ، وهُما آهلان ، لملازمة عُدي الحاضرة ، وإيطانه الريف ، وبعدة عن جلافة البدو ، وجفاء الأعراب)[1] ، فالقاضي الجرجاني هنا يقر بأنّ بيئة عُدي أثرت على طبعه وأسلوبه .

وكذلك ابن سلاّم الذي أشار إلى أنّ جودة الشعر وتقبّله تختلف بإختلاف الإقليم أوالمِصْر ويرجع ذلك إلى أسباب تتصل بالذوق الذي يجعل شعر شاعرٍ ما مسْتحسناً مستجاداً عند أهل إقليم أو مِصْر دون الآخر ، إذْ لكل شاعر جمهور فيقول (ابن سلام) :- (أخبرني يونس بن حبيب : أنّ علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر ، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنّابغة)[2] .

فابن سلاّم لاحظ أثر المكان حتى على الذوق في تفضيل شاعر على الآخر ، وذهب المرزباني مذهب الجاحظ والجرجاني وابن سلاّم في أثر المكان حيث قال :- (أنّ محمد بن أبي العتاهية ، قال : أنشدني أبي أبا العتاهية شعراً من شعري ، فقال لي : (اخرج إلى الشام) فقلت : لِمَ ، فقال لأنّك لست من شعراء العراق ، أنت ثقيل الظل ، مظلم الهواء ، جامد النسيم)[3].

فالقدماء أشاروا إلى أنّ شعراء الشام أجود شعراً من غيرهم ، وربما قد درس الثعالبي تلك الملاحظات والآراء التي أدلى بها القدماء عن أثر المكان على الشعر من حيث كثرته وجودته ،

وذهب أحمد أمين هذا المذهب فقال :- (فكأنّ الشعر في عهده الأول لم يشأ أنْ ينمو ويزدهر إلاّ في أرضه ومنبته ، فإذا خرج الشاعر من أرضه اعتقل لسانه ، أو يكاد ، فنما في جزيرة

---

[1] القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبئ وخصومه – مرجع سابق – ص٢٣ .

[2] ابن سلاّم : محمد بن سلاّم الجمحي ، طبقات فحول الشعراء – مرجع سابق- ص٥٢ .

[3] المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء ، جمعية نشر الكتب العلمية ، ١٣٤٣ هـ ، ص ٣٧٥

العرب لأنّها مهدّه ، ونما في الشام والعراق لأنّهما على هامش أرضه ، ومن قديم كانت صحراء الشام والعراق مبعثاً لشعره فلم يجدّ فيهما جديداً ، ولكن إذا سكن العربي مدينة تخالف طبيعة أرضه كمصر والمغرب وخراسان لم يتغنّ بشعره إلاّ قليلاً ، وهي ظاهرة غريبة حقاً تحتاج إلى درس وإمعان نظر) [1].

فأحمد أمين كأنّه يقر هُنا بتعليل الثعالبي لتفضيل شعراء الشام على من سواهم لكونهم لم يخالطوا الأعاجم ، وأنّ الشاعر إذا خرج عن أرضه وبيئته لم يتغن بشعره إلاّ قليلاً .

ومما تقدّم نلاحظ أنّ النقاد قد تنبّهوا لأثر المكان على الإنتاج الأدبي عموماً والشعر بصفةٍ خاصّة ، فتنبّه الثعالبي لتلك الملاحظات والآراء وجعل كتابه (اليتيمة) ميداناً تطبيقياً لتلك الملاحظات ، فيرى الباحث أنّ تقسيم الثعالبي للشعراء حسب البيئة المكانية رؤية نقديّة أساسها المكان وأثره على الشعرمستمداً تلك الرؤية من الأسس التي وضعها السابقين له ، وهذا ما أشار إليه الدكتور شكري فيصل مع ترجيحه أنّ تقسيم الثعالبي الشعر إلى بيئآت فيه الرؤية النقدية أكثر من القسمة السياسيّة فقال :- (... ، كان الثعالبي جناح آخر من هذا العالم ، يصنِّف (كتابه يتيمة الدّهر) ويقيم هذا الكتاب على ترتيب الشعراء ، ترتيباً يتفق مع هذه الأقاليم التي تقلّبوا فيها والبلاد التي أستوطنوها ،...، وقد كان يسع الثعالبي أن يصنِّف هؤلاء المبدعين تبعاً للإجادة ، أو تبعاً للشهرة ، أوتبعاً لسنتي الوفاة والولادة ، ولكنّه آثر أنْ يبتدع هذا التصنيف الذي يتمشّى مع الاقاليم ويوحّد بين البيئآت التي وجدوا فيها غِذَاءهم الرّوحي والمادّي ،...، وما أدري أكان صنيع الثعالبي إيماناً منه بأثر الإقليميّة في صنيع الأدب أمْ كان أثراً من آثار القسمة السياسية التي توزعت العالم الإسلامي ...، فهذه الأسباب التي فضّل بها شعراء الشام

[1] أحمد أمين ، النّقد الأدبي ، ص ٤١٩.

على شعراء سائر البلدان تجعل صنيعه أقرب إلى الإحساس بالإقليمية منه إلى القسمة السياسية)[١].

ويلاحظ الباحث أنّ الثعالبي في عرضه للشعراء يصنّفهم حسب البيئة التي يسكنها الشاعر وأثّرت في إنتاجه الأدبي وليست البيئة التي ولد فيها الشاعر أوالكاتب ، فهو يرى أنّ بيئة المنشأ أشدُّ أثراً من بيئة المولد ، وهذا مقياس بنى عليه النقاد أحكامهم ، ومن نماذج تناول الثعالبي للشعراء قوله عن أبي عبد الله الحسين بن خالويه :- (أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ...)[٢] .

وقوله كذلك عن المتنبئ :- (هو — وإنْ كان كوفي المولد- شامي المنشأ...)[٣] ، وكذلك قال عن أبي الفرج الببغاء :- (من أهل نصيبين ، نجم الآفاق وشمامة الشام والعراق...)[٤].

وقال كذلك عن أبي الفرج الأصبهاني :- (علي بن الحسين الأُموي الأصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ ، وكان من أعيان أدبائها وافراد مصنّفيها...)[٥] .

إنّ الثعالبي طبّق هذا المقياس النقدي (أثر المكان على الأدب) في كتابه اليتيمة فتناول شعراء أصولهم من العراق ودرسهم ضمن شعراء الشام بناءً على نشأتهم ، وفعل مثل ذلك مع بقيّة البيئآت ، كما هو شأننا اليوم في دراساتنا التي تتناول الإنتاج الأدبي حسب البيئة .

---

[١] الدكتور شكري فيصل : مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي ،عرض ونقد وإقتراح ، مكتبة الخانجي - بغداد ١٩٤٩م ، من ص١٦٨-١٧٠

[٢] الثعالبي : اليتيمة ، ج١ ، ص١٠٩ .

[٣] الثعالبي : اليتيمة ،ج١ ص١١٢

[٤] المرجع السابق ج١ ، ص٢٢٣ .

[٥] المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٠٦

ويرى الباحث أيضاً أنّ الثعالبي عندما فضّل شعراء الشام على غيرهم بجانب مراعاته لأثر المكان ، استند كذلك على حكم نقدي آخر جعله أساساً في كتابه ، وخاصة في الفصل الخاص بشعراء الشام وهو أنّ هذا التفضيل من أنّ لبعض القبائل سيادة فنيّة أهْلَهَا أن تكون مسموعة الكلمة في شؤون الشعر ، كماعُرِف ذلك عن قريش بخاصة والتي كانت لها السيادة في الحكم على الشعر ، ونجد ذلك في كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني الذي أورد نصّاً يدل على سيادة قريش ، إذْ ينقل أبو الفرج عن حمّاد الراوية قوله :-(كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه كان مقبولاً ، وما ردّوه كان مردوداً)[1] .

وبجانب ذلك هناك أحكامٌ تُنْسب للعرب عامة تكاد تكون تعطي صورة عن ما عن أحكام العرب عامة على شعر الشاعر الواحد أو الشعراء ، ومن ذلك ما ذكره المرزباني أنّ العرب زعمت أنّ (مهلهل بن ربيعة) كان يدّعي في شعره ،ويتكثّر فيه أكثر من شعره)[2].

ومن أحكام العرب عامة قضيّة (المعلّقات) وما دار حولها من روايات ، وغيرها من القضايا النّقدية التي كانت تصدر عن القبائل العربية .

وفي إشارة الثعالبي إلى أنّ عرب الشام أقرب إلى خطط العرب قديماً وحديثاً ، رؤية نقدية توحي بتنبيه إختياره وتفضيله شعراء الشام وما يقاربها على شعراء سائر البلدان منطلِق من (أنّ العرب جميعها كان لها رأيها في شؤون الشعر) ففي قوله :(ولا سيما أهل الحجاز)، فيه إشارةواضحة تؤكِد تنبيه الثعالبي إلى سيادة أهل الحجاز في تذوُّق الشعر وحكمهم عليه ن ومن هنا جاء تفضيل الثعالبي لشعراء الشام على غيرهم من شعراء سائر البلدان ، وكان تعليله مقبولاً بالشواهد التي قدّمها .

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني – مرجع سابق- ج١ ، ص٢٠١ .

[2] المرزباني : الموشّح – مرجع سابق- ص٩٤ .

والثعالبي بذلك استصحب أحكام النُّقاد على شعراء الحجاز وما جاورها بناءً على بيئتهم وطبّق تلك الاحكام عملياً على كتابه فأفرد لهم فصلاً خاصاً بهم ففضلهم على غيرهم من شعراء الامصار الإسلاميّة .

ثالثاً : البيئة الخاصّة :-

وبجانب أثر البيئة الطبيعية بشقيها (الزمان والمكان) على الشعر تنبّه الثعالبي إلى بيئة أُخْرى خاصة متمثّلة في بيئة الملوك والأمراء وأثرها على الإنتاج الأدبي ، فنجده أفرد باباً لسيف الدولة وجهوده في النهوض بالشعر ، وكذلك أبوفراس الحمداني ،وابن العميد ، وعبد الله بن المعتز ، فتعرّض لإنتاجهم الأدبي (شعره ونثره) من حيث الألفاظ والأغراض والمعاني والتشبيهات ، والنّقاد القدماء يقرّون بأثر البيئة الخاصة في الشعر لأنّ القصور المترفة يختلف شعرها في معانبه وأغراضه عن غيره من الأشعار ، من ذلك ما ذكره ابن رشيق ، ما قاله ابن الرومي لهذا الذي قال له : (لِمَ لا تشبّه كتشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه ، فقال : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده قوله في صفةِ الهلال :-

فانظر إليه كزورقٍ من فضّةٍ قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال : زدْني :-

كأنّ آذر يومها والشمس فيه كالية

مداهن من ذهبٍ فيها بقايا غالية

فقال :- إنّه يصف ماعون بيته ، وأنا أيّ شيءٍ أصِفْ ، ولكن استمع إليّ وأنا أقول :-

ما أنس لا أنس خبّازاً مررت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها في كفّه كرة وبين رؤيتها غوراء في النارتستعر

إلا بمقدار ما تنداح دائرة في لُجّةِ الماء يُلْقى فيه بالحجر[1])[2].

فابن رشيق من خلال نقله لهذا الحوار يقر بأثر البيئة الخاصةعلى الشعر ، وهذا ما تنبّه إليه الثعالبي أيضاً فأورد أبياتاً من شعر سيف الدولة في وصف قوس قزح قوله :-

وساقٍ صبيحٍ للصباح دعوته فقام وفي أجفانه سِنةِ الغِمض

يطوف بكاسات العقار كأنْجُمٍ فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضٍّ[3]

ومن ملاحظات الثعالبي لأثر بيئة الحكّام قوله كذلك عن شعر أبي فراس الحمداني قوله :- (وشعره مشهور سائر بين الحُسْن والجودة والسهولة والجزالة والفخامة ، ...، وسمة الظرف وعِزّة الملك ن ولم تجتمع هذه الخِلال قبله إلاّ في شعر ابن المعتز)[4].

وفي حديث الثعالبي عن الأمير أبي الفضل المكيالي دلالة واضحة على على ملاحظتة لأثر البيئة الخاصة (بيئة الملوك والامراء) ، التي لا تُتاح لعامة الشعراء من حيث الأثر في الإنتاج الأدبي ، لأنّ طبيعة حياتهم توفّر لهم معاني وألفاظ لم تكن متوفرة لغيرهم ، فنجده يقول عن أبي الفضل المكيالي : - (... فهو من ابن العميد عِوَض ، ومن الصاحب خَلَف ، ومن الصابئ بدل ، ثمّ إذا تعاطى النّظم ، فكأنّ عبد الله بن المعتز وعبيد الله بن طاهر ، وأبا فراس الحمداني قد نُشِروا بعد ما قُبروا ، وأوردوا إلى الدنيا بعدما انقرضوا . وهؤلاء أُمراء الأدباء وملوك الشعراء ...)[5].

---

[1]- ابن الرومي : أبوالحسن علي بن العبّاس بن جرجيس الرومي ، ديوان ابن الرومي ، شرح مجيد طراد ، خمسة أجزاء ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج٣ ، ٣٢٥ .

[2] ابن رشيق : العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ج٢ ، ص١٨٣

[3]- الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ، ص٤١

[4] المرجع السابق ، نفسه ، ج١ ص٢٧١

[5] الثعالبي : اليتيمة ، ج٤ ، ص٢٧١ .

هذا بجانب طبع البيئة الخاصة الإنتاج الأدبي بطابع خاص ، كبيئآت الحُكّام والمذاهب الفكرية والدّينية ، فأشار إلى أثر الوضع السياسي في الشعر ، وتحدّث عن إعجاب الحمدانيين وبني ورقاء بالشعر وتشجيعهم له ومكافأتهم الشعراء ، وغير ذلك من العوامل التي تؤدي إلى كثرةوجودة الشعر كقوله عن أمراء الشام : – (... رزِقوا ملوكاً وأُمراء من بني حمدان وبني ورقاء ، وهم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلاّ جوّاد يحب الشعر ، وينتقد ، ويثيب على الجيّد منه فيُجْزل ويُفضِّل)[1]. .

ويلاحظ الباحث أنّ بلاط سيف الدولة في الشام كان موطناً للشعراء والعلماء من خلال ما حكاه الثعالبي في كتابه (اليتيمة) ، كالمتنبئ ، وأبوفراس الحمداني ، والسرّي الرفاء ، والصنوبري ، والخالديان ، وابن خالويه ، وابن جنّي ، والخوارزمي وغيرهم من الشعراء والأُدباء الذين لم تكن الشام مسقط رأس كثير منهم ، ولكنّهم قصدوها لما وجدوه فيها من تقدير أميرها للعلم والعلماء وإنتاجهم الأدبي ، ومكافأته أصحاب الجيِّد و نقد وتوجيه غير الجيّد مما كان لذلك من الأثر على الشعر من حيث جودته وكثرته، وكذلك طبعه بطابعٍ يميل إلى ذوق الحاكم ، من ذلك إيراد الثعالبي إنتقادات من سيف الدولة لبعض الشعراء كالمتنبئ والخالديين وغيرهم .

ونلاحظ كذلك أنّ الثعالبي أفرد باباً للشعراء الطارئين على الصاحب من الآفاق على إختلاف مواطنهم وتنوّع بيئآتهم ومذاهبهم الشعريّة وهذا العمل له دلالة نقديّة متمثلة في أثر ذوق ذلك الحاكم على الشعر ، لأنّ الثعالبي لاحظ أنّ بلاط الصاحب بن عبّاد ربما كانت له سمات مُسْتمدّة من ذوق الصاحب الخاص ، ونلاحظ ذلك في حديث الثعالبي عن الصاحب إذْ قال :– (ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن عُلومحله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم ... ، ولما كان نادرة عطارد في البلاغة ، وواسطة عقد الدّهر في السماحة ، جلب

[1] المرجع السابق نفسه ، ج١ ، ص٢٤– ٢٥

إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خِطاب جزِل ، وقول فصل . وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ، وبدائع الأفهام ... ، فبلغ من البلاغة ما يُعد في السحر ، ويكاد يدخُل في حد الإعجاز... [1]).

وكذلك حديثه عن كُتّاب من آل بويه يجرون مجرى الوزراء لما لاحظه من أساليب هؤلاء تلك الأساليب التي تختلف عن أساليب غيرهم.

وبجانب المؤثرات البيئية أشار الثعالبي إلى مؤثرات أخرى كإشارته إلى أثر المذاهب الدينية على الإنتاج الأدبي كقوله عن الخبّاز البلدي : (وكان حافظاً للقرآن مقتبساً منه في شعره كقوله :

ألا إنّ إخواني الذين عهدتهم أفاعي رمال لا تقصّر في لسعي

ظننت بهم خيراً فلمّا بلوتهم نزلتُ بوادٍ غير ذي زرع)[2]

وقوله عنه أيضاً : (وكان يتشيّع ، ويتمثّل في شعره بما يدل على مذهبه كقوله :

وحمائمٌ نبّهنني والليل داجي المشرقين

شبهتهن وقد بكين وما ذرفن دموع عين

بنساء آل محمدٍ لما بكين على الحسين[3].

وقوله كذلك :-

أنا إن رمُتُ سُلُوّاً عنك ياقرّة عيني

---

[1] الثعالبي : اليتيمة ، ج٣ ، ص ١٧٧

[2] الثعالبي : اليتيمة ، ج٢ ، ص٢٠٢

[3] الثعالبي : اليتيمة ، ج٢ ، ص٢٠٢

كنت في الإثم كمن شارك في قتل الحسين

لك صولات على قلبي بقدٍ كالرديني

مثل صولات عليّ يومَ بدرٍ وحنين[1]

وقوله كذلك عن أبي إسحاق الصابئ : (إنّ أبا إسحاق الصابئ من نُسّاك أهل دينه والمتشددين في ديانته ، وفيّ محاماته على مذهبه وتصوّنه عمّا يدعو إليه الهوى يقول :-

حمتني لذتي رُتب المعالي وحنّتني بالمروءة و الوقار

ودينٌ ضاق فيه مجال فتكي لخوف عقوبة وحذار نار

فوا شوقاً إلى خلع العذار وفعلي ما أريد بلا اعتذار

ويالهفي على حلّ الإذار صريعاً بين سُكْرٍ أو خمار)[2].

إنّ الثعالبي أدرك أثر البيئة على الأدب (شعره ونثره) ، وأنّ الإنتاج الأدبي هو ثمرة من ثمرات هذه البيئة ، وذلك لأنّ البيئة بشقيها (الزماني والمكاني) ، هي العنصر المؤثر على ذلك الإنتاج وبناءً على تلك المؤثرات التي تنتجها البيئة قسّم كتابه إلى بيئآت منفردة بدأها بالشام لما راه في بيئتها من ميّزة لم تتوفر في غيرها من البيئآت الأُخرى ، ودرس كذلك بيئة العراق وفارس وخُراسان وغيرها من البيئآت الجغرافيّة .

وبجانب تلك تعرّض للبيئآت الخاصة كبيئآت الملوك والأُمراء والوزراء ، فتناول سيف الدولة وأثره على نهضة الشعر ، وكذلك وزراء دولة بني بويه ، هذا بجانب حديثه عن بيئة الكُتّاب

[1] المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٣

[2] المرجع السابق نفسه ،ج٢ ، ص٢٣٤

فدرس بلاط الصاحب بن عبّاد وأثره على الشعراء الطارئين عليه من الآفاق لأنّ بلاطه يمثّل مدرسة لها مميزاتها ، هذا فضلاً عن حديثه عن آل مكيال وغيرهم ممن تناولهم بالدراسة ، كل تلك البيئآت لها دورها في توجيه الأدب وإزدهاره ، وهذا ما ذهب إليه الدكتور شكري فيصل في حديثه عن أثر البيئة فقال :- (إنّ أصحاب النظريّة الإقليمية في الأدب العربي يلخصون نظرتهم بهذة الفقرة المركّزة : لكل بيئة مُنفرِدة مزاياها وخصائصها التي تنفرد بها عن الأقاليم ، وتلك المزايا والخصائص هي التي توجه الحياة الأدبية فيها وتؤثّر في سيرها ، وبإختلاف هذه المميزات الماديّة والمعنويّة تختلف حياة الأقاليم الأدبية . أعني أنّهم يردون جوهر فكرتهم إلى المميزات الماديّة و المعنوية لكل إقليم)[1] .

والثعالبي بذلك قدّم دراسة نقديّة تقوم على ملاحظة أثر البيئة على الإنتاج الأدبي ، وهي دراسة أقرب إلى التخصص مقارنة بالدراسات النقديّة التي تمّ تأليفها في عصره ، وهذا النوع من الدراسة تقوم علية دراساتنا الحديثة التي تتناول أدب كل بيئة من بيئآت الوطن العربي منفصلاً عن البيئة الأُخرى ، فبيئة السودان مثلاً تختلف في جغرافيتها وطبيعة أهلها عن بيئة العراق وتبعاً لهذا الإختلاف البيئي تكون مميزات وخصائص الأدب السوداني تختلف عن الأدب العراقي ،ويُقال مثل ذلك في تقدم الزمن وتطور الحياة حتى في البيئة الواحدة كل هذه الملاحظات النّقديّة أشار إليها الثعالبي في كتابه اليتيمة ، وطبّق أغلبها وشرح بعضها مما أعطى الكِتاب قيمة نقديّة مفهوم الثعالبي حول الشِّعر ومؤثراته وعوامل كثرته وقِلّته وجودته ورداءته وغير ذلك من الأمور التي تتعلّق بالنص الأدبي (شعره ونثره) .

[1] شكري فيصل : مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي ، عرض ونقد واقتراح ، مكتبة الخانجي ، ط١ ، ١٩٤٩م ، ص١٩٠ .

المبحث الثاني:

الأسس النقدية عند الثعالبي لإختيار الشعر والنثر:

أورد الثعالبي في كتابه شروطاً وأُسساً لإختياراته الشعرية والنثرية في كتابة "يتيمة الدهر"، وأشترط لتلك الإختيارات أسساً تتعلق بالألفاظ وأخرى تتصل بالمعاني مستصحباً الذوق العام والأحكام النّقديّة السابقة ، هذا فضلاً عن مقياسه الأساسي الذي أشترطه لتأليف كتابة وهو أن يكون الإنتاج الأدبي "عصرياً"، فقال في كتابه: "والشرط في هذه الأُخرى – يعني النسخة الثانية من كتابه – إيرُاد لب اللب، وحبة القلب، وناظر العين ونكتة الكلمة، وواسطة العقد، ونقش الفص ...الخ".[1]

هذه العبارات تدل على إهتمام الثعالبي بالمعاني والألفاظ والأغراض وكل ماله علاقة بجماليات الكلمة والمعنى، هذا بالإضافة إلى الإجادة في فنون البلاغة، كل تلك أسس جعلها الثعالبي مقاييس لإختياراته، والمتتبع لليتيمة يلاحظ أنّ الثعالبي من خلال كتابه عقد رؤيته النقدية على الأسس التالية:

أولاً: الإختيار بناءً على الألفاظ:

الألفاظ من الأسس التي بنى الثعالبي إختياراته الشعريّة والنّثريّة عليها، ويلاحظ الباحث أن الثعالبي في حديثه عن ألفاظ الشعر أشترط لها الآتي:

– حُسن اللفظ:

وعَدّه الثعالبي شرطاً لإختياراته الشعرية، ومن ذلك أورد أبياتاً في الغزل لأبي الطيب المتنبي وعلّق عليها قائلاً: "وهي مما يُتقى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حُسْن اللفظ وجودة المعنى، وإستحكام الصنعة". كقول المتنبي:

أيدري الرَّبْعُ أيّ دمٍ أَراقَا؟ وأَيّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكبِ شَاقَا

---

[1] الثعالبي: اليتيمة، ج١، ص ٢١.

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أبداً قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تلَاقَى[1][2]

- وكذلك من إشتراطاته للفظ "سلاسته":

ومن ذلك قوله عن شعر أبي الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة:

"يقول شعراً يكادا يمتزج بأجزاء الهواء رقةً وخِفّة، ويجري مع الماء لطافة وسلاسة كقوله من "السريع":

مَنْ سره العيدُ فما سرّني بل زاد همّي وأشجاني

لأنّه ذكرني ما مضى من عهد أحبابي وإخواني. [3]

فالثعالبي هنا يشترط بجانب سلاسة المعنى، يشترط كذلك الرّقة والخِفّة واللطافة، وهذه صفات كلها يتطلبها اللفظ حتى يؤدي غرضه.

من إشتراطات الثعالبي لإختيار الألفاظ كذلك: عذوبتها وخفّتها، ومن ذلك حديثه عن أبي العجلي الكاتب قوله: "أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها وعذوبة ألفاظها فمنها قوله:

أقوله له: يا مذيقي الهوى ولم أتْ فيما معنى ذُقْتُه

سألتُك بالله لا يدْنني إلى أجل دنا وقته

ملكتُ فؤادي فعذّبته ولو أنّه في يدي صُنْته[4]

ومن ذلك قوله أيضاً عن أبياتٍ أوردها لعبدان الأصفهاني المعروف بالخوزي قوله: "...يقول في الخضاب ما لم أسمع أحسن منه، ولا أظرف، ولا أعذب منه ولا أخفّ كقوله:

---

[1]- ديوان المتنبئ ، ص٢٣٦ .

[2] الثعالبي : يتيمة الدهر ،ج١، ص ١٧١.

[3] المرجع السابق، ص ١٣٠.

[4] المرجع السابق نفسه، ص ١٠٨.

في مشتبي شماتةٌ لِعَداتي وهو ناعٍ منقصٍ لحياتي

ويعيبُ الخضابَ، وفيه لي أنس إلى حضور وفاتي

لا ومَنْ يعلمُ السرائر منيتي ما به رُمْتُ خُلّة الغانيات

إنّما رُمْتُ أن أغيِّب عنّي ما ترينه كل مِـَاتي

فهو ناعٍ إليّ نفسي ومَنْ ذا سَرّه أن يرى وجوه النُّعَاةِ.[1]

ومن أسس إختياراته كذلك جزالة الألفاظ كحديثه عن أبي الرقعمق[2] وغيره ممن أختار لهم بناءً على الألفاظ وجودتها.

ثانياً: المعاني:-

ومثلما بنى الثعالبي إختياراته على الألفاظ جعل المعاني كذلك مقياس آخر للإختيار، وأشترط للمعنى الآتي:

- السهولة وعدم التكلّف:

ومن ذلك حديثه عن قصيدة للواساني يهجو فيها أبا الفضل يوسف بن علي فعلّق عليها الثعالبي بقوله: "... وقد تصرف فيها كل التصرف، وهي سالمة من التكلُّف، ولم يُقلْ في معناها مثلها".[3]

ومن إشتراطاته كذلك جودة المعاني وحُسْنها، كقوله عن أبي علي صالح بن رشيد بن الكاتب: "...، وكان جيِّد المعاني".[4]

---

[1] الثعالبي اليتيمة، ج٣، ص ٢٧٢.

[2] المرجع السابق، ج١. ص ٢٩١.

[3] المرجع السابق نفسه ص ٣٣٠.

[4] المرجع السابق، ص ٣٨٧.

وقوله أيضاً عن شعر أبي بكر بن حمدان المعروف بالخبّاز البلدي: "...، وشعره كُلّه مُلحَ وتُحف، وغُرر وطُرَف، ولا تخلو مقطوعة له من معنى حَسُن أو مثل سائر كقوله:

بالغتُ في شتمي وفي ذمي وما خشيتَ الشاعَر الأَمّي

جرّبتَ في نفسك سُمّاً فما أحْمَدتُ تجريبك للسم[1]

وكذلك من أسباب إختياراته الشعر "رقة المعاني":

ومن ذلك قوله عن بن نُباتَة السعدي: "من فحول شعراء العصر وأحادهم، وصدور مجيدهم، وأفراد الدهر الذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رق المعاني...". [2]

ثالثاً: إختيار الشعر بناءً على مقياس بلاغي:-

ومن ذلك إعجابه بالتشبيهات، والإستعارات، هذا بجانب الإكثار من فنون البديع الأخرى، ومَنْ تلك الفنون التشبيهية حيثُ عَدّ الثعالبي حُسْن التشبيه بغير أداة من روائع شعر المتنبي كقوله: (من الوافر):-

بَدَت قمراً، ومالت غصن بان وفَاحت عنبراً، ورنتْ غزالاً

وكذلك قوله أي المتنبي:

قمراً ترى وسحابتين بموضع من وجهه ويمينه وشماله[3]

هذا بجانب الإبداع في سائر التشبيهات.

ومن ذلك أيضاً حديثه عن القاشاني: " بقيّة مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة، المالكين لأزمة البلاغة..." [4]

---

[1] الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج٢، ص ٢٠١.

[2] المرجع السابق نفسه، ص ٣٦٠.

[3] المرجع السابق نفسه، ج١ ص ١٧٢.

[4] المرجع السابق ، ج٢ ، ص٣١٣ .

ومن ملاحظاته عن الفنون البلاغية الأخرى قوله عن أبي الفتح البستي: "صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس. البديع والتأسيس وكان يسميه المتشابه، ويأتي بكل طريقة لطيفة...". [1]

رابعاً: الإجادة في الغرض الشعري أو التفرد في غرض أو أغراض شعرية كحديثه عن أبي الحسين الحسن بن واسانة المعروف بالواساني، فأدرك الثعالبي أن هذا الشاعر يجيد فن الهجاء وإشتهر به كثيراً ومن ذلك ما أورده الثعالبي عنه بقوله: "... وهو أحد الفضلاء المجيدين في الهجاء، وكان في زمانه كأن الرومي في أوانه".[2]

فأورد له الثعالبي مجموعة من المقطوعات الشعرية في الهجاء، مستشهداً بها على قوله عنه.

ومن إختياراته بناءً على الغرض الشعري قوله عن ابن سُكّرة الهاشمي:

"... وكانت عُرْضة نوادره ومُلحة كطيسان ابن حرب، وهَنُ أبِي حكيمة، وحمار طَبّاب، وضرطة وهب". [3]

فالثعالبي يرى أن لابن سُكّرة نوادر في شعره "خاصة مجونه" الذي تحدث عنه، ومثله ابن الحجاج الذي قال فيه أيضاً: "...وقد أتفقَ من رأيته وسمعتُ به من أهل البصيرة في الأدب وحُسْن المعرفة بالشعر على أنّه فرد زمانه في فنّه الذي شُهر به، وأنه لم يُسْبق إلى طريقته، ولم يلحق شأوه في نمطه،..، وإن كانَت مُفْصِحة عن السخافة...". [4]

ومن المعروف أنّ ابن الحجاج كان من أشهر شُعراء المجون في القرن الرابع الهجري، ودارت أغلب أشعاره عن هذا اللون من الشعر الفاحش الماجن، فجاء إختيار الثعالبي له لأنّه تفرد بهذا الفن الشعري مع ملاحظة دقة معاينة وسلاسة ألفاظِه.

---

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر، ج٤، ص ٢٢٢.

[2] المرجع السابق نفسه، ج١ ص ٣١٦.

[3] المرجع السابق نفسه، ج٣ ص ٥.

[4] المرجع السابق نفسه، ص ٣١.

خامساً: الإختيار بناءً على حكم نقدي سابق:

المتتبع ليتيمة الثعالبي يلاحظ أنّه أعتمد على أحكام نقدية لعلماء سابقين له في بعض إختياراته الشعرية، أو حكمهم على الشاعر نفسه، وجعل تلك الأحكام مرجعية نقدية إستِند عليها، في إختياره للإنتاج الأدبي، وحتى في تفضيله لشعراء الشام مطلقاً على من سواهم حيث إستشهد بإعجاب الصاحب بن عباد بطريقتهم في الجزالة والفصاحة، وكذلك أبوبكر الخوارزمي بجانب أئمة اللغة والأدب كابن خالوية وأبي الحسن الشمشاطي وغيرهم.[١]

وهذا المقياس إعتمد عليه ابن سلام حين رأى أن هناك عدد من الأحكام النقدية يمكن الإعتماد عليها في الأحكام على أشعار الشعراء، ومن تلك الأحكام عامة الناس، ورواة الشعر، وأهل العلم، وآراء السلف في الشعر فقال: "وقد إختلف الناس والرواة فيهم، فنظر قومً من أهل العلم بالشعر، والنقاد في كلام العرب، والعلم بالعربيّة – إذْ اختلف الرواة – فقالوا بآرائهم، وقالت العشائر بأهوائها. ولا يقنع الناس مع ذلك إلاّ الرواية عّمن تقدم".[٢]

وأطلق الدكتور عيسى العاكوب على الأحكام النقدية التي تتم بناءً على أحكام سابقة (مرجعية الحكم النقدي.[٣] وقصد بذلك أن يكون للحكم النقدي حكم سابق يستند عليه.

ونلاحظ ذلك الحكم عند الثعالبي عندما أورد فصلاً عن فضل شعراء الشام، فأستشهد بإعجاب الصاحب بن عبّاد، وأبوبكر الخوارزمي بطريقة أهل الشام في النظم والتي تشبه طريقة البحتري، هذا بجانب ذكره بعض أهل اللغة كابن خالويه وأبي الحسن الشمشاطي فأورد الثعالبي قائلاً: "...وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب بن أبي لقاسم بن إسماعيل عَبّاد أنّه كان يعجب بطريقتهم المثْلَى، التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعذوبة، والفصاحة والسلاسة ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم، ويستملى الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف،..، وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره وعنفوان أمره قد دوّخ بلاد الشام،

---

[١] الثعالبي: يتيمة الدهر، ج١ ص ٢٦

[٢] ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ص٣١ .

[٣] العاكوب: عيسى على العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١١٧.

وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ومطرح الغُرباء الفُضَلاء، فأقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه، وأبي الحسن الشمشاطي وغيرهما من أئمة الأدباء،..، بين علم يدرسه وآدب يقتبسه، ومحاسن ألفاظ يستفيدها...". [١]

فالثعالبي جعل أحكام هؤلاء سنداً لحكمه النقدي في تقديم شعراء الشام على من سواهم، ونلاحظ كذلك في حديثه عن مُلَح أهل الشام ومصر والمغرب والأندلس في أحد فصول كتابه، فقال مُعلِّقاً: "هذا الباب كسرته على غُرر تلقفتها من أفواه الرواة وتطرّفتها أثناء التعليقات..". [٢]

فذكره للرواة والتعليقات يدل على أنه أختار هذه الأشعار بناءً عليها كأحكام سابقة على تلك الإختيارات.

ومن ذلك أيضاً قوله عن محمد موسى الحدادي البلخي: "كان يُقال: أخرجت بلخ أربعة من الأفراد: أبا القاسم الكعبي في علم الكلام، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف، وسها بن الحسن في شعر الفارسية، ومحمد بن موسى في شعر العربية. [٣]

فذكر الثعالبي لعبارة "كان يُقال" إنه في ذلك يشير إلى حكم نقدي سابق على هؤلاء ضمنهم البلخي.

وفي حديث الثعالبي عن أبي فراس الحمداني،يذكر رأي الصاحب وإعجاب سيف الدولة بمحاسن شعر أبي فراس، هذا بجانب شهادة المتنبي فقال الثعالبي: "...، وكان الصاحب يقول: بُدِئ الشعر بملك وخُتِم بملك. يعني أمرأ القيس وأبا فراس، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز،..، وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه". [٤]

---

[١] الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج١، ص ٢٥ – ٢٦.

[٢] المرجع السابق نفسه، ص ٢٦٦.

[٣] المرجع السابق نفسه، ج٤، ص ٢٤.

[٤] الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج١، ص ٤٤.

فنلاحظ هنا أنّ الثعالبي ساق شواهداً لتعليل إختياره، فذكر حكم الصاحب وشهادة المتنبئ وإعجاب سيف الدولة.

وفعل الثعالبي مثل ذلك في سائر أحكامه على شعر المتنبي وغيره ممن تناولهم في كتابه، فتحدث عن إهتمام مجالس العلم بشعره، هذا بجانب إهتمام الكتاب والمصنفين والمفسرين فقال: "... فليس اليوم مجالس الدرس أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس، ولا أقلام كُتّاب الرسائل أجرى من ألْسُن الخطباء في المحافل، ولا لحون المغنيِّن والقوّالين، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنّفين. وقد ألفت الكتب في تفسيره، وحل مُشكلَه وعويصة، وكثرت الدفاتر على ذكر جيِّدة ورديئة، وتكلم الأفاضل بينه وخصومة..".[1]

ولعلّه في إشارته إلى تكلم الأفاضل في الوساطة بينه وخصوبة يقصد ذلك المؤلَّف العظيم للقاضي الجرجاني "الوساطة بين المتنبئ وخصومه" ذلك الكتاب الذي نقل عنه الثعالبي جزءً كبيراً من أحكام القاضي على شعر المتنبئ.

والثعالبي كذلك يطلع على كتب النقاد السابقين له للوقوف على أحكامهم ورؤيتهم النقدية في أشعار بعض الشعراء الذين أوردهم في كتابه ومن ذلك قوله عن بيتين من شعر السري الرفّاء أنّه قرأها في كتاب الوساطة للجرجاني حيث قال: "...فقرأتُ في كتاب الوساطة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أبياتاً أنشدها للسريّ في جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمّن الإستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ وهي من (الطويل) :-

أقول لحَنّان العشاء المفّر يهز صفيح البارق المتوّقد

تبسّم عن ري البلاد حبيبة ولم يتبسّم إلاّ لإنجاز موعد[2])[3]

ومن ذلك أيضاً ذكره قصيده للقاضي التنوخي التي علقّ عليها بقوله: "وقال من قصيدة كثيرة العيون، وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره، ويرى أنّها من أمهات قلائده".[1]

---

[1] المرجع السابق نفسه، ج١ ص ١١٢.

[2]- السرّيّ الرّفّاء : ديوان السّريّ الرّفّاء ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ص٩٧ .

[3] الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج٢ ص ١١٧.

ومن ذلك قوله أيضاً عن أبي الحسن السلامي: "من أشهر أهل العراق، قولاً بالإطلاق، وشهادة بالإستحقاق".[٢]

ونلاحظ كذلك إستناد الثعالبي على أحكام النقّاد السابقين له بوضوح حينما يتحدث عن ابن الحجاج فهو يقول: "...، وقد أتفق مَنْ رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحُسْن المعرفة بالشعر على أنّه فرد زمانه في فنّه الذي شُهر به، وأنه لم يُسْبِق إلى طريقته...".[٣]

وفي حديث الثعالبي عن ابن العميد نلاحظ أنه اعتمد كثيراً على أحكام سابقيه، من عامة الناس، أو من أهل الدراية بالأدب، فهو يقول عنه: "...، يُدْعى الجاحظ الأخير، والأستاذ والرئيس، يُضْرب به المثل في البلاغة، ويُنْتَهَي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة،..، وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب – وقد سأله عن عن بغداد عند منصرفه عنها – بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد. وكان يُقال بُدئِت الكتابة بعبد الحميد وخُتِمت بابن العميد..".[٤]

ومن ذلك أيضاً قول الثعالبي عن أبي سعيد الرستمي: الذي أورد الثعالبي بشأنه قائلاً: "وكان الصاحب يقول مرة: هو أشعر أهل مِصْره، وتارة: هو أشهر أهل عصره، ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائعه..."، وبناءً على هذا الحكم قال الثعالبي عنه: "من أبناء أصبهان وأهل بيوتها، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا، ومن شعراء العصر في الطبقة الكُبْرى".[٥]

هكذا جاءت كثير من إختيارات الثعالبي النقدية بناءً على أحكام نقدية من أهل معرفة بالشعر من العلماء السابقين له، أو ما يسمى بمرجعية الحكم النقدي التي تعتمد عليها دراساتنا المعاصرة في تناول التراث الأدبي ودراسة قضاياه ومؤثراته.

سادساً: الإختيار بناءً على الذوق العام:

---

[١] المرجع السابق نفسه، ج٢ ص ٣٢٢.

[٢] المرجع السابق نفسه، ج٢ ص ٣٧٥.

[٣] المرجع السابق نفسه، ج٣ ص ٣١.

[٤] المرجع السابق نفسه، ج٣، ص ١٤٧.

[٥] الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج٢ ص ٢٧٧.

يعتبر الذوق العام "ذوق العصر" من الأسس النقدية التي أعتمد عليها الثعالبي في إختياراته الشعرية، حتى ولو كان الشعر يمس الأخلاق ويتعارض مع أسس الدين، ومن ذلك إختياراته للشعر الماجن كما هو الحال عند ابن سُكّرة الهاشمي وابن الحجاج وغيرهما من هؤلاء المجّان الخُلَعاء، وعلى الرغم من إعتذار الثعالبي عن تلك الإختيارات لكنّه أشار إلى رغبة العامة في سماع وتداول مثل هذا النوع من الأشعار مما يوحي بإختيار الثعالبي لهذا الشعر إرضاءً للذوق العام ومن ذلك قوله عن ابن سُكّرة الهاشمي: "... وكان يُقال ببغداد: إنّ زماناً جاد بابن سكرة وابن الحجاج لسخي جداً، وما أشبههما إلاّ بجرير والفرذدق في عصريهما".[1]

أمّا عن ابن الحجاج فقد قال عن شعره: "... ولكنه على عَلّاته تتفكّه الفُضلاء بثمار شعره، وتستملح الكُبراء ببنات طبعه، وتستخف الأدباء أرواح نظمه،..، وهو عندهم مقبول الجملة غالي مهر الكلام، موفور الحظ من الإكرام والإنْعام، مُجاب إلى مقترحه من الصلات الجِسَام،...، وديوان شعره أسْير في الآفاق من الأمثال، وأسرى من الخيال".[2]

فالثعالبي بسياقه لهذا الكلام، كأنّه يبرر إختياراته لهذا النوع من الأشعار.

وبجانب الشعر الماجن نجد أن الثعالبي أورد أشعاراً أخرى لا تقل عن الأشعار الماجنة عند ابن سكرة وابن الحجاج كالأشعار التي يتغزل أصحابها بالغلمان، كالتي تحدث الباحث عنها في تصوير الحياة الإجتماعية، وإنتشرت هذه الظاهرة في أوساط الناس حتى ذوي المناصب العليا منهم كالقضاة والوزراء والأمراء مما يدل على أنّ الذوق العام قد هضم مثل تلك الأخلاق والعادات ووجدت تجاوباً من المجتمع معها وعدم نبذها، هذا بجانب الأشعار التي تتحدث عن الشراب وما يرتبط به، كل ذلك جاء إختياره بناءً على ذوق العصر.

إنّ الثعالبي في إختياره للشعر الماجن بجانب الذوق العام ربما يكون قد اطلع على حكم نقدي سابق، لأن مِنْ العلماء قبله مَنْ أقرّ مثل هذا النوع من الأشعار كالقاضي الجرجاني الذي يرى أن الحكم الجمالي للشعر يجب ألاّ يُصْحب بمقياس ديني أو أخلاقي، فهو يرى أن الذوق

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص٥.

[2] المرجع السابق نفسه، ص ٣١.

العام شئ لأنه حكم جمالي والحكم الديني على الشعرشيئاً آخر يختلف عنه فقال :- (ولوكان سوء الإعتقاد سبباً لتأخُر الشاعر، لوجب أن يمّحي اسم أبي نواس من الدواوين، ويُحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومَنْ تشهد الأمة عليه بالكُفْرِ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعري وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه، بُكْماً خُرْساً وبكاءً مُفْحَمين، ولكنّ الأمر متباين والدين بمعزل عن الشعر [1])

وفي حديث الثعالبي: "... ولولا أن جد الأدب جَد، وهزله هزل كما قال إبراهيم بن المهدي، لصنت كتابي هذا عن كثير مِنْ كلام مَنْ يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم".[2]

ففي حديث الثعالبي إقرار ضمني برؤية الجرجاني حول الشعر الماجن، وبناءً على أحكام سابقة، ثُمّ الذوق العام كمرجعية نقدية إعتمد عليها الثعالبي في إختياره لهذا اللون من الشعر.

إنّ الثعالبي في إختياراته الشعريّة والنثريّة بصفة عامّة لم يكن كسابقيه الذين ينظرون للشعر من جانب اللغة والنحو والبلاغة واللفظ والمعنى وبنوا جُلّ إختياراتهم على ذلك ، بل نظر للأدب من زاوية إنّه فن يرتبط بالحياة ومعطياتها ، له مؤثرات يخضع لها وتحكمه وتحكم علاقته بقائله ، لذلك جاء إختياره للشعر بعدّة مقاييس حَكَم على الشعر من خِلالها كالجودة في المعنى وجِدّته والإجادة في الغرض الشعري وغير ذلك من المقاييس التي وضعها لذلك هذا فضلاً عن جِدة الشعر التي يقبلها ذوق العصر ، تلك الصفات مجتمعة يرى الثعالبي أنْ تجب مراعاتها في الإنتاج الأدبي وألاّ يخضع لواحِدٍ وتُهْمل الأخرى ، لذلك نظر لأدب عصره من كل تلك الجوانب وألّف كِتابه الذي جمع تلك الجوانب وأطلق عليه اسم (يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر) .

المبحث الثالث :-

القضايا النقدية عنده

تناول الثعالبي في كتابه قضايا نقدية من أبرزها، قضية السرقات الشعرية، والموزنات بالإضافة إلى أصالة الشعر ونحله، هذا بجانب حديثه عن الألفاظ والمعاني.

---

[1]) القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبئ وخصومه، ص ٦٤.

[2]) الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج٣، ص ٣١.

أولاً :– قضية القديم والجديد :

هذه القضية من القضايا النقدية المهمة التي أثارها النُقّاد منذ القرن الثاني وحتى مطلع القرن الرابع للهجرة، والملاحظ أنّ العلماء من الرواة واللغويين والنحويين من رجال القرنين الثاني والثالث يُعْرضون عن الشعر المحدث وشعرائه خاصة أولئك الشعراء الذين لا يحذون حذو القدماء في نماذجهم الشعرية من حيث البدايات وغيرها من التقاليد الشعرية القديمة ، ومن هؤلاء العلماء أبو عمرو بن العلاء الذي لا يهتم بأشعار الأمويين والعباسيين ولا يستشهد بها ، ولا يأمر تلاميذه بروايتها[1].

وتبعه على ذلك تلميذه الأصمعي ، وعلماء آخرين ، وكان هؤلاء ينظرون للشعر نظرة مجملة تقوم على خدمة الدين واللغة دون النظر إلى مقاييس جماليّة أخرى.

وعندما استقلت الدراسات الأدبية من نحو وبلاغة عن الدراسات الدينية أخذ العلماء يتخلصون من الخضوع لسلطان القديم والإنحياز له ، والإعراض عن المحدث والطعن عليه [2].

ومن العلماء الذين خرجوا عن دائرة القديم والحديث ونظروا للشعر من ناحية فنونه وأغراضه : ابن قتيبة الذي لم يفضل قديم على محدث ولا محدث على قديم ، فهو يقول "لم اسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا إلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرتُ بعين العدل على الفريقين ، وأعطيتُ كلاً حظّه ، ووفّرتُ عليه حقّه"[3].

---

[1] الجاحظ : البيان والنبيين ، ج ١ ، ص ٣٢١.

[2] حسين عطوان : مقالات في الشعر ونقده ، دار الجيل – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، ص ٢٢٤.

[3] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٦٢.

فمذهب ابن قتيبة يقوم على الوسطيّة فهو لا يتعصّب للقديم كتعصُّب أبي عمرو بن العلاء وتلاميذه ، ولا يتشدد بحيث يعرض عن المحدث ويهمله ، وإنّما يتبنّى المحدث ويدافع عنه دون أن يميل إلى القدماء أو يظلم المحدثين.

وأخذت هذه القضية تنتشر وسط النُّقاد في أواخر القرن الثالث الهجري واستمرت الحديث حولها حتى القرن الرابع حيث قال الدكتور حسين عطوان :" وظل العلماء في القرن الرابع يتناولون القضية بالدرس والبسط مُفصلين لجوانبها ، ومبينين فساد منهج المتعصبين للقديم ، وكاشفين عن خطتهم في تطبيقهم لمذاهبهم اللغوية والنحوية على الشعر ، وناقدين لهم نقداً شديداً ومدافعين عن الشعراء المحدثين ومشجعين لهم "[1].

والثعالبي من العلماء الذين وقفوا عند هذه القضية ، ويتضح موقفه منها من خلال كتابه "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" ، الذي اهتم فيه بالشعر المحدث دون غيره ، والمهم في دراسة الثعالبي إنه لم يتناول القضية بالموازنة ليبيِّن خصائص كل منهما ، أو جعل المقياس اللغوي والنحوي أحد مقاييسه لكي يفضل بموجبه (القديم أوالمحدث) ، وإنما نظر للشَعر بمنظار انه فن له خصائصه وأغراضه ، تلك الخصائص والأغراض تتطور بمرور الزمن ، لأنّ تطور الزمن يكسب الشعر معاني وخصائص جديدة ويوسع ماعونه في التعبير ، هذا بالإضافة إلى جودة الشعر المحدث نسبة لكثرة النقد الذي تعرض له، فنظر الثعالبي للشِّعر قديمه وحديثه نظرة تخصصيّة علميّة ، لا هو لُغوي ولا بلاغي ينظر للشعر من تلك الزوايا ، بل نظر للشعر من حيث إنّه فن يتطوّر تتجدد معانيه وتتعدد أغراضه ويتأثّر بالزمان والمكان فهو يرى أنّ للشعر القديم خصائص وللمحدث كذلك ، وإنّ الشِّعر يمر بظروف تمليها عليه صروف الدّهر ، والنّاس بطباعهم يميلون إلى الجديد لأنّه ألصق بنفوسهم وأقرب إلى طِباعهم ، ومجاراةً للطبع وإحتراماً للذوق إختار الثعالبي الشعر العصري . فهو يقول : "كانت أشعار الإسلاميين ارقّ من أشعار الجاهليين ،

[1] حسين عطوان : مقالات في الشعر ونقده ، ص ٢٢٧.

وأشعار المحدثين ألْطف من أشعار المتقدمين وأشعار المولدين أبدع من أشعار سائر المذكورين ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وانظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين لانتهاء إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ....."[1]

فالثعالبي من خلال كتابه وحديثه السابق نلاحظ أنه من أصحاب الشعر الحديث ، فهو يؤمن بانّ الزمن كلما تطور أثّر على أغراض وأساليب الشعر ويكون ذلك مواكباً لذوق العصر ، فضّل الشعر المحدث مطلقاً دون أن يشترط له خصائص تربطه بالقديم ، وهذه الدراسة التي قدّمها الثعالبي في هذه القضية أشبه بدراستنا الحديثة لأنه جعلها أساس ألّف عليه كتابه ، وفعل الثعالبي مثلما نفعل اليوم بدراسة أدب كل عصر لما نلاحظّه من إختلاف للخصائص بين العصور نسبة لتقدم الزمن ، وتكمن القيمة النقدية في دراسة الثعالبي لهذه القضية أن جعل عامل الزمان وما يجئ به من تطور عاملاً أساسياً في موازنته ، لذلك نلاحظ أن في الشعر المحدث سمات يخلو منها القديم ، فجاءت موازنته بينهما وتفضيله المحدث دون أن يشترط له قوالب من الشعر القديم .

ثانياً: السرقات:

شغل موضوع السرقات الأدبية حيِّزاً كبيراً من اهتمام النُقاد والباحثين والدارسين، فاهتموا بالسرقات الشعرية لأنّها مقياس براعة الشاعر وتفوقه وتصريفه للمعاني، والوقوف على مدى

[1] الثعالبي : اليتيمة ، مقدمة المؤلف ، ص ١٩.

شاعرية الشاعر، وتعامله مع المعاني المتاحة من إبتكار من دون أنْ يُقلِّد غيره أو يتبعه في معانيه فيأخذها كلها أو بعضها.

وقد تناول النُقاد القدماء موضوع السرقات الشعرية، ومن أولئك الجاحظ الذي تعرّض لهذه القضية في كتابه الحيوان، فهو يرى أن مجالات السرقة الشعرية تنحصر في التشبيه أو المعنى واللفظ فقال: "ولا يُعْلَم في الأرض شاعر تَقدم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلاَّ وكل مَنْ بعده أو معه، إن هو لم يَعْدُو على لفظه فيسرق بعضه أو يدّعيه بأسْره، فإنه لا يدع أنْ يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكاً فيه...". [١]

وكذلك ممن تناول موضوع السرقات الشعرية من القدماء الآمدي، وحدّد أن السرقة إنما تكون في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر من المعاني لا في المعاني المشتركة يرى أن السرقة ليست في الألفاظ فيقول: "إنه لا سرقة في الألفاظ إذا كانت مباحة غير محظورة، وإنما السرقة تتحقق في المعاني البديعية المخترعة التي يختص بها شاعر، ولا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم". [٢]

وممن تناول موضوع السرقة قبل الثعالبي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبئ وخصومه، وقدر أنّ السرقة تكون في الألفاظ والمعاني والأغراض.[٣] وغيرهم من العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع.

وخلاصة آراء هؤلاء العلماء أنْ موضوع السرقة يرتبط بالشعر، ويدور حول الألفاظ وحدها، أو المعاني، أو الألفاظ والمعاني كليهما، وهذا ما ذهب إليه الدكتور مصطفى الجويني بقوله: "فموضوع السرقة الشعرية مبحث من مباحث النقد العربي، يرتبط إرتباطاً وثيقاً بمفهوم

---

[١] الجاحظ: أبو عمر عثمان بن بحر، الحيوان، ج٣ ص ٣١١.

[٢] الآمدي: الموازنة بين أبي تمّام والبحتري، ص ٢٢.

[٣] أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبئ وخصومه، ص ١٠٠.

الأدب ومضمونه في عصوره، وينحصر أكثر ما ينحصر في الشعر، ويدور أكثر ما يدور حول المعنى وحده، أو كليهما معاً، لا يعدو ذلك". [1]

والثعالبي كأحد النُقاد الذين إهتموا بهذه القضية تناولها في كتابة اليتيمة على طريقة النُقاد قبله، فأشار إلى سرقة اللفظ، أو المعنى أو التشبيه أو فن من فنون البديع، وتعرض لهذه القضية في شعر المتنبئ، والسرى الرفّاء وابن الحجاج، وأبوعلي بن الصلت المعروف بناقد الكلام اليماني وغيرهم.

وفي دراسة الثعالبي لسرقات المتنبئ أورد الثعالبي سرقات الشعراء منه وسرقاته من الشعراء، هذا بجانب تكرارالمتنبئ لبعض معاينة، وعقد مثل هذه الدراسة لغيره ممن تعرضهم.

والمتتبِّع لدراسة الثعالبي عن السرقات يلاحظ إنّه اهتم باللفظ والمعنى في هذا الموضوع، ومن ذلك ذكره سرقات الشعراء من معاني شعر المتنبئ فأورد فقرة بعنوان "أنموذج لسرقات الشعراء منه" ومن هذه المعاني ما أخذه أبو الفرج الببغاء، والمهلّبي الوزير، والصاحب بن عَبّاد، والسرّي وغيرهم.

ومن أمثلة سرقة المعاني ما أورده الثعالبي من شعر المتنبئ فقال: قال المتنبئ:-

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطاني من السقم المحاقا

أخذه أبو الفرج فلطّفه وقال:

أوليس من إحدى العجائب إنيفارقته وحُييَتُ بعد فراقه

يا من يحاكي البدر عند تمامه أرْحم فتى يحكيه عند محاقة [2]

ومن نماذج سرقة اللفظ والمعنى عند الثعالبي قوله أيضاً: "قال المتنبئ، وهو أيضاً من قلائده:

لبسن الوشى لا متجمّلات ولكن لصون الحُسن بين برودٍ

---

[1] مصطفى الصاوي الجويني: معالم في النقد الأدبي، دون تحديد مكان ورقم الطبعة، ١٩٨٥م، ص ١٨٦.

[2] الثعالبي: يتيمة الدهر، ج١ ص ١٢٦.

أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال:

لبسن برود الوشى لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برودِ. [1]

ومثلما ما تعرّض الثعالبي لسرقات الشعراء من المتنبئ تعرض كذلك لسرقاته من الشعراء فقال: "وإذْ قد ذكرت انموذجاً من سرقات الشعراء عنه، فلا بأس أنء أذكر سرقاته من الشعراء، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب "الوساطة" فشفى وكفى وبالغ فأوفى، وسوى ما قر ويمر منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب".[2]

فأورد سرقات المتنبئ من الشعراء بناءً على الألفاظ والمعاني، فتعرض لسرقاته من أبي تمام، وأبي نواس وغيرهما، فمن سرقة المعنى ما أورده الثعالبي بقوله: "قال مسلم بن الوليد":

أرادوا ليخفوا قبره من عدوه فَطِيبُ تراب القبر دَلّ على القبر

ألمّ به أبو الطيب فقال:

وما ريح الرياض لها ولكن كساها دفنهم في التراب طيبا. [3]

وبجانب سرقة اللفظ والمعنى أشار الثعالبي إلى سرقة التشبيه، ومن ذلك قوله: "وقال أبونواس، ويُقال إنه أمدح بيت للمحدثين:

وكّلتُ بالدهر عيناً غير غافلة يجُود كغّيل تأموا كل مآجرها

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حُسن التشبيه فقال:

تتبّع آثار الرزايا بجوده تتبُّع آثار الأسِنّة بالقتل. [4]

---

[1] المرجع السابق نفسه، ج١ ص ١٢٧.

[2] المرجع السابق نفسه، ج١ ص ١٣٠.

[3] المرجع السابق ، ج١ ص ١٣١.

[4] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج١ ص ١٣١.

وأورد الثعالبي مثل ذلك سرقات كثيرة للمتنبئ من شعراء سابقين له، وبجانب السرقات الشعرية، تعرض كذلك إلى سرقة معاني الشعر من النثر والعكس ومن ذلك أورد قطعة من نثر الصاحب وقال: "إن المتنبئ ألمّ بألفاظها".[١]

وكذلك تحدث عن سرقات معاني النثر من الشعر، كحديثه عن فصل للصاحب بن عّباد سرق معانيه من شعر المتنبئ، ومن ذلك قوله: "وفصل له – أي الصاحب – لئن كان الفتح جليل الخطر، عظيم الأثر، فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له، يعلم معها أنّ لله أسراراً في عُلاه لا يزال يبديها، ويصل أوائلها بتواليها وهو من قول أبي الطيب المتنبئ:

ولله سرٌ في عُلاه، وإنَّما كلام العدا ضربٌ من الهذيان .[٢]

حيث علّق الدكتور الجادر أن للثعالبي فضل السبق حين قال: "وقد سبق الثعالبي إلى ملاحظة سرقة المعاني الشعرية من النثر والعكس".[٣]

وبجانب ذلك أورد الثعالبي ملاحظة هي: "تكرار المتنبئ لبعض معانيه"، حيث أورد الثعالبي عنواناً جاء فيه والحديث عن المتنبئ: " ما تكرر في شعره من معانيه"، والمتتبع لهذه الملاحظة يمكن أن يقول أن الثعالبي يريد القول بأن المتنبئ يسرق بعض معانيه الواردة في أشعاره، وهذا ما علّق عليه الدكتور الجادر بقوله أيضاً: "ولقد فتح الثعالبي في بحث السرقات باباً توهّم بعض المعاصرين أنه من مبتكرارت النقاد الغربيين، وهو باب السرقة الشخصية أو تكرار الشاعر أفكاره وعباراته وصورة الشعرية".[٤]

هذا مع إقرار الجادر بأنّ هذا النوع من السرقة أن القاضي الجرجاني هو أوّل من لاحظه. ومثلما عقد الثعالبي دراسة لسرقات المتنبئ عقد مثلها عند سرقات السري فقال: "ولما جَدّ السري في خدمة الأدب وإنتقل عن تطريز الثياب إلى تطريز الكتاب، فشعر بجودة شعره، ونابذ

---

[١] المرجع السابق نفسه، ج ١ ص ١٢٢.

[٢] المرجع السابق نفسه، ج ١ ص ١٢٢.

[٣] الجادر: الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ٣٣٢.

[٤] الجادر : الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ٣٣٣.

الخالدين الموصليين وناصبها العداوة وأدّعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره، جعل يورق وينسخ ديوان شعر أبي الفتح كُشاجم، وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد، والسري في طريقة يذهب، وعلى قالبه يضرب، وكان يدرس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين، ليزيد في حجم ما ينسخه،...، فمن هذه الجبهة وقعتُ في بعض النُسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة منها...) .[1]

وتحدث عن سرقات السري فقال: "ولما وجدت السري أخذ جديد القميص في حُسن السرقة وجودة الأخذ من الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته".[2]

وفعل معه مثلما فعل مع المتنبئ من دراسة لهذه القضية النقدية، وتناول كذلك سرقات ابن الحجاج فأشار إلى سرقاته من الشعراء، وبعض مما تكرر في شعره من معانيه.[3]

وتحدث كذلك عن أبي المعلى بن الصلت المعروف بناقد الكلام اليماني فقال: "ورد نيسابور متطرقاً لها إلى غزنة، وأدعى أكثر مما يحسن، وأنشد لنفسه شعراً كثيراً".[4]

وتختلف دراسة الثعالبي للسرقات عن سابقيه لانّه تناولها كدراسة تأصيلية لشعر الشاعر في ألفاظه ومعانيه خِلافاً لسابقيه الذين دار أغلب تناولهم لهذة القضيّة حول اللفظ والمعنى والغرض أيهما صاحبه وأيهما السارق دون الإلتفات إلى أصالة الشعر ونحلِه مثلما فعل الثعالبي .

ثالثاً: الموازنات:

الموازنات بين الشعراء والكُتاب والأدباء من الموضوعات التي دَرَج الثعالبي عليها في كتابه، والموازنات من القضايا النقدية التي أثارها النُقَّاد قبل الثعالبي، والمتتبع لموازنات الثعالبي يلاحظ أنه وازن بين أغراض وأساليب من تناول إنتاجهم الأدبي، وجعلها من الأسس التي أقام عليها ذكره لبعض الكتاب والأدباء والشعراء.

---

[1] الثعالبي: اليتيمة، ج ٢ ص ١١٥ – ١١٦.

[2] المرجع السابق نفسه، ج ٢ ص١١٨.

[3] المرجع السابق، ج ٣ ص ٨٣.

[4] المرجع السابق نفسه، ج ٤ ص ٣٢٣.

وجاءت أوجه الموازنة عنده على النحو التالي:

أولاً: الموازنة بين القديم والجديد من الشعر:-

تنجلي نتيجة تلك الموازنة بتفضيلة الشعر المحدث ورفضه القديم كما رأينا ذلك في قضيّة القديم والجديد ومن ثم جاء كتابه بعنوان: "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"، أورد تعليلات فضّل بموجبها المحدث على القديم ومن ذلك قوله: "... وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين، لإنتهائها إلى أبعد غايات الحُسن، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز، ومن حد الشعر إلى السحر".[1]

فالثعالبي هنا إستخدم الموازنة كحكم نقدي لحسم قضية القديم والمحدث، وإستخدم عبارات التفضيل مثل العبارات "أجمع لنوادر المحاسن"، و"أنظم للطائف البدائع"، هذا بالإضافة إلى إستخدامه التعليل في قوله: "لإنتهائها إلى أبعد غايات الحسن"، وبناءً على تلك الموازنة وقع إختياره على الشعر المحدث (العصري) لأنّه وجد فيه ميّزة يخلو منها القديم، خاصة أنه أقرب إلى القلب وأعلق بالنفس لأن معانيه وألفاظه واقعاً معاشاً ، هذا بالإضافة إلى نظرته للشعر من زاوية أنّه فنٌ له أصوله وقواعده التي يقوم عليها .

ثانياً: الموازنة بين بيئات الأدب:

ولم يقف الثعالبي بين الشعر القديم والعصري بل تعدى ذلك إلى الموازنة بين بيئات الأدب نفسها، وفضّل بذلك بيئة على أخرى، وجوده وكثرة إنتاج شعر كل بيئة مقارنة بغيرها من البيئات، ومن ذلك موازنتة بين بيئة الشام وغيرها من البيئات، ومن ذلك أفرد فصلاً بعنوان: "فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان"، وإعتمد في تلك الموازنة على مقياس نقدي سبق الحديث عنه، حيث أشار إلى أن عرب الشام أقرب إلى خطط العرب على من سواهم، وبناءً على ذلك كان شعرهم أجود من غيرهم، والموازنة هنا قائمة على أساس لغوي مفاده أن عرب

[1] الثعالبي يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر ، ج ١ ص ٢٥.

الشام لم تتأثر ألسنتهم مثلما تأثر شعراء العراق وفارس وغيرهما من البيئات الإسلامية فقال: " ... والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر: قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز، وبعدهم عن بلاد العجم، وسلامة ألسنتهم من الفساد..." .[1]

ويلاحظ الباحث أن الثعالبي إعتمد في موازنته السابقة على الذوق العام المتمثل في ذوق العصر الذي يميل بطبعه إلى الجديد وبناءً على ذلك فضل الشعر العصري، وفي الثاني إعتمد في موازنته على مقياس لغوي، ارجع فيه إختياره وتفضيله إلى فصاحة القول وسلامة اللسان من الفساد ، هذا بالإضافة إلى الفوارق التي لاحظها بين البيئات المتباينة وأثر ذلك على جودة وكثرة الشعر .

ثالثاً: موازناته بين الشعراء والكُتّاب:

عقد الثعالبي موازنات بين من أوردهم في كتابه، وهذه الموازنات تقوم على التشابه في الأساليب أو الأغراض الشعرية، وجعل تلك الموازنات من الأسس التي تم بموجبها إختيار من يذكره كما تقدم الحديث عن ذلك.

ومن أوجه الموازنة عنده:

الموازنة بناءً على الأساليب الشعرية ومن ذلك كإستخدام التشبيهات، لتعليقه عن أبيات لسيف الدولة:

وساق صبيح للصبوح دَعوته فقام وفي أجفانه سِنة الغِمضِ

يطوف بكاسات العقار كأنجم فمن مبيضَّ علينا ومنفضَّ

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوِّ دكناً والحواشي على الأرضِ

[1] الثعالبي: اليتيمة، ج ١ ص ١٩.

يطرزها قوس الغمام بأصفر على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مُبْيضِ

فعلّق عليها بقوله: "وهذا من التشبيهات الملكويّة التي لا يكاد يحضر مثلها السوَقة ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال:-

وانظر إليهِ كزورقٍ من فضةٍ قد أثْقَلتهُ حُمولةٌ من عنبرٍ[1].[2]

ومن أمثلة موازنته بناءً على طريقة النظم والغرض الشعري ما أجمله الثعالبي بقوله عن شعر أبو فراس الحمداني فقال الثعالبي: "وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة،...، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلاّ في شعر ابن المعتز".[3]

ومن ذلك أيضاً حديثه عن أبي حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق: "هو بالشام كابن حجاج بالعراق".[4]

وغير ذلك من أنواع الموازنة التي تقوم على أغراض أو أساليب شعرية.

رابعاً: قضية أصالة الشعر: أو ما يعرف بتحقيق النص الشعري عند النُقاد المحدثين.

إهتم الثعالبي في كتابه "اليتيمة" بهذه القضية، ونلاحظ ذلك واضحاً في إهتمامه بالرواية، وخاصة أننا تحدثنا عن مشافهة الثعالبي من يورد أشعارهم فيستخدم عبارة "أنشدني لنفسه كذا"، وهذا الغالب في كتابه وبجانب ذلك يعتمد الرواية ممن شافهوا الشعراء هذا فضلاً عن تحريه صحة النص بالرجوع إلى المصادر والمراجع التي قامت بتدوين النصوص حتى يتحقق من صحة النص ونسبته إلى قائله.

ومن نماذج تحقيق النص عند الثعالبي، والخاص بالمشافهة للرواة قوله:

---

[1]- ابن المعتز : أبوالعبّاس عبدالله بن المعتز بن المتوكل على الله بن المعتصم ، ديوان ابن المعتز ، شرح : د: يوسف شكري فرحات ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

[2] الثعالبي: اليتيمة، ج ١ ص ٤١.

[3] المرجع السابق نفسه، ج ١ ص ٤٤.

[4] الثعالبي: اليتيمة، ج ١ ص ٢٩١.

"وأنشدني أبوالحسن العلوى الهمذاني قال: أنشدني سبف الدولة لنفسه وأنا أراه في صباه قوله:

أقبّله على جزع كشُرب الطائر الفَزِع

رأي ماءً فأطعمه ولم يلتذ بالجزع.[١]

وكذلك قوله: "وأنشدني غيره للخليع وأنا أشك فيه".[٢]

ومن ذلك قوله أيضاً عن شعر الوأوأ الدمشقي: "...ثم ألحق ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان. وهو غير ثقة في الرواية والحكاية".[٣]

وقوله عن شعر الوأوأ الدمشقي أيضاً: "ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له، ووجدته في ديوان شعره".[٤]

إنّ الثعالبي حين يسمع الرواية يرجع إلى المصادر للتحقق من صحتها ونسبة صحتها كذلك إلى قائلها، هذا بجانب تحريه صدق أو كذب الراوي والرأي السائد حول روايته.

وبجانب تحقيق النص الشعري وأصالته نلاحظ إهتمامه بانتحال الشعر كقوله :- (على انتحاله كثيراً من أشعار أهل عصره – شاعراً لا بأس بكلامه..." [٥]

ومن ذلك أيضاً حديثه عن أبي المعلى بن الصلت المعروف بناقد الكلام اليماني قوله أي الثعالبي: "وأدعى أكثر مما يحسن وأنشد لنفسه شعراً كثيراً". [٦]

ومن أوجه تحقيق النص عنده حديثه عن تضمينات لأبي بكر الخوارزمي حيث أورد له أبيات في وصف الناقة:

---

[١] الثعالبي اليتيمة، ج ١ ص ٤١.

[٢] المرجع السابق نفسه، ج١ ص ٢٥٤

[٣] المرجع السابق نفسه، ج١ ص ٢٥٥.

[٤] المرجع السابق نفسه، ج١ ص ٢٥٥.

[٥] الثعالبي : اليتيمة ، ج٤ ص ٢٩٧.

[٦] المرجع السابق نفسه، ج٤ ص ٣٢٣.

بجسرةٍ قائدها براها في السير، بل سائقها جلاها

قد كَتب العنقُ على ذكرها أي قلوص راكب تراها

فعلق الثعالبي عن عجز البيت الأخير بقوله :-(والبيت جاهلي قديم). [1]

هذا بجانب إيراد الثعالبي بعض الأشعار وإشارته إلى أنها منحولة.

خامساً: قضيّة اللفظ والمعنى:

قضية اللفظ والمعنى من القضايا التي تناولها الثعالبي في كتابه، وجعلها من الأسس التي بنى عليها إختياراته الشعرية والنثرية، والمتتبِّع لكتابة "اليتيمة" يلاحظ أنّه أختار أغلب أشعاره في الكتاب بناءً على الألفاظ والمعاني مما يدل على إهتمام الثعالبي بتلك القضية النقدية.

والثعالبي في نظرته للشعر لم يقطع بأنه لفظ فقط أو معنى فقط، ولكن من خلال تعليقاته إنه يرى أن الشعر لفظ ومعنى.

واللفظ عنده ما كان رقيقاً وسهلاً على اللسان واستوفى نصيبه من شروط الفصاحة، هذا بالإضافة إلى إستيفائه حظه كذلك من المحسنات البديعية ومن ذلك قوله عن أبي الفتح البُسْتي: "صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس البديع التأسيس، وكان يسميه المتشابه، ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة". [2]

فالثعالبي هنا من خلال تعليقاته يتبين إعجابه بالرشاقة اللفظية، وسهولة أدائها، ونلاحظ ذلك في كل إختياراته الشعرية التي تمت على أساس الألفاظ، ولعل أوضح هذه الأحكام قوله في وصف شعر عبد الصمد بن بابك قوله "الثعالبي": "شاعر شعاره إحسان السبك وإحكام

---

[1] المرجع السابق نفسه، ج٤ ص ١٤٥.

[2] الثعالبي : اليتيمة، ج٤ ص ٢٢٢.

الرصف وإبداع الوصف يشبه كلامه مرة في الجزالة والفصاحة كلام المفلّقين من الشعراء المتقدمين، ويناسب تارة في الرشاقة والملاحة قول المجيدين من المحدثين والمولّدين".[١]

فالثعالبي يرى أن اللفظ يجب تتوفر فيه الخفّة والسهولة عند النطق كما عند الزخارف اللفظية، وهذا ما ذهب إليه الدكتور الجادر بقوله: "وبعد، فإننا نستطيع أن نحدد معايير الثعالبي في أحكامه على الألفاظ تحديداً دقيقاً من خلال فهمنا لما كان يتقسم نفسه من إعجاب بأساليب أدباء عصره المغرقة في إستعمال الزخارف البديعية، فكان من نتاج ذلك أن إتخذ لنفسه موقفاً وسطاً بين هذا وذاك، مبدياً إعجابه بأساليب أدباء عصره، على أن لا يطغى عليها الزخُرف اللفظي طغياناً يذهب برونقها، داعياً إلى العودة إلى الطبع وما يقتضيه من سهولة اللفظ وبساطة التركيب، فكان موقفه دعوة لاإلى التوفيق بعين الجديد الذي يرضي ذوق العصر، والقديم الذي لا يبتعد عن طبيعة الشعر العربي القديم إبتعاداً كبيراً". [٢]

هذا عن الألفاظ أما المعاني عنده فهي أن تلائم الذوق العصري دون النظر إلى مقياس نقدي آخر. أي دون أن يضعها على قالب القدماء ، ونلاحظ إهتمامه بالمعاني في قوله عن قصيدة أبي محمد الخازن في الإعتذار قوله "أي الثعالبي": "قصيدة في معناها هي أحسن عندي من إعتذارات النابغة للنعمان، وإبراهيم بن المهدي إلى المأمون، وعلي بن الجهم إلى المتوكل". [٣]

والثعالبي في حديثه عن الألفاظ والمعاني لم يفضل أحدهما على الآخر، بل جاءت إختياراته الشعرية والنثرية بناءً عليهما معاً، مما يوحي بأنّه يؤمن بأنّ الشعر لفظٌ ومعنى، وهذا ما قال به ابن رشيق في باب اللفظ والمعنى حيث أورد قائلاً: "اللفظ جسمٌ وروحه المعنى، وإرتباطه به كإرتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته. فإذا سَلم المعنى وإختل بعض اللفظ

---

[١] المرجع السابق نفسه، ج٣ ص ٣٤٢.

[٢] الجادر: الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ٣٥١.

[٣] الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج٣ ص ٣٠١.

كان نقصاً للشعر وهُجْنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعَور – وما أشبه ذلك – من غير أنْ تذهب الروح...". [1]

والثعالبي بذلك يقف موقفاً وسطاً في تلك القضية، فلم يكن من أنصار اللفظ ولا من أنصار المعنى، بل جاء إختياره للشعر وأحكامه عليه بناءً عليهما معاً، وإجمالاً دون أن يخوض في التفاصيل، فهو يساوي بينهما ويرى أنهما مكملان لبعضهما في أداء الغرض الشعري والنثري على السواء.

[1] ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج١ ص ١١٢.

المبحث الرابع

دراسة الثعالبي حول شعر المتنبئ

يرى الباحث أن يُفْرِد مبحثاً خاصاً للدراسة التي عقدها الثعالبي حول المتنبئ في الفصل الخامس من كتابه (اليتيمة) ، وذلك نظراً لتميُز هذا الفصل عن غيره من فصول الكتاب من حيث الملاحظات النقديّة بجانب الإسهاب في الحديث عن هذا الشاعر ، وكذلك إنّ هذا الفصل يبيّن آراء الثعالبي النقدية بجانب رأيه كذلك عمّا كُتِب وأُثير حول الشاعر وشعره .

وقبل الحديث عن ملاحظات الثعالبي يرى الباحث أن يُلْقي نبذة موجزة عن المؤلفات والرسائل التي كُتِبت حول المتنبئ ، حيث أهتم النقاد وأهل الأدب واللغة كثيراً بشعره ، وذلك لإحتلال الشاعر وشعره مكانة عظيمة في التراث الأدبي والإسلامي في القرن الرابع لأنّه تجوّل في الشام والعراق ومصر ، وأنّ شهرة المتنبئ كانت على قدر النُّقاد فيه وأنّ شعره قد إختلف العلماء كثيراً حول قيمته ومكانته مما أدّى إلى كثرة المؤلفات والشروح حوله .

والمتتبع لما كُتِب حول شعر المتنبئ يلاحظ أنّ التأليف فيه بدأ بالشرح لشعره ، ثمّ رسائل الإنتقاد التي وُجِهت له ، ثُمّ المؤلّفات النقديّة ويرى الباحث أنْ يتناول الموضوع على هذا النّحو .

أولاً :- الشروح :-

أ- ومن أهمّ الشروح ما كتبه ابن جنّي المتوفّى ٣٩٢هـ في كتابه (الفِسر) ، تحقيق : صفاء الخلوصي ، وقد طُبِع في جزئين ببغداد الأول بمطبعة دار الجمهورية سنة ١٩٧٠م ، والثاني في مطبعة الشعب سنة ١٩٧٨م ، وهو من أهمّ الشروح التي كتبها القدماء وأعظمها قيمة ، واهتمّ هذا الشرح بالجانب اللغوي والنحوي دون الملاحظات النّقديّة الأُخرى .

ب- ومن الشروح أيضاً كتاب : (الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي) ، لابن جنّي أيضاً ، حققه : محسن غيّاض ، ونشرته دار الحرية في بغداد سنة ١٩٧٣م ، وقد تبِعَ ابن جنّي في هذا المؤلّف طريقة مغايرة (للفِسر) من حيث التوسُّع في قضايا اللغة والإعراب ، وإنّما قَصَد إلى المعنى

مُعوِّلاً على ما أجازه المتنبي وقت الإجتماع معه ، وكان يُورد الأبيات الغامضة مرتّبة على حروف المعجم ويثبت لكل بيت المعنى الذي يخرج به منه .

ج- الواضح في مشكلات شعر المتنبي :- لأبي القاسم بن عبدالله بن عبدالرحمن الأصفهاني ، المتوفى (٤١٠)هـ ، حققه محمد الطاهر بن عاشور ، طُبِع في تونس (الدار التونسية) سنة ١٩٦٨م ، واتبع الأصفهاني نهجاً في هذا الكتاب قال فيه :- (والشرط فيها أن أورد في كل بيت أثبته لفظ أبي الفتح عثمان بن جنّي بلا زيادة أو نقصان ثمّ أتعقّبه بما يقتضيه النظر وشواهد الشعر والعربيّة)،[1] والملاحظ أنّ الشروح التي وضعها الأصفهاني في هذا الكتاب لاتختلف عن شرح ابن جني كثيراً إلا بالمقدار الذي تزيده وضوحاً .

وأصدر الأصفهاني حكماً على شعر المتنبي حين قال :- (وجملة القول في المتنبي أنّه من حُفّاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من الغريب المصنّف . وأمّا الحكم عليه وعلى شعره ، فهو سريع الهجوم على المعاني ونعْت الخيل والحرب من خصائصه . وما كان يرادّ طبعه في شيئ مما يسمح به ، يقبل الساقط الرذِل كما يقبل النّادر البدع ، وفي متن شعره وَهْيٌ ، وفي ألفاظه تعقيد وتعويص)[2] .

ثانياً :- رسائل الإنتقاد :-

بجانب التفسير هناك رسائل كتبها أصحابها عن شعر المتنبي منها :-

أ- الرسالة الحاتميّة المعروفة ب(الموضِّحة في ذكر سرقات أبي الطيّب المتنبي وساقط شعره) ، لأبي علي بن الحسن بن المظفّر المعروف بالحاتمي ، المتوفى سنة ٣٨٨هـ ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، طبعتها دار صادر – بيروت ١٩٦٥م .

وهذه الرسالة كُتِبت بإشارة من الوزير المهلّبي للأخذ من المتنبي ، والمتتبّع للرسالة يلاحظ عليها روح التحامُل والحطُّ من قيمة المتنبي ، وفيها انتقد الحاتمي على المتنبي الأبيات التي لم يُحْكِم

[1] الأصفهاني :- أبوالقاسم بن عبدالله بن عبدالرحمن الأصفهاني ، الواضح في مشكلات شعر المتنبي ، تحقيق : محمدالطاهر بن عاشور ، الدار التونسيّة للطباعة والنشر – تونس ١٩٦٨م ، ص٦ من مقدمة المؤلف .
[2] المرجع السابق نفسه ، ص٢٧ .

صياغتها وردّها عليه ، ثُمّ رماه بالإتهام في الجيِّد من شعره بأنّه كان يسرق من أشعار السابقين ، ويقول إنّ المتنبي كان يُكْثِر من أخذ أشعار البحتُري وأبي تمّام ، وأورد الحاتمي في خواتيم رسالته إنتقادات لشخص المتنبي دون الإشارة إلى شعره إذْ قال :- (وخرج — المتنبي- مارّاً على وجهه ، شارِداً شِرَاد الظليم ، ولم يُقِم إلاّ ريثما تأهّب للسفر ، فارتحل عن العِراق متوجهاً إلى الكوفة . وقد استخفّ أحداث المتأدبين طمعاً فيه ، وتناولته الشُّعراء بهجائها ، ورماه عن قوس العداوة من لم يرمه قبل عنها ، حتّى مُزِّق أديمه ، وفُرِي فري الإهاب عِرضه ... ، وقد كُنتُ اقتدْته بعنان الصَّغار قَوْد الجنيب ، فلم يستطِع مقاماً بمدينة السلام)[1].

ب- الكشف عن مساوي المتنبي :- التي كتبها الصاحب بن عبّاد المتوفّى ٣٨٥هـ ، ومن القدماء من رأى أنّ الصاحب كتب هذه الرسالة مدفوعاً بالغيظ عليه لأنّه لم يلبّي دعوته ويحضر إلى بلاطه كغيره من الشعراء ، ومن أولئك الثعالبي حيث قال :- (إنّ الصاحب طمِع في زيارة المتنبئ إيّاه بأصفهان ، وإجرائه مجرى مقصوده من رؤساء الزمان ، ...، فلم يقم له المتنبئ وزناً ، ولم يجبه على كِتابه ولا إلى مراده . فاتخذه الصاحب غَرَضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبّع عليه سقطاته في الشعر)[2].

ومن خلال حديث الثعالبي يتضح أنّ غرض هذه الرسالة النيل من المتنبئ وليست دراسة نقديّة ، وكَتَب الصاحب رسالة أخرى تحت عنوان (الأمثال السائرة من شعر المتنبئ) حققها الشيخ محمّد حسن ياسين ، طُبِعتْ بدار المعارف ببغداد ، وهذه الرسالة أكثر إنصافاً من سابقتها .

هذا عن الشروح والرّسائل ، أمّا المؤلّفات فقد أكثر مؤلفيها حول المتنبئ وتعددت رؤاهم النقديّة حول الشاعر وشعره ، وأهمّ تلك المؤلفات كتاب (الوساطة بين المتنبئ وخُصومه) للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفّى ٣٩٢هـ ، ويمتاز كتاب الوساطة بأنّه كتاباً يتصل بالنقد منهجاً وموضوعاً ، ويذكر مكانة أبي الطيّب في الشعر ، لذلك لقي إنتشاراً وقبولاً

[1] الحاتمي :- أبوعلي الحسن بن المظفّر المعروف بالحاتمي ، الموضّحة في ذِكر سرقات أبي الطيِّب المتنبي وساقِط شعره ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت – لبنان ١٩٦٥م ، ص١٩٥ .
[2] الثعالبي : يتيمة الدّهر ، ج١ ،ص١٢١ .

واسعاً وصدى كبيراً لدى القدماء والمعاصرين ، لأنّ مؤلّفه نظر فيه إلى شعر المتنبي دون النظر إلى التحامُل على الشاعر كما هو الحال في الرسائل المتقدّم ذكرها التي كان هدفها النّيل من الشاعر لأسباب لا صلة لها بالأدب ، هذا بجانب مؤلفات أخرى ، فضلاً عن التعليقات حول شعره في ثنايا الكتب النقديّة .

كل تلك المؤلّفات تدل على عظمة وشهرة هذا الشاعر مما دفع يوسف البديعي إلى القول :- (ولم يُسْمع بديوان شعرٍ في الجاهليّة ولا في الإسلام شُرِح هكذا مثل هذه الشُروح الكثيرة سوى هذا الديوان ، ولا تداول على ألْسِنة الأُدباء في نظمٍ أو نثر أكثر من شِعر المتنبئ)[1] .

وكذلك قال ابن خلكان :- (وأعتنى العُلماء بديوانه فشرحوه ، وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم : وقفت له على أكثر من أربعين شرحاً ما بين مطوّلات ومختصرات ، ولم يُفْعل هذا بديوان غيره . ولا شكّ أنّه كان رجلاً مسْعُوداً ورُزِق في شعره السعادة التّامّة)[2] .

أمّا الثعالبي فقد قدّم دراسة نقديّة حول المتنبئ أثارت ملاحظات كثيراً من النقّاد وأهل الأدب حتّى راح بعضهم يستبعد كون الثعالبي ناقداً لولا ذلك الفصل من كتابه (اليتيمة) كالدكتور إحسان عبّاس الذي أورد قائلاً :- (ومن كل ما تقدّم نستطيع أنّ ننصف الثعالبي حين نقول إنّه ليس يُعدّ في النُقّاد ، ولا حتّى مؤرّخي الأدب ، ولو لا فصله عن المتنبئ ، لكان إدراجه في باب النقد تزيّداً لا يجد له مسُوغاً)[3] .

والمتتبّع لدراسة الثعالبي حول المتنبئ يلاحظ عليها الآتي :-

أولاً :- إنّ الثعالبي لخّص جوانب المعركة النقديّة التي دارت حول الشاعر بفارس ، وبدأها بأسباب تأليف الصاحب بن عبّاد لرسالته في الطّعن على المتنبّئ فقال :- (... وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز — الحديث عن المتنبئ- فأسفرت سفرته عن بلوغ الأُمنية ، وورد مشرع المنية ، واتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبّع عليه سَقطاته في شعره وهفواته ، وينعي

[1] يوسف البديعي : الصبح المنبئ عن حيثيّة المتنبئ ، تحقيق مصطفى السقّا وآخرون ، مطبعة دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٦٣م ، ص٢٦٩ .
[2] ابن خلّكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج١ ، ص١٢١ .
[3] الدكتور :إحسان عباس ، تأريخ النّقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتّى القرن الثامن الهجري) ، ص٣٧٧ .

عليه سيئآته ، وهوأعرف النّاس بحسناته ، وأحفظهم لها ، وأكثرهم إستعمالاً إيّاها وتمثُلاً بها في مُحاضراته ومكاتباته ، وكان مثله معه ...)[1] .

ثُمّ عمد الثعالبي إلى كتاب (الوساطة) للقاضي الجرجاني فأورد أنّ القاضي الجرجاني ألّفه للرد على كتاب الصاحب فقال :- (ولما عمِل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبئ عمل القاضي أبوالحسن كتاب (الوساطة بين المتنبئ وخصومه في شعره) فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخِطاب وأعرب عن تبحُّرِهِ في الأدب ، وعلم العرب ، وتمكّنه من جودة الحفظ وقوّة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح)[2] .

لقد حدّد الثعالبي موقفه من الدراستين حين أشار إلى ما في (رسالة الصاحب) من دوافع شخصيّة جرّت إلى التحامل وتتبُع السقطات والهفوات ، وما في كتاب الوساطة من إصابة لِشاكلة الصواب ، وبذلك إنّ الثعالبي قد أعلن وقوفه إلى جانب أنصار المتنبئ من خلال تعليقه على كتاب (الوساطة) وإشارته إلى معرفة الصاحب بمحاسن شعر المتنبئ وإستخدامه له في مكاتباته ومحاضراته.

ثانياً :- إنّ الثعالبي أقام رأيه النّقدي بناءً على الإستنتاج العقلي حين لاحظ كثرة المؤلّفات حول الشاعر من كتبٍ ورسائل وكذلك الإستشهاد بشعره في مجالس الدرس فقال :- (فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيّب من مجالس الأنس ولا أقلام كُتّاب الرسائل ، أجرى به من ألْسُن الخُطباء في المحافل ، ولا لحون المغنين والقوّالين ، أشغل به من كُتب المؤلفين والمصنّفين . وقد أُلِّفتْ الكتب في تفسيره ، وحل مُشْكِله وعويصه ، وكثُرتْ الدفاتر عن جيّده ورديئه ، وتكلّم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعُونه . وتفرّقوا فِرقاً في مدْحِه والقدْح فيه والنّضح عنه ، والتعصُّب عليه . وذلك أوّل دليل وفور فضله وتقدُّم قدمه ،

[1] الثعالبي : يتيمة الدّهر ، ج١ ، ص١٢١ .
[2] المرجع السابق ، ج٣ ، ص٣٩٢ .

وتفرُّده على أهل زمانِه ، بملك رِقاب القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل مَن عُدّت سقطاته ، والسعيد مَن حُسِبتْ هفواته ، وما زالت الأملاك تُهجي وتمدح)[1] .

ثالثاً :- إنّ الثعالبي شرح منهجه في هذه الدِّراسة فقال :- (وأنا مورِد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يُستهجن من مذاهبه في الشِّعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونه وعيوبه ، والإشارة إلى غُرره وعُرره ، وترتيب المخْتار من قلائده وبدائعه ، بعد الأخْذ بطرفٍ من طرق أخباره ومُتصرّفات أحواله ، وما تكثر فوائده وتحلو ثمراته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميُّزه عن أصحابها بعُلوِّ الشّأن في شِعر الزمان ، والقبول التّام عند أكثر الخاص والعام)[2] .

سجّل الثعالبي ثمانية عشر مأخذاً على المتنبئ كُلّها مما أشار إليه الجرجاني أو الصاحب أو الحاتمي ، فهو بجانب جهوده في جمع تلك الآراء قدّم بعض التعليلات النقديّة وزاد في بعض الشواهد ، وتكمن قيمة هذه الدِّراسة في أنّها صورة تأريخية لما أخذه النّقاد من عيوب عن المتنبئ سلم بها الجميع فجمعها الثعالبي في كتابه .

أمّا في دراسته لمحاسن شعره فقد سجّل عشرين ملاحظة نقديّة أستنبطها من ديوان الشاعر ، وسار على هذا النّهج في بقيّة دراسته من جمع واستنباط وتعليق نقدي وتعليل أدبي.

وقد حمل هذا الفصل خصائص الكتاب المستقل من حيث تناوله للمادة العلميّة وجمعها وترتيبها والمنهج المتّبع في الدراسة ، وأشار الثعالبي إلى أنّه كان يريد أن يكون هذا الفصل كتاباً مستقلاّ فقال :- (وقد جمع بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصييره كتاباً براسه في أخبار أبي الطيَّب والإختيار من أشعاره والتنبيه إلى محاسنه ومساويه ، وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كِفاية وبه غنية ، فإن أحبّ إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حده ، ...)[3].

[1] الثعالبي : اليتيمة ، ج١ ، ص١١٢- ١١٣ .
[2] المرجع السابق نفسه ، ج١ ، ص١١٣ .
[3] المرجع السابق ،ج١ ، ص٢١١ .

وقد اهتمّ النُّقاد (قدماء ومحدثين) والباحثين والدّارسين كثيراً بالفصل الخاص بالمتنبي الذي أورده الثعالبي في كتابه (اليتيمة) ومن أولئك يوسف البديعي[1] الذي نقل هذا الفصل كاملاً ، وكذلك باكثير الحضرمي[2] الذي نقل أغلب مادته .

ومن النّقاد من وقف عند هذا الفصل كالدكتور محمد مندور الذي قدّم ملاحظات متناقضة حول هذا الفصل وخَلُص في آخِر كلامه إلى أهميّة هذا الفصل فقال :- (هذه بعض النتائج التي نستطيع أن نستخلصها من ملاحظات الثعالبي القيّمة نكتفي بها وإن كُنّا نظن أن فيها مفتاح فهمنا لنفسيّة هذا الشاعر العظيم الذي ملأ الدُّنيا وشغل النّاس)[3] .

ومن النُقاد أيضاً الدكتور إحسان عبّاس الذي أورد قائلاً :- (ومن كل ما تقدّم نستطيع أن ننصف الثعالبي حين نقول إنّه ليس يُعدُّ في النقاد ، ولا حتّى في مؤرخي الأدب ، ولولا فصله عن المتنبي ، لكان إدراجه في باب النقد تزيُّداً لا يجد له مسوغاً)[4] .

ومن الباحثين الذين وقفوا عند هذا الفصل الدّكتور حسين الواد الذي أورد قائلاً :- (هذا الفصل المطوّل على حظ وافر من الأهميّة سواء من حيث المادة التي توفّر عليها عندما سجّل فيه الثعالبي مواقف خصوم الشاعر وآراء أنصاره في شعره ، أو من حيث النّقد الذي أخذ به فيه ومكّنه من الوقوف على كثير من الخصائص البارزة التي يتميّز بها شعر المتنبي عن أشعار سائر الذين عاصروه)[5] .

وخلاصة الأمر إنّ الثعالبي في نقده تعرّض بصورة مُجْملة للعوامل المؤثِّرة في الأدب ، فتعرّض للبيئة بشقيها (الزماني والمكاني) فاقتصر على الشعر المحدث (العصري حسب تسميته له) في بيئآت الدولة المختلفة في الشام والعراق وفارس والأندلس ، هذا بالإضافة للبيئة الخاصة المتمثلة في بيئة الملوك ودورها في تطوير الشعر، وكذلك المذاهب الدينية وأثرها على الشعراء والكُتّاب.

---

[1] أنظر الصبح المنتي عن حيثية المتنبي .
[2] أنظر تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيِّب من الحسُن والمعيب .
[3] الدكتور محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، ص٣١٩ .
[4] الدكتور إحسان عبّاس : تأريخ النّقد الأدبي عند العرب،ص٣٧٧ .
[5] الدكتور حسين الواد : المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب ، ص٥٤ .

وتحدّث عن أثر الحياة السياسيّة والإجتماعية والثقافيّة على الشعر من حيث معانيه وأغراضه وألفاظه ، وتناول كذلك الإتصال بين الشعوب وأثره على الأدب كإجتماع الشعراء على بلاط سيف الدولة وكذلك إجتماعهم عند الصاحب من مختلف البلاد ومختلف الجنسيات ، وتحدّث كذلك عن دور النقد في توجيه الشعر وجودته ، هذا فضلاً عن معاييره النقديّة في إختياره للأشعار والنّثر ، وأيضاً حديثه عن القضايا النقديّة التي تعرّض لها في كِتابه .

وبذلك إنّ الكتاب موسوعة نقديّة ضمّت كل ملاحظات العلماء السابقين له ، وكذلك حوت جهوده النّقديّة ممّا جعل للكتاب أهمّية بين النُّقاد والباحثين .

ومما تقدّم يمكن تلخيص القيمة الأدبية و النّقديّة للكتاب في الآتي :-

أولاً :- إنّ المؤلِّف تناول أدب القرن الرابع وصدر الخامس الهجري من شعرٍ ونثر ، فعرّف بشُعرائه وكُتّابه ، مع إنتخاب ذلك الإنتاج الذي تناول قضايا الحياة آنذاك ، لذلك جاء الكتاب صورة دقيقة عن الحياة بجميع مناحيها .

ثانيا : - اعتمد المؤلِّف في روايته على مشافهة من أورد أشعارهم أو مشافهة رواة تلقوا من الشعراء ، ثمّ يرجع للمخطوطات لتوثيق ما كتبه (يتحقق من صحّة نصوصه) .

ثالثاً :- تناول في كتابه آراء وموضوعات وقضايا نقديّة ، هذا فضلاً عن دراسته للأدب من خلال البيئة ، وهو ما نقوم به اليوم في دراساتنا .

فالكتاب بذلك يمثل الأدب من جهة تناوله لموضوعاته الشعريّة و النثريّة ، ويمثّل كذلك النّقد من حيث الأُسس التي وُضِع عليها منهج الكتاب ، ثُمّ المقاييس النّقديّة لإختيار الأشعار (كل تلك الملاحظات النّقديّة التي أوردها تمثل المؤثرات العامة في الأدب) .

ويمثِّل التراجم كذلك من حيث الكم الهائل من الشعراء والكُتّاب الذين أوردهم في كتابه واعتمد عليه أصحاب التراجم من بعده ، هذا فضلاً عن بعض الشعراء الذين لم يُذكروا إلاّ في اليتيمة مما عُرِفوا بشعراء اليتيمة ، فالثعالبي بذلك تناول الأدب من جميع زواياه ، ودرس مشاهير رجاله و أعلام كُتّابه .

الخاتمة

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد خاتم الأنبياء والمرسلين ، بعد دراسة الجهود الأدبيّة والنقديّة للثعالبي في كتابه (يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر) ، والتي اعتمد الباحث في دراستها على المنهج الإستقرائي الإستنباطي القائم على تتبُّع النصوص ، توصلت الدراسة إلى نتائج يجزم الباحث بأنّها حاسمة ، لكنّه جهد بشر عُرضة للخطأ أو الصواب ، وذلك لعدم تناول المراجع للموضوع بصورة مُفصّلة تُعين الباحث بصورة أكبر مما جعل الأمر صعباً على الباحث مما أضطره للرجوع إلى مؤلفات الثعالبي نفسه للإستعانة بها ، وبعد ذلك توصّلتْ الدراسة إلى النتائج والتوصيات التالية :-

أولاً :- النتائج :-

أولاً :- إنّ الكتاب من حيث منهجه وتناوله للموضوعات يختلف عن كتاب البارع لهارون بن علي المنجم ، وذلك لأنّ الثعالبي تناول الشعراء والكُتّاب حسب بيئآتهم و أقاليمهم لذلك فالكتاب ليس ذيلاً للبارع كما زعم البعض .

ثانياً :- إنّ أصحاب التراجم (قدماء ومحدثين) لم يهتمّوا بتفاصيل حياة الثعالبي في مراحلها الأولى قدر إهتمامهم بآثاره العلميّة ، ويرجع ذلك إلى طبيعة نشأة حياته التي لم تتح له الشهرة في أوّل عهده .

ثالثاً :- إنّ الثعالبي في منهجه خالف المؤلفين قبله ، لأنّه ربط تأليفه للكتاب بعاملي الزمان والمكان ، واعتبر ذلك شرطاً أساسياً لتأليف الكتاب خلافاً للقدماء الذين يتناولون الظواهر الأدبيّة في مختلف عصور الأدب .

رابعاً :- إنّ الكتاب مصدراً مهماً في دراسة الحياة الأدبيّة التي صورها أدب القرن الرابع وصدر الخامس الهجري من خلال تناوله للشعر والنّثر والشعراء والكُتّاب .

خامساً:- إنّ الأدب (شعره ونثره) فن يرتبط بالحياة ومعطياتها ويخضع لمؤثراتها التي تحكمه وتحكم علاقته بقائله ، لذلك جاء إختياره للشعر والنّثر بعدّة مقاييس حَكَم مِن خِلالها على النصوص التي أوردها بالجودة والحسن بجانب خصائص كل نص حسب البيئة ، فهو بذلك خالف نُقّاد عصره الذين ينظرون للأدب (خاصة الشِّعر) من جانب اللغة والنّحو والبلاغة .

سادساً:- إنّ الكُتّاب الذين أوردهم الثعالبي في كتابه يمثلون نهضة النّثر من خلال طرائقهم وتقاليدهم في الكتابة كابن العميد ، والصاحب بن عبّاد ، والصابئ ، وأبي بكر الخوارزمي وغيرهم .

سابعاً :- يمثّل النثر الذي أورده الثعالبي في اليتيمة أرقى ما وصلت إليه فنون الكتابة (خاصة الرسائل) بشهادة النُّقاد وأهل الأدب ، وذلك نسبة لتطور الأسس التي أدخلها هؤلاء الكُتّاب وطرائقهم في التعبير ومذاهبهم الفنّية .

ثامناً :- قصد المؤلِّف من تأليف كتابه دراسة الأدب (شعره و نثره) وليس التراجم بالمعنى الدقيق للترجمة .

تاسعاً :- بعض إختيارات الثعالبي النّقديّة جاءت بناءً على أحكام نقديّة من أهل المعرفة بالشعر ونقده ، أو مايسمّى بمرجعيّة الحكم النّقدي التي تعتمد عليها دراساتنا المعاصرة في تناول التراث الأدبي ودراسة قضاياه ومؤثراته .

عاشراً:- جعل الثعالبي عامل الزمان وما يلازمه من تطوّر شرطاً أساسياً في موازناته بين الجديد والقديم من الإنتاج الأدبي (أي بين القديم والمحْدث من الشعر) .

الحادي عشر :- تختلف دراسة الثعالبي للسرقات الأدبيّة عن سابقيه ، لأنه تناولها كدراسة تأصيليّة لشعر الشاعر خلافاً لسابقيه الذين دار أغلب حديثهم عن السرقات حول اللفظ والمعنى دون الإلتفات إلى أصالة الشعر ونحله .

الثاني عشر :- إنّ الثعالبي في تناوله للفظ والمعنى لم يقطع بأنّ الشعر لفظٌ دون المعنى أو العكس ، بل الشعر عنده لفظ ومعنى متى توفرا في الشعر كان مقبولاً حسناً .

الثالث عشر :- إنّ الكتاب صار مرجعاً لأصحاب الأدب والنّقد والتراجم ، وذلك نسبة لإختياراته الشعريّه والنّثريّة ، وتعليلاته النّقديّة ، فضلاً عن الكم الهائل من الشعراء والكتاب الذين أوردهم المؤلّف ، أولئك الشعراء الذين عُرِف أغلبهم (بشعراء اليتيمة) لأنّهم لم يذكروا ولم يُعْرف عنهم شيئ إلاّ ماذكره الثّعالبي عنهم .

أخيراً :- إنّ النصوص الأدبيّة وتراجمها التي أوردها الثعالبي في كتابه اليتيمة أصبحت وثائق تأريخية وأدبيّة مهمة ، كشفت عن أدقّ أحداث المجتمع الإسلامي والصراع بين طبقاته المختلفة في تلك الفترة التي قصدها المؤلِّف .

ثانياً :- التوصيات :-

أمّا التوصيات ، فتُوصي الدراسة بالآتي :-

أولاً :- دراسة رؤية الثعالبي للعناصر التي يجب توفرها في النّص الشعري من خلال الكتاب .

ثانياً :- توصي الدراسة أيضاً بدراسة علاقة البيئة بالأدب من خلال الكتاب .

ثالثاً :- توصي الدراسة بدلالة مرجعيّة الحكم النقدي عند الثعالبي من خلال الكتاب .

رابعاً :- توصي الدّراسة بتناول خصائص النّثر الذي أورده الثعالبي في كتابه .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت فيما نهضت له ونسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنّه الهادي إلى سواء السبيل (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ) وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع :-

١- القرأن الكريم

٢- آدم متز : الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع ، نقله إلى العربيّة : محمّد عبدالهادي أبوريدة ، نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، مطبعة الخانجي – القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٧٨هـ-١٩٦٧م .

٣- إدورد فنديك : إكتفاء القنوع بما مطبوع ،تصحيح : محمّد البيلاوي ، مطبعة الهلال – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٨٩٦م .

٤- الدكتور: إحسان عبّاس : تأريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني وحتى الثامن الهجري) ،دار الثقافة – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م .

٥- أحمد أمين : النقد الأدبي ، مكتبةالنهضة المصريّة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م .

٦- أحمد أمين : ظُهر الإسلام ، مجلّدان ، المكتبة العصريّة - لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٧- أحمد الشايب : أصول النّقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الحادية عشر ٢٠١١م.

٨- الأصفهاني : أبوالفرج الأصفهاني ، الأغاني ، اثنان وعشرون مجلّداً ، دار الكتب المصريّة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٣٥م .

٩- الآمدي : أبوالقاسم الحسن بن بشر الآمدي ، الموازنة بين الطائيين ، تحقيق : السيد صقر ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٥م.

١٠- ابن الأنباري : أبوالبركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمّد بن الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأُدباء ، تحقيق : الدكتور إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار – الأردن ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١١- أنيس المقدسي : تطوّر الأساليب النّثريّة في الأدب العربي ، دار العلم- بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦٥م .

١٢- الباخرزي : أبوالحسن علي بن الحسن الباخرزي ، دُمية القصر وعُصرة أهل العصر ، تحقيق : الدكتور سامي مكّي العاني ، مطبعة المعارف – بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٤٥م .

١٣- ابن بسّام : أبوالحسن علي بن بسّام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : إحسان عبّاس ، ثمانية مجلّدات ، دار الثقافة – بيروت ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

١٤- البيهقي :أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي ، تأريخ البيهقي ، ترجمة يحيى الخشّاب ، مطبعة الأنجلو المصريّة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٦م .

١٥- الثعالبي : أبومنصور عبدالملك بن مُحّمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، أحسن ما سمعت ، تحقيق : محمّد أفندي صادق ، مطبعة الجمهور – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ .

١٦- الثعالبي : أبومنصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي ، تتمّة اليتيمة ، تحقيق : الأستاذ إبراهيم محمّد صقر ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الأولى (دون تحديد تاريخ) .

١٧- الثعالبي : أبومنصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي ، التمثيل والمحاضرة ، تحقيق: عبدالفتّاح الحلو ، مطبعة الحلبي – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦١م .

١٨- الثعالبي : أبومنصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف و المنسوب ، تحقيق : أبوالفضل إبراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الأولى ١٩٦٥م .

١٩- الثعالبي : أبومنصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي ، سحر البلاغة ، تحقيق : أحمد عبيد ، مطبعة الترقّي ، الطبعة الأولى ، (دون تأريخ) .

٢٠- الثعالبي : أبومنصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي ، الكناية والتعريض ، دار صعب – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧١م .

٢١- الثعالبي : أبومنصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي ، نثر النّظم وحلّ العقد ، دار صعب – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧١م .

٢٢- الثعالبي : أبومنصور عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل الثعالبي ، يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق: محمّد محي الدين عبد الحميد ، أربعة أجزاء ، طبعة دار الكتب العامة ١٩٥٦م.

٢٣- الجادر : الدكتور محمود عبدالله الجادر ، الثعالبي ناقداً وأديباً ، رسالة دكتوراة ، مطبعة الرسالة ١٩٧٨م .

٢٤- جرجي زيدان :تأريخ آداب اللغة العربيّة ، جزءان ، دار الهلال – القاهرة ، دون تحديد تأريخ ورقم الطبعة .

٢٥- الجاحظ : أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، البيّان والتبيين ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنّشر – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٤٨م .

٢٦- الجاحظ : أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، أربعة أجزاء ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار إحياء التُراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م .

٢٧- الجويني : الدكتور مصطفى الصاوي الجويني ، ألوان من التذوّق الأدبي ، مُنشأة المعارف – الإسكندريّة ، دون تاريخ طبعة .

٢٨- الجويني : الدكتور مصطفى الصاوي الجويني ، معالم في النّقد الأدبي ، دون تحديد رقم ومكان الطّبعة ، ١٩٨٥م .

٢٩ – الحاتمي :- أبوعلي بن الحسن بن المظفّر المعروف بالحاتمي ، الموضّحة في ذكر شعر أبي الطيّب المتنبي وساقط شعره ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت – لبنان ١٩٦٥م .

٣٠- حسّان بن ثابت : ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق د. وليد عرفات ، دار صادر – بيروت ، طبعة ١٩٧١م .

٣١- الدكتورحسين عطوان : مقالات في الشعر ونقده ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٣٢- الدكتور حسين نصّار : نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي ، مكتبة النّهضة المصريّة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٤م .

٣٣- الدكتور حسين الواد : المتنبئ والتجربة الجمالية عند العرب ، دار صادر- بيروت ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م .

٣٤- الحصري القيرواني : أبوإسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني ، زهر الآداب ، أربعة أجزاء ، تحقيق : الدكتور صلاح الدّين الهواري ، المكتبة العصرية- بيروت ٢٠٠٥م .

٣٥- حنّا الفاخوري : الموجز في الأدب العربي وتأريخه ، أربعة مجلّدات ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .

٣٦- الحنبلي : عبدالحي بن محمّد بن أحمد الحنبلي ، شذرات الذّهب ، عشرة مجلّدات ، تحقيق : عبدالقادر الأرناؤوط ومحمّد الأرناؤوط ، دار ابن كثير – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٣٧- الحنفي : مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الحنفي ، إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظنون ، ستّة أجزاء ، دارالكتب العليّة – بيروت ، ١٩٩٢م .

٣٨- الحوفي : الدكتور أحمد محمّد الحوفي ، تيارات ثقافيّة بين العرب والفرس ، مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م .

٣٩- خفاجي : الدكتور محمّد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبيّة بعد ظهور الإسلام ، نشر مكتبة الحسين التجارية – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٤٩م .

٤٠- ابن خِلكان : أبوالعبّاس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ثمانية مجلّدات ، تحقيق : محمّد مُحي الدين عبد الحميد ، مطبعة النّهضة – مصر ، الطبعة الأولى ١٩٤٨م .

٤١- ابن خير الإشبيلي : أبوبكر محمّد بن خير بن عمر بن خليفة الأُموي ، فهرسة ابن خير الإشبيلي ، تحقيق : محمّد منصور ، دار الكتب العلميّة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

٤٢- الذّهبي : شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي ، تأريخ الإسلام ، اثنان وخمسون مجلّداً ، تحقيق : الدكتور عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٤٣- ابن رشيق القيرواني :أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق : محمّد مُحي الدّين عبد الحميد ، مطبعة السعادة – مصر ، ١٩٥٥م .

٤٤- ابن الرومي : أبوالحسن علي بن العبّاس بن جرجيس الرومي ، ديوان ابن الرومي ، خمسة مجلدات ، شرح مجيد طراد ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٤٥- رياض زاده : عبد اللطيف رياض زادة ، أسماء الكُتُب ، تحقيق : التونجي ، دار الفكر- دمشق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

٤٦- الزركلي : خير الدّين الزركلي ، الأعلام ، ثمانية أجزاء ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة السابعة عشر ٢٠٠٧م .

٤٧- الزهيري : الدكتور محمود غنّاوي الزهيري ، الأدب في ظل بني بويه ، مطبعة الأمانة – مصر ، الطبعة الأولى ١٩٤٩م .

٤٨- زكي مبارك : زكي عبد السلام مبارك ، النّثر الفنّي في الرّابع ، جزءآن ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٣٤م .

٤٩- السري بن أحمد الرّفّاء : ديوان السريّ الرّفّاء ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٥٠- ابن سلاّم : محمّد بن سلاّم الجمحي ، طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه : محمود محمّد شاكر ، مطبعة المدني – القاهرة ، دون تأريخ .

٥١- السمعاني : أبوسعيد عبد الكريم بن محمّد بن منصور السمعاني ، الأنْساب ، تحقيق : عبدالله عمر البازودي ، خمسة مجلّدات ، دار الفكر العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

٥٢- السيوطي : جلال الدّين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح وتعليق محمّد أبوالفضل وآخرين ، المكتبة العصريّة – صيدا ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م .

٥٣- الدكتور شكري فيصل : مناهج الدراسة الأدبيّة في الأدب العربي (عرض ونقد واقتراح) ، مكتبة الخانجي – بغداد ،الطبعة الأولى ١٩٤٩م .

٥٤- الشكعة : الدكتور مصطفى محمّد الشكعة ، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م .

٥٥- الشكعة : الدكتور مصطفى محمّد الشكعة ، فنون الشعر في مجتوع الحمدانيين ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨١م .

٥٦- الشكعة : الدكتور مصطفى محمّد الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب) ، دار العلم – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧١م ، والطبعة التاسعة عشْرة ٢٠٠٩م .

٥٧- الدكتور صالح آدم بيلو : الثقافات الأجنبيّة في العصر العبّاسي وصداها في الأدب ، مكّة المكرّمة ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

٥٨- الصفدي : صلاح الدّين بن آبيك الصفدي ، الوافي بالوفيّات ، تسعة وعشرون مجلّداً ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي مُصطفى ، دار إحياء التُراث – بيروت ، دون تحديد رقم الطبعة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٥٩- صفوت : أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، أربعة أجزاء ، الطبعة الثانية ١٩٧١م .

٦٠- الدكتور صلاح جرّار : مناهج النّقد الأدبي عند العرب ، نشر الشركة العربيّة للتسويق والتوريدات ، الطبعة الثانية ٢٠١٠م .

٦١- ضيف : الدكتور شوقي صيف ، تأريخ الأدب العربي (العصر العبّاسي الثاني) ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣م .

٦٢- ضيف : الدكتور شوقي صيف ، تأريخ الأدب العربي ، عصر الدّول والإمارات (الجزيرة – العراق – إيران) ، دار المعارف – مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٩٦م .

٦٣- ضيف : الدكتور شوقي صيف ، الفن ومذاهبه في النّثر العربي ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٩٦٠م .

٦٤- العاكوب : الدكتور عيسى علي العاكوب ، التفكير النّقدي عند العرب ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

٦٥- العبّاسي : عبد الرحيم العبّاسي ، معاهد التنصيص ، تحقيق : الدكتور إبراهيم الدسوقي ، دار مصر للطباعة – القاهرة ١٣٧٤هـ .

٦٦- الدكتور علي شلق : مراحل تطوّر النّثر العربي في نماذجه ، نشر دار العلم– بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٠م .

٦٧- الدكتور عمر الدّقاق : مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم ، دار الشروق العربي – بيروت ، وحلب – سوريا ، دون تأريخ .

٦٨- الدكتور عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني ، ستّة أجزاء ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة السادسة ١٩٩٧م .

٦٩- أبوالفداء : عماد الدّين بن إسماعيل بن علي ، المختصر في أخبار البشر ، منشورات : محمدعلي بيضون ، دار الكتب العلميّة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٧٠- أبوفراس الحمداني : أبوفراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي ، ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح : د: يوسف شكري فرحات ، دار الجيل – بيروت ، (دون تأريخ طبعة) .

٧١- القاضي الجرجاني :أبوالحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبئ وخُصومه ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة الحلبي – القاهرة ، الطّبعة الأولى ١٩٦٠م .

٧٢- ابن قتيبة : أبومحمّد عبدالله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمّد شاكر ، دار المعارف – مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م .

٧٣- قدامة بن جعفر : أبوالفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، نقد النّثر ، تحقيق : طه حسين و عبد الحميد العبّادي ، مطبعة بولاق – القاهرة ١٩٤١م .

٧٤- القلقشندي : الشيخ أبي العبّاس أحمد القلقشندي ، صُبح الأعشى ، أربعة عشر جزءً ، دار الكتب المصريّة – القاهرة ، الطّبعة الأولى ١٩٢٧م .

٧٥- كحالة : عمر رضا كحالة ، معجم المؤلّفين ، أربعة أجزاء ، موسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

٧٦- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ن البداية والنّهاية في التأريخ ، مطبعة السعادة – مصر ، (دون تأريخ) .

٧٧- الكلاعي : أبوالقاسم محمّد بن عبدالغفور الكلاعي الإشبيلي ، إحكام صنعة الكلام ، تحقيق : الدكتور محمّد رضوان الدّاية ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م .

٧٨- لبيد بن ربيعة العامري ، ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر – بيروت ، دون تأيخ طبعة .

٧٩- مارون عبّود : في أدب الإسلام ، دار الثقافة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٠م .

٨٠- المتنبئ : أبو الطيّب أحمد بن الحسين ، ديوان المتنبئ ، تقديم د: إسماعيل العقباوي ، دار الحرم للتراث ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م .

٨١- الدّكتور محمّد زغلول سلاّم : الأدب في عصر العبّاسيين من بداية القرن الرابع إلى نهايته ، جزءان ، مطبعة المعارف – الإسكندريّة ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

٨٢- الدّكتور محمّد زغلول سلاّم : تأريخ النّقد الأدبي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري ، دار المعارف – الإسكندريّة ، دون تأريخ .

٨٣- محمّد كرد علي : كنوز الأجداد ، مطبعة الترقّي – دمشق ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م .

٧٨- الدّكتور محمّد مندور : النّقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر ٢٠٠٥م ، دون تحديد رقم الطبعة .

٨٤- المرزباني : أبو عبيد الله محمّد بن عمران بن موسى المرزباني : الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء في عِدّة أنواع من صناعة الشعر ، تحقيق : علي محمّد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٣٨م .

٨٥- ابن المعتز : أبوالعبّاس عبدالله بن المعتز بن المتوكل ، ديوان ابن المعتز ، شرح د: يوسف شكري فرحات ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٨٦- المسعودي : أبوالحسن علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذّهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمّد مُحي الدّين عبدالحميد ، مطبعة السعادة – مصر ١٣٨٧هـ – ١٩٩٧م .

٨٧- المقدسي : شمس الدّين أبوعبدالله محمّد بن أحمد المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة ليدن ، مطبعة بريل ١٩٠٥م ، نشر دار الفكر العربي – بيروت .

٨٨- ابن منظور : جمال الدّين بن المكرم بن منظور ، لسان العرب ، ستة أجزاء ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون ، نشر دار المعارف – القاهرة ، (دون تأريخ) .

٨٩- الدّكتور ناصر الدّين الأسد : مصادر الشّعر الجاهلي وقيمتها التأريخيّة ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى١٩٨٨م .

٩٠- النابغة الذبياني : زياد بن معاوية ، ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلميّة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٩١- نبيل خالد رباح : نقد النّثر في تُراث العرب النّقدي حتّى نهاية العصر العبّاسي ، طبع الهيئة المصريّة العامّة للكتب ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

٩٢- ابن هشام :أبومحمّد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري ، السيرة النّبويّة ، تحقيق : مصطفى السقّا ، وإبراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، طبعة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

٩٣- اليافعي : أبو عبد الله أسعد بن علي بن سليمان اليافعي : مرآت الجنان ، أربعة مجلّدات ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ١٩٩٣م .

٩٤- ياقوت الحموي : أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم الأُدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، دار إحياء التراث – بيروت ، طبعة ١٩٩٠م .

٩٥- اليعقوبي : أحمد بن يعقوب بن جعفر ،تأريخ اليعقوبي ، مطبعة دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .

٩٦- يوسف البديعي : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣م .